شرح الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

من ربك؟

ما دينك؟

من نبيك؟



شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن سعيد شفان الأهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، والصــلاة والســلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قال المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر كاملة].

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩]، **فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).**



قال الشارح وفقه الله:

قول المؤلِّف: («بِسْــمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ») **ابْتدأَ المؤلِّف رســالتَه هذه بالبســملة**: اقْتداءً بكتابِ الله ﷻ، فإنَّه مبدوءٌ بالبسْملة، وهكذا اقْتداءً بسُنَّة النبي ﷺ، فإنَّه كان يبدأُ كُتُبَه ورسائلَه إلى المُلُوك والعُظماء وغيرِهم بالبسْــملة؛ كما في كِتابه إلى (هِرقْلَ عظيمِ الروم)، وهكذا في الاسْتعانة، وطلب العون من الله تعالى، والتَّبرُّك بذكْر اسم الله ﷻ.

وقوله: («اللهِ») («بِسْمِ اللهِ») (**الله**) عَلَمٌ على ذاتِ البَاري ﷻ، دالٌّ على صفة الإلهية، وهو أيضًا دالٌّ على جميع معاني الكَمالِ؛ من الأسماء والصفات.

وقوله: («الرَّحَيمِ») اسـمٌ من أسـماء الله تعالى دالٌّ على صـفة الرحمة الواسِـعة الشَّـاملة لجميع الخلائِق.

وقوله: («الرَّحَيمِ») اسمٌ من أسمائِه تعالى دالٌّ على صفة الرَّحمة الواصِلة إلى الخلْق.

وما سـنتوسَّـع في الكلام على (البسْـملة) و (الفرْق بين الرحمن والرحيم) وهكذا الاسْـم والمُسمَّى؛ سيأتي ذلك -إن شاء الله- في الدروس الآتية.

قوله: («اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ»)، قوله: («اعْلَمْ») من العلْم، وهذه الكلِمة يسْتعملُها العلماء عادةً للتنبيهِ على ما بعدها، ولِمَا سَيُلْقَى من الكلامِ والعلْم.

والغَرض من ذلك: شــدُّ الذِّهْن والانتباه والإصْــغاء لِمَا يُقال أو يُلْقَى من العلوم أو غير ذلكَ.

وهذه الكلمة لها أصْلٌ في الكتاب والسُّنة، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [البقرة:١٩٦].

وأيضًا جاء في «صحيح مسلم»: أنَّ النبي ﷺ قال لأَبي مسعود: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فهذه

الكلِمة لها أصْلٌ في نصوص الكتاب والسُّنة.

وقوله: («رَحِمَكَ اللهُ») هذا دعاءٌ من المؤلِّف رحمه الله للمتعلِّم والطَّالب، وهذا من حُسْن التلطُّف وحُسْن التعليم، وهذه الجملة هي جُملة خَبرية من ناحية اللَّفظ، إنشائية من ناحية المعْنى، **إذْ أن المقصود بها**: الدعاء بالرحمة.

وقوله: («أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا») الواجب أَوْ الوُجوب نوعان:

- **النوع الأول**: واجِبٌ كِفائي.
- **النوع الثاني**: واجِبٌ عَينِي.

الواجب الكِفائي: هو الذي إذا قامَ به البعضُ سقطَ عن البعض الآخر؛ كالصلاة على الجنازة مثلًا، أو دفْنها، ونحو ذلك.

والواجب العَينِي: هو الذي يجب على كلِّ شخصٍ بعَينه، وهو متعلِّقٌ بذمَّته، لا يبْرأ إلا بأدائِه، لا تبْرأ ذمَّتُه إلَّا بأدائِه.

ومقصود المؤلِّف في الوجوب هنا: هو الثاني: الوجوب العَيني، وأنَّه يجبُ على كلِّ شخصٍ بعَينه تَعَلُّم هذه المسائل التي ذكرها.

وهذا الإطلاق فالإيجابُ فيه نظرٌ؛ نظرٌ بالنسبة للمسألة الثالثة والرابعة، وهي الدعوة إلى العلم، والصبر على الأَذى فيه، الدعوة الأصل أنها من فروض الكِفاية، فلا تجبُ على كلِّ أحَدٍ، فالإطلاقُ هنا فيه شيءٌ من النَّظر، إلَّا إذا حُمِلَ على الوجوب الكِفائي، لكن المقصود من كلام المؤلِّف في ظاهر كلامه: أنَّه أرادَ بذلك الوجوب العَيني.

وقوله: («عَلَيْنَا») المقصود بذلك: المُكلَّفُون، («عَلَيْنَا») أي المُكلَّفين.

وقوله: («تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ»).

(التعلُّم): هو تحصيل العلْم، والسَّعْي في نَيلِه، والظَّفَر به.

وقوله: («أَرْبَع مَسَائِلَ») هي المسائل المذْكورة التي سيذْكرُها -إن شاء الله-، ولكن هذا العدد لا يدلُّ على الحصْر؛ أنَّه يجبُ على المسلِمِ أن يتعلَّم هذه الأربع المسائل فحسْب، فالمؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ ما أراد الحصْر، وإنَّما أراد ذكْر مُعْظَم المسائل وأهَمّ المسائل، وإلَّا فهناكَ مسائلُ أُخرى يجب تعلُّمها، ويجب العملُ بها، إلَّا أنَّها تدخل تحت هذه المسائلِ ضِمنًا، فقوله: («أَرْبَع مَسَائِلَ») هذا اللَّفظ لا يدلُّ على الحصْر، وأنَّ الوجوب محْصورٌ في هذه الأربع المسائل.

وسيأتي معَنا أنَّه قال: (وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمُ ثَلاثِ مَسَائِلَ) كما سيأتي.

إذًا قوله: («أَرْبَع مَسَائِلَ») لا يدلُّ على الحصْر، وإنَّما أراد أهمَّ المسائلَ وأعْظمَها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: («**المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ**») هذه هي المسألة الأُولى (**الْعِلْمُ**)، وقد عرَّف العلْم هنا: («**وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ**»).

(العلْم) في اللُّغة هي نَقِيضُ الجهْل وضِدُّه، **وحقيقته إدراك الشيء**، فإدْراكُ الشيء على حقيقتِه يُعتبَرُ عِلْمًا.

وفي اصْطلاحِ العلماء، أو اصْطلاح بعضِ العلماء؛ لأنَّ أكثر العلماء لا يَرونَ أنَّ للعلْم تعريفًا وحدًّا، ويقولون: تعريفه اسمُه، **فيكْفي في تعريفه أنَّه العلم**، لكن كثيرٌ من العلماء قد عرَّف العلم، واختلفوا في تعريفهِ.

فأحْسن ما يُقالُ في تعريف العلم من الناحية الاصْطلاحية: أنَّه إدْراك الشيء على ما هو

عليه إدْراكًا جازمًا.

وأمَّا العلم الشــرعي فأحْســن ما قِيلَ في تعريفه: هو معْرفة الهُدَى بدَليلِه، وهذا التعريف ذكره ابنُ القيم.

إذًا عندنا تعريفٌ اصْـطلاحيٌّ عام، وتعريف شــرعي خاص، الاصْـطلاحي يشـملُ جميعَ أنواع العلوم، والشــرعي لا ينضــبط إلَّا على العلم الشــرعي، إذًا العلم الشــرعي هو: معرفة الهُدَى بدَليلِه، أمَّا في الاصْطلاح العام: فهو إدْراكُ الشيء على ما هو عليه إدْراكًا جازمًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ») هذا تعريف العلم عند المؤلِّف، وســنتكلَّم على هذه الثلاثةِ الأمور التي ذكرَها، فالمؤلِّف ذكرَ هذه الأُصــول الثلاثة على جِهَةِ الإجمال، ثمَّ بعد ذلك سيذْكرُها على جِهَةِ التفصيل.

قال: («وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ») المقصود بذلك معرفةُ الله عَزَّ وَجَلَّ -كما سيأتي-: أنَّها الإقرارُ بالله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان به.

والمؤلِّف قدَّم معرفة الله على معرفةِ الإسلام وعلى معرفةِ النَّبي: **لأنَّ معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ أصْـلُ الإيمان وأسَــاسُــه**، إذْ لا ينفع الإيمان بالنَّبي، ولا ينفع الإيمان بالإســلام إلَّا بعدَ الإقرار والمعرفة والإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقدَّم المؤلِّف معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ على معرفةِ النَّبي وعلى معرفةِ الإسلام: لأنَّ معرفة الله تعالى أصْلُ الإيمان وأسَاسُه، وأنَّه أوَّلُ واجبٍ على العبد فبدأَ بذلك؛ لأجلِ هذا الأمر.

والأدلَّة على وجوبِ معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كثيرة من الكتاب والسُّنة وإجماع سَلَف الأُمَّة.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾ [محمد:١٩].

❖ **ومن السُّــنة**: حديث ابن عباس، عندما بعث النبي ﷺ مُعاذًا إلى اليَمنِ فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**» في بعض الرِّوَايات: «**إِلَى أَن يَعْرِفُوا اللهَ**».

وهذه الأدلَّة نذْكرُها على جِهَة التمثيل فقط، وإلَّا فالأدلَّة كثيرة من الكتاب والسُّنة.

❖ وقد أجمَعَ السَّــلف قَاطِبةً على أنَّ معرفة الله ﷻ واجبة على كلِّ مُكلَّف، ولا خلاف بينهم في ذلك، **وأنَّ معرفة الله ﷻ هي الفاصــلة بين الكفْر والإيمان**، فمنْ عرفَ الله ﷻ واسْــتجابَ لذلك فهو مؤمنٌ، ومَن لم يعرفِ الله ﷻ فهو كافر، فمعْرفة الله ﷻ أصْــلُ سعادة الدنيا والآخرة، وهي الفاصل بين الكفْر والإيمان.

ومعرفةُ الله ﷻ الواردة في النُّصوص نوعان:

- **النوع الأول**: معرفة عامَّة يشْـتركُ فيها جميع الخلْق، فيشـترك فيها المؤمن والكافر، والبَرُّ والفَاجر، والمُطيع والعاصــي، وغيرهم، هذه يُقالُ فيها: معرفة عامة، فكثير من الكفار يَعرفونَ الله ﷻ باعتبار الإقرار به وبوجودِه، وأنَّه هو الخالق، وأنَّه هو الرَّازق، وقد ذكر الله ﷻ في آياتٍ كثيرة اعْتراف الكفار بذلك: ﴿**وَلَئِنْ سَــأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾[لقمان:٢٥]، فالآيات التي تدلُّ على أنَّ الكفار يَعرفونَ ربَّهُم معرفة عامة من حيث الإقرار بالوجودِ والاعْتراف بذلك فهذه يُقالُ فيها: **معرفة عامة**.

- **النوع الثاني** -من معرفة الله ﷻ-: المعرفة الخاصــة، وهي معرفة المؤمنين لله تعالى، ومعرفة أوليائه المتقين، وهذه المعرفة لا تكون إلَّا لهؤلاءِ، ومعَ ذلكَ فهذه

المعرفةُ تَتَفاوت بِتَفاوتِ الإيمان في قلوب المؤمنين وفي أنفسِهم.

إذًا معرفةُ الله ﷻ على هذين النَّوعين: (معرفةٌ عامَّة، ومعرفةٌ خاصَّة).

والمعرفة الخاصة لها مرْتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: معرفةٌ إِجماليَّة، والمقصود بذلك: معرفة الله ﷻ من خلالِ الإقرار به، وبوجودِه، والإقرار بإِلاهيَّته، ورُبوبيَّته، وأسمائِه وصفاته على جِهَةِ العموم، على جِهَةِ العموم والإجمال دُوْنَ التعرُّض لِذِكْرِ دقائق المسائل وذَكْرِ جميعَ صفات الكمال، وجميعَ الأسماء الحُسْنى والصفات العُلْيا، ومعرفة معانيها، فهذه معرفةٌ إجماليَّة، وغالبُ المسلمين على هذه المعرفة، إذْ أنَّ أكثر المسلمين لا يُحْسِنُون معرفة معاني الأسماء الحُسْنى، ومعاني الصفات، ومعاني الإِلهيَّة بالتفصيل، ومعاني الرُّبوبيَّة بالتفصيل، فغالبُ المسلمين على هذه المرتبة، المرتبة الإجمالية المعرفة الإجمالية.
- **المرتبة الثانية**: المعرفة التفصيلية، **والمقصود من ذلك**: معرفة جميعَ ما يسْتحقُّه الربُّ ﷻ من الكمالات، معرفة جميعَ معاني الأسماء الحُسْنى، والصفات العُلْيا، ودقائق المسائل المتعلِّقة بالرُّبوبيَّة والإلَهيَّة والأسماء والصفات، وهذه المرتبة لا تكون إلَّا للأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام ، وكَذا تكون للملائكة، وكَذا تكون أيضًا للعلماء الرَّبانيّين، فهذه المرتبة أعْلى من المرتبة الأُوْلى.

فمعرفة الله ﷻ على هاتَين المرتبتين، فأكْمَلُ المرتبتين وأعْلامها: هي المرتبة الثانية، **وهي المعرفة التفصيلية.**

ومعرفة الله ﷻ تكون بثلاثة أمور:

- **الأمر الأول**: الفِطرة السَّليمة، فإنَّ جميع الخلْق مَفْطُورُون على معرفة الله ﷻ، والإقرار به ﷻ، وعدم الجُحُود، وإنَّما هُم مفْطُورُون على ذلك، الفِطرة السَّليمة.
- **الأمر الثاني**: الأدلَّة الكونية العَيَانيَّة، فإنَّ هذه الأدلَّة الكونية تدلُّ على وجود الله، وعلى عظمتِه، وعلى عِلْمِه، وعلى رحمته، وعلى قُدْرَتِه، وعلى قوَّته، وعلى سائر أسْمائِه وصفاتِه، وهذه الأدلَّة الكونية؛ كالشَّمس، والقمر، والسماء، والأرض، والماء، والرِّياح، وغير ذلك، كلُّ هذه الأدلَّة الكونية العَيَانيَّة المُشَاهَدَة تدلُّ على معرفة الله ﷻ.
- **الأمر الثالث**: الأدلَّة الشرعية الدِّينية، وهي التي جاءتْنا عن طريق الوحي، ويشْملُ ذلك: جميعَ الكُتُب المُنزَّلَة من عندِ الله ﷻ؛ كالتَّوراة، والإنجيل، والزَّبُور، والقرآن، فكلُّ هذه الكُتُب تدلُّ على معرفة الله ﷻ، وهكذا يدخلُ في ذلك **سُنَّة النبي** ﷺ؛ لأنَّه وحْيٌ من عند الله ﷻ.

إذًا معرفةُ الله ﷻ تحصل وتقع بهذه الثلاثة الأمور: (الفِطرة السَّليمة، والأدلَّة الكونية العَيَانيَّة المُشَاهَدَة، والأدلةَّ الشرعية الدِّينية).

قوله: («**وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ** ﷺ») المقصود بمعرفة النبي ﷺ: الإقرار بِنُبُوَّتِه ورِسالتِه، الإقرار بِنُبُوَّتِه ورِسالتِه إلى جميعِ الخلْق، وأنَّه رسولٌ من عندِ الله ﷻ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ وصِدْقٌ، هذا هو المقصود بمعرفة النبي ﷺ على جِهَةِ الإجمال وعلى صورةِ الإجمال.

والأدلَّة على وجوبِ معرفةِ النبي ﷺ كثيرةٌ؛ من الكتاب والسُّنة:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ**﴾

[النساء:١٧٠].

ومن ذلك: ما جاء في «الصَّحيحين»: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»، وهكذا حديث جبريل، وحديث ابن عمرَ الآخر، فالأدلَّة كثيرة.

وهكذا أجمعَ السَّلف قَاطِبة على وجوب معرفة النَّبي ﷺ.

ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام لها مرتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: المعرفة الإجمالية، والمقصود بها: الإقرار بِنُبُوَّتِه ورِسالتِه، وهكذا الإقرار بما جاء به من عندِ الله عز وجل على جهَةِ الإجمال والعموم، وأنَّ ما جاء به من عندِ الله تبارك وتعالى حقٌّ وصِدْقٌ، دُونَ التعرُّض إلى سِيرتِه وحياتِه وجميع ما جاء به من الأحكام والشَّرائع على جهَةِ التفصيل، فهذه المرتبة الأُولى والتي هي معرفته ﷺ على جهَةِ الإجمال.

وغالب المسلمين على هذه المرتبة.

- **المرتبة الثانية**: المعرفة التفصيلية، والمقصود بهذه المعرفة: معرفتُه ﷺ معرفة حياته، وسِيرتِه، ومعرفة أزْواجِه، وغَزواتِه، وذُرِّيَتِه، ومعرفة جميع ما جاء به من الأحكام والشَّرائع على جهَةِ التفصيل، وهذه المرتبة لا تكون إلَّا لأهل العلم الرَّاسِخين في العلم.

إذًا معرفة النَّبي ﷺ على هاتين المرتبتين.

والمؤلِّف ﷺ قدَّم معرفة النَّبي ﷺ على معرفة الإسلام؛ لأنَّ معرفة الإسلام لا تَتِمُّ إلَّا عن

طريق معرفة الرسول ﷺ، فلا تُعرفُ أحكامُ الشريعةِ، ولا تُعلمُ أحكامُ الإسلامِ إلَّا بعد الإقرار بِنُبُوَّةِ النَّبي ورِسالتِه، وهكذا معرفة ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

قوله: («وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ») هذه المسألة الثالثة التي ذكرَها المؤلِّف.

والمقصود بمعرفةِ الإسلام: الإقرار بِهِ والإيمان به، وأنَّه دِينٌ حقّ، وأنَّه من عندِ الله ﷻ.

والمقصود بالإسلام هنا: لأنَّ الإسلام الواردُ في النُّصوص له إطلاقان:

الإطلاق الأول: إطلاقٌ عام، وهو: الإسلام الذي هو دِينُ جميع الأنبياء، ومنه قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران:١٩]، فَدِينُ جميع الأنبياء هو الإسلام، فهذا الإسلام هو بمعنى الإطلاق العام.

الإطلاق الثاني: هو الإطلاق الخاص، **والمقصود به**: الدِّين الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، ومنه: قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

فالإسلام في الآية الأُوْلى المراد به **الإسلام العام**، والإسلام المذْكور في الآية الثانية **الإسلام الخاص**.

ومعرفة دِين الإسلام لها مرتبتان أيضًا:

- **المرتبة الأُولى**: المرتبة الإجمالية، وذلك من خلالِ معرفةِ الإسلام وأحْكامه وأوامرِه ونواهِيهِ على جهَةِ الإجمال والعموم، دون التفصيل في المسائل والأحكام، هذه المرتبة الأُولى.
- **المرتبة الثانية**: المعرفة التفصيلية؛ معرفة الإسلام بتفاصيله، معرفة جميع أحكامه

بأدلَّتها، معرفة الأوامر والنواهي، معرفة الحلال والحرام، معرفة ما هو متعلِّقٌ بحقِّ الله تعالى، وما هو متعلِّقٌ بحقِّ الرسول، وما هو متعلِّقٌ بجميع العبادات الواجبة والمسْتحبَّة، فهذه المرتبة الثانية هي المرتبة التفصيلية، ولا تكون هذه المرتبة إلَّا لأهلِ العلم.

قول المؤلِّف: («بالأدِلَّةِ») هذه اللَّفظة ظاهرُها أنَّها تعود على الأمور الثلاثة أي: معرفة الله بالأدلَّة، ومعرفة النَّبي بالأدلَّة، ومعرفة الإسلام بالأدلَّة، فظاهر كلام المؤلِّف ﷺ: أنَّه أراد بقوله: («بالأدِلَّةِ») جميع الأمور أو جميع المسائل المذْكورة، وأنَّ هذه المعرفة لا تصح أو لا تجب أو لا تكون إلَّا بالأدلَّة، وهذا فيه نظر؛ لأنَّه يَعْسُرُ على كُلِّ الناس معرفة الأدلَّة التفصيلية لهذه الأمور، فيَعْسُرُ على عامَّة المسلمين معرفة تفاصيل هذه الأدلَّة، وذكْر هذه الأدلَّة، **والصحيح**: أنَّ هذه الأدلَّة لا تجب على كلِّ مسلم، لا تجب معرفتُها على كلِّ مسلم، سَتَرَى بعض العوام لربَّما يُقرُّ بوجوب الصلاة، وإذا سألتَه عن الدَّليل لا يعلم! وإيمانه بالصلاة صحيح، وإذا سألتَه عن وجود الملائكة يُقرُّ بذلك، ولكنَّه لا يسْتطيع أن يأتيَ بدليل، وهكذا بقيَّة الأمور، ومعَ ذلك فنقول: إيمانُ هؤلاء صحيح، مَن أقرَّ بالله تعالى وبوجودِه وإِلهيَّته وأسْمائه وصفاته فإيمانُه صحيحٌ، وكذلك إقْراره بسائر أحكام الشريعة إِقرارًا صحيحًا وإن لم يعرفِ الأدلَّة.

فقوله: (أنَّه تجب معرفة هذه الأمور بالأدلَّة) فيه شيءٌ من النَّظر، فكثيرٌ من الناس لا يُحسِن ذكْر الأدلَّة، ولا يَعرف كثيرًا من الأدلَّة، بلْ بعضُهم لا يَعرف شيئًا من الأدلَّة.

وقد كان الرَّجل يأتي إلى النبي ﷺ فينطق بالشَّهادتَين، ويُحْكمُ له بالإسلام والإيمان دونَ ذكْر

الأدلَّة، وهكذا الصحابة ﭫ لمَّا فتحوا كثيرًا من بلاد الكفْر كانوا يكْتفُونَ بالإقرار بالشَّهادتَين، والإقرار بأرْكان الإسلام وأُصُول الإيمان، ولا يسْأَلون الناس عن الأدلَّة، بلْ قول المؤلِّف هنا («**بالأَدِلَّةِ**») أنَّه يوافِق قول جمهور أهل الكلام؛ لأنَّ جمهور أهل الكلام يشترطون في صحَّة الإيمان: النَّظر والاسْتدلال، فلا يصح عندهم الإيمان إلَّا بالنَّظر والاستدلال، ولهذا شنَّعَ عليهم العلماء وأنكر عليهم العلماء في قولِهم هذا، وذكروا الأدلَّة الكثيرة التي تُبطلُ قولَه، وتَردُّ عليهم قولَهم، فعندهم إيمان المقلَّد غير صحيح، ومعنى هذا: أنَّه لو جاء رجلٌ أعجمي أو أعرابي حَديثُ عهْد بجَاهلية أو بكفْر فنطق بالشَّهادتَين، فعَلَى قولهم أنَّ إيمانه غير صحيح؛ لأنَّه لم يكن هذا الإيمان معتمِداً على دليل في نظرِهم، فهذه اللَّفظة في الحقيقة هي مشكلة، وهي توافِق قول جمهور أهل الكلام، والمؤلِّف ﵀ ما أراد قول أهل الكلام، هو ما أراد ذلك ﵀، لكن اللَّفظ دالَّةٌ على ذلك، وعلى هذا نقول: إنَّ القول بوجوب معرفة الأدلَّة على معرفة الله ومعرفة نبيّه ومعرفة الإسلام فيه شيءٌ من الكُلْفة، وفيه شيءٌ من النَّظر، فإنَّه يَعْسُرُ على عامَّة المسلمين اسْتحضار الأدلَّة، ولو قِيل: إنَّ معرفة الأدلَّة واجبٌ كِفائِي لكانَ صوابًا، ستكون معرفة الأدلَّة على العلماء والمشايخ وطلاب العلم هنا نقول: القول صواب -إن شاء الله تعالى-، لكن القول بوجوب معرفة الأدلَّة على كلِّ مسلم فيه عُسرٌ ومَشَقَّةٌ؛ لأنَّ الناس لا يُحْسِنُون ذلك، ومعَ ذلك فإيمانه صحيح، وقد ذكرنا لكم الأدلَّة التي فيها أنَّ النَّبي ﷺ كان يحكم للشخص بمجرَّد نُطْقِه بالشَّهادتَين، وهكذا الصحابة ﭫ.

والأدلَّة نوعان:

- **النوع الأول**: أدلَّة سمْعية.

- **النوع الثاني**: أدلَّة عقْلية.

الأدلَّة السَّمعية: هي التي مأخوذة عن طريق الوحي، وكانتْ مُدْركَة بحاسَّة السَّمْع، فلمَّا كانت مُدْركَة بحاسَّة السَّمْع قِيلَ لها: أدلَّة سمْعية.

والأدلَّة العقلية: هي التي تكون مُدْركَة بالنَّظر والتأمُّل، بالنَّظر والتأمُّل والتفكُّر، فيُقالُ فيها: أدلَّة عقلية، ولا شكَّ أنَّ الأدلَّة السَّمْعية والأدلَّة العقلية كلُّها تدلُّ على معرفة الله ﷻ، وتدلُّ على عَظَمَتِه وجلالِه وكبْريائِه وقُدْرَتِه وعِلْمِه ﷻ على حَسَبِ ما تقدَّم. **هذه المسألة الأُوْلى**.

قال ﵀: («**المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ**») المسألة الثانية: (العملُ به) أي العلم بالعلم، العلم بالعلم الذي ذكرَه آنفًا، والعمل بالعلم هو ثمْرة العلم، وقد دلَّت النُّصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ على وجوب العمل بالعلم يعني: في الجُملة؛ كقوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف:٢] فهذه الآية فيها الذمُّ لِمن عَلِمَ ولم يعملْ، وهكذا قوله ﷻ: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:٤٤].

وَرَوَى مسلمٌ في «صحيحه»: عن أبي هريرةَ ﵁؛ أنَّ النَّبي ﷺ قال: ... حديث أسامة بنت زيد في الرجل الذي تَندَلِقُ أَقتابُ بطنه، ثمَّ سُئِلَ، قال: كنتُ آمرُ الناس بالمعروف ولا آتيه، وأنْهاهُم عن المُنكر وآتيه، وهكذا أدلَّة أخرى تدلُّ على ذلك.

وقد أجمعَ العلماء على وجوب العمل بالعلم في الجملة، وإلَّا فالعمل بالعلم له مرتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: أنَّ العمل به يكون واجبًا حتْمًا؛ كأداءِ الصلوات الخمس المفروضة، والصيام الواجب، وهكذا سائر الواجبات التي أمر الله تعالى بها، فالعمل بها هنا

واجب.

- **المرتبة الثانية**: الاسْتحباب؛ وذلك كفِعْل المستحبَّات والمندوبات، وترْك المكْروهَات، فالعمل بالعلم على هاتين المرتبتين: (مرتبة الوجوب والحَتْمية، ومرتبة الاسْتحباب والأفضلية).

قوله: («**المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ**») أي الدعوة إلى العلم، الدعوة إلى العلم الذي ذكرَه آنفًا.

والأدلَّة على وجوب الدعوة إلى العمل في الجملة كثيرة:

منها: قوله ﷻ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨].

ومنها: قوله ﷻ: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل:١٢٥].

ومنها قول النَّبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»: عن أبي هريرةَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأُجُورِ بِمِثْلِ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»

وحديث أبي مسعود وهو: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، وهكذا الأدلَّة الدَّالة على ذلك كثيرة.

والدعوة إلى الله ﷻ وإلى العلم النَّافع في الأصل أنَّها من فُروض الكِفايَات، الأصل أنَّها من فُروض الكِفايَات، وليستْ من الواجباتِ العَيْنِيَّة، فإذا قام بها البعض سقط عن البعض لآخر، ولا شكَّ أنَّ الدعوة إلى الله ﷻ من أجلِّ القُرُبات، وأفضلِ الطَّاعات، وأعْلَى المَقَامات، ولهذا صحَّ عن الحسن البصري رحمه الله أنَّه قال: «لَأَنْ أُعَلِّمَ مُسْلِمًا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، **وهكذا يقول ابن المبارك** رحمه الله: «لَا أَعْلَمُ شَيْئًا بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلُ مِن بَثِّ العِلْمِ» يعني الدعوة إلى الله ﷻ.

وهكذا يقول ابن القيم ~~رحمه الله~~: «تَبْلِيغُ السُّـنَّةِ إِلَى الأُمَّةِ أَفْضَـلُ وَأَعْظَمُ مِن تَبْلِيغُ السِّـهَامِ إِلَى نُحُوْرِ الأَعْدَاءِ».

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى من أفضلِ العبادات، وأجلِّ الطَّاعات، وأعْلَى المَقَامات.

والشـخص إذا تعلَّم ينبغي أن يحرِصَ على الدعوة إلى الله لا سـيَّما عند ظُهور الشُّـبُهات، وظُهور الانحرافات والضَّـلالات، فينبغي لطالبِ العلم وللدَّاعي إلى الله عز وجل أن يجتهدَ في الدعوة إلى الله ما اسْـتطاعَ إلى ذلك سـبيلًا، فيُبلِّغ الحقَّ، ويُبلِّغ ما أَمَرَهُ الله تعالى به من الهُدَى ودِينِ الحقِّ، فَنَحُثّ أنفسـنا وإِيَّاكُم على الاجْتهادِ في الدعوة إلى الله عز وجل؛ لكن دعْوة بعلْم وحِلْم، دعْوة بعلْم وحِلْم، لَا دعْوَى بجهْل وحَمَاقة، دعْوَى بعلْم وحِلم، **والحمدُ لله دعوة أهل السُّـنة والجماعة قائمة على العِلْم والحِلْم بإذْنِ الله** تبارك وتعالى، ولا يضـرُّها إن خالف فيها، أو خالف في ذلك بعض الأفراد أو بعض الأشخاص، وإلَّا فالأصل أنَّ دعوة أهل السُّنة والجماعة مبْنية على العِلْم، ومبْنية على الحِلْم كذلك، فالعلم بَصـيرة للدَّاعي فيما يدعو إليه، والحِلْم كذلك وسيلة ناجحة لإيصال الحقّ إلى الناس، وإقْناعِهم به، فإذا كان الشخص متعجِّلًا أحْمَقًا غافِلًا شـديدًا بَغِيضًـا فإنَّه لا ينجَح في دعوته وإن اسْـتمرَّ عُمُرَه كلَّه، فينبغي لنا أن نجتهد فيما يتعلَّق بالدعوة إلى الله عز وجل، ولكن قلْنا: **ينبغي أن يكون ذلك على علْم**، وأنَّه ينبغي لطالب العلم أن يحرِصَ وأن يجتهد على تحْصـيل العلم النافع؛ ليدعو إلى الله تبارك وتعالى على بَصـيرة، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] أي: على عِلْم ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

فالدَّاعي إلى الله عز وجل مُتأسٍّ بالنَّبي ﷺ في هذا الأمر العظيم، وفي هذا الشَّأْن الكبير.

قال رحمه الله: («المسـألة الرَّابِعَةُ: الصَّـبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ») هذه المسـألة الرابعة، الصـبر على الأذى في

تعليم العلم والدعوة إلى الله ﷻ.

أيُّها الإخوة؛ اعلموا - باركَ الله فيكُم -: أنَّ الدعوة إلى الله ﷻ أمْرُها ليس سهلًا، بلْ ينبغي للدَّاعي إلى الله تعالى أن يُوطِّنَ نفسَه على المَكَارِه، وعلى المَصَاعب، وعلى المَشاقِّ، فإنَّه لابدَّ أن يُؤْذَى، لابدَّ أن يُؤْذَى إمَّا بقول أو بفعْل، إمَّا بقول وإمَّا بفعْل، فهو بحاجةٍ أن يُوطِّنَ نفسَه على ذلك، فلا يظنُّ أنَّ الدعوة مجالها سهْل، وأنَّ طريق الدعوة مفْروشة بالوُرود، بلْ إنَّه يجد كما قلنا من المصاعِب والمَشاقّ الشيء الكثير، فيحتاج أو يُوطِّنَ نفسَه على الصبر، فمهْما أُوْذِيَ بالقول أو بالفعْل أو بغير ذلك فإنَّه يصبر على الدعوة إلى الله ﷻ، وإن ضُرِبَ، وإن سُجِنَ، وإن أُخِذَ مالُه، وإن هُدِّدَ؛ إلى آخره فإنَّه ينبغي له أن يصبر، فإذا صبرَ نجحَ بإذْن الله، ولهذا قال الله ﷻ في كتابه الكَريم: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [السجدة:٢٤].

وشيخ الإسلام ابنُ تيميةَ ؒ يقول: «بِالصَّبْرِ وَاليَقِينِ تُنَالُ الإِمَامَةُ فِي الدِّينِ» فينبغي للمتعلِّم أن يصبر على تَعلُّم العلم وعلى تبْليغ العلم، أن يصبر على تَعلُّم العلم فيجتهد في الحفْظ والمراجعة والتحْصيل واقْتنَاء الفُرَص؛ لِنَيلِ العلم والظَّفَر به، ثمَّ يصبر على الدعوة إلى هذا العلم وتبْليغ هذا العلم، فإذا صبر على هذين الأمرين فإنَّه ينجحُ في أموره وينجحُ في دعوتِه، بإذْن الله ﷻ.

والأدلَّة التي تدلُّ على وجوب الصبر كثيرة جدًا: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ**﴾ [النحل:١٢٧]، وقوله: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه:١٣٠] فالأدلَّة التي تدلُّ على وجوب الصبر كثيرة؛ من الكتاب والسُّنة.

فلا تنجح الدعوة إطْلاقًا إلَّا بالصبر، تَحَمُّل الأَذى من الناس.

قلنا: وإن حصلَتِ المُبالغة في الأَذى وحصلَت المَشَقَّة العظيمة في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فمن صبر واتَّقى الله، من صبر واتَّقى الله فإنَّه لن يضرَّه أحدٌ بإذْن الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ [آل عمران:١٢٠] لكن صبر معَ تقْوى.

بعض الأوقات الشخص قد يقول: نحن نُبْتَلَى ويُفعلُ بِنَا كذا وكذا، لكنَّه لا ينظر إلى حاله، لا ينظر إلى أعْماله، لو نظرنا إلى أحوالنا وأعمالنا لوجدْنا أنَّ عندنا خلَلًا، وعندنا نقصًا، عندنا ذنوب، عندنا معاصي، فربُّنا ﷻ اشْترط في النصْر والتَّمكِين وإعْلاء الكلِمة **الصبر معَ التقْوى**، فلا يمكن أن يحصل النَّصر والتَّمكين بخُلُوٍّ أو بعدم وجود هذين الأمرين، أو بعدم وجود أحدهما، لابدَّ من صبرٍ ومن تقْوى، فالصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأمور، ومن أعظم المَقَامات، وأجلّ الوسائل التي يسْتعملها العبد في دعوتِه إلى الله ﷻ.

قال رحمه الله: («**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر كاملة]**»).

أوْردَ المؤلِّف رحمه الله هذه السورة؛ للتَّدْلِيلِ على هذه المسائل الأربع المذْكورة؛ لأنَّها دلَّتْ عليها جميعًا، فقوله ﷻ: (﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾) تدلُّ على المسألة الأُوْلى وهي **العلم**، وقوله ﷻ: (﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾) تدلُّ على المسألة الثانية **وهي العمل به**، العمل بالعلم، وقوله: (﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**﴾) تدلُّ على المسألة الثالثة وهي الدعوة إلى العلم، والدعوة إلى الله (﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾) تدلُّ على المسألة الرابعة وهي **الصبر على تبْليغ العلم**، وكذلك الصبر على تحْصيله.

فهذا هو الشَّاهد من إِيرَادِ هذه السورة بعد هذه المسائل الأربع.

قوله: («قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-») الشافعي معروف: أنَّه محمد بن إدْريس القُرشي المُطَّلِبي، المُتوَفَّى سَنَةَ [مائتين وأربعة للهجرة] وهو أحدُ أَئِمَّة المذاهب الأربعة المشهورة، وهو إمامٌ متَّفقٌ على جَلالتِه، إمامٌ متَّفقٌ على جَلالتِه رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعة.

قوله: («لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ») هذا الأثر قد رُوِيَ بألْفاظٍ متعِدِّدَة؛ منها هذا المذْكور هنا، ومنها أنَّه رُوِيَ بلفْظ: «لو تدبَّر الناسُ هذه السُّورة لَوَسِعَتْهُم»، وجاء بلفْظ: «لو فكَّر الناس في هذه السُّورة لَكَفَتْهُم» أو بنحْو ذلك.

على كلِّ هذا الأثر لا نعلمُ له سَنَدًا ثابتًا عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّه قولٌ مشهور عنْه، ذكره غير واحد من الأَئِمَّة؛ كَشيخ الإسلام ابن تيميةَ، وهكذا تلْميذُه ابن القيم، وهكذا ذكَرَه ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه السورة، وذكَرَه غير واحد من العلماء، لكن لا نعلمُ له سَنَدًا صحيحً أو ضعيفًا أو موْضوعًا، فالله أعلم بصِحَّتِه.

والمقصود من إِيرادِ كلام الشافعي هنا: الدَّلالة على عِظَمِ شأْن هذه السورة، **المقصود من إِيرادِ كلام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ **بعد هذه السورة:** الدَّلالة على عِظَمِ شأْن هذه السورة، وعِظَمْ مكانتها ومنزلتها وما دلَّتْ عليه من المعاني العظيمة الجَليلة.

قوله: («وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ») قد دلَّتِ النُّصوص على أنَّ العلم مُقَدَّمٌ على القول والعمل، وأنَّ العمل بالعلم يكون تابعًا للعلم.

الدرس الثاني

قال المُصنف رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِل الثَّلاثِ ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].



قال الشَّارح وفَّقه الله:

تقدَّم الكلامُ على هذه الجُملة.

وقوله: («أنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ») المقصود بالوجوب هنا: الوجوب العَينِي، وأنَّه يجب على كلِّ شخصٍ تعلُّمُ هذه المسائلِ، والإقرارُ بِها.

قوله: («كُلِّ مُسْلِمٍ») أي مكلَّف («وَمُسْلِمَةٍ») أي مكلَّفة.

قوله: («تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ») أيضًا يُقالُ فيها ما قِيلَ في المسألة الأُوْلى في قوله: («أَرْبَعَ مَسَائِلَ») فهذه المسائل لا يُريدُ بها الحصْر.

قوله: («الأُولَى») هذه المسالة الأُوْلى من المسائل الثلاث التي يجب تعلُّمُها، وهذه المسألة متعلِّقةٌ بالرُّبوبيَّة، برُبوبيَّة الله ﷻ.

قال: («الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا») أي أنَّه ﷻ المُتَفَرِّدُ بخلْق جميع المخلوقات، وأنَّه ﷻ خالقُ كلّ شيءٍ، وأنَّه لا يخْلقُ أحدٌ سِواهُ.

والخلْق في اللُّغة يُطلقُ على معْنيَين:

- **المعنى الأول**: الإيجادُ والإنشاءُ والاخْتراعُ والإبْداعُ، الإيجادُ والاخْتراعُ والإيجادُ من عَدَمٍ.
- **المعنى الثاني**: يُطلقُ على التقْدير، ومنه: قول العرب: (**خلقْتُ الأدِيمَ**) أي: قدَّرْتُه قبلَ قطْعه، أو (**خلَقَ الأدِيمَ**) قدَّرَهُ قبل قطْعه. والمعنيان صحيحان في حقِّ الله ﷻ، فهو ﷻ المُوجِدُ للأشياء والمُخترِعُ لها على غير مثالٍ سابقٍ، وعلى حَسَبِ تقْديره لها، **فهو** ﷻ **الخالق لها والمُوجِدُ لها والمُنشئُ لها على غَير مثالٍ سابق**، وعلى حَسَبٍ تقْديره لها ﷻ.

هذا هو معنى الخلْق في لغة العرب.

وهذه الجملة وهي قول: («أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا») قد دلَّ عليها النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة، وكذلك إِجماعُ الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام ، وأتْباعُ الرُّسل، وكذلك دلالة العقلِ على

ذلك:

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب فكثيرة:**

منها: قوله ﷻ: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الزمر:٦٢]، وهكذا قوله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [ق:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات:٩٦]؛ فهذه الآيات وغيرها تدلُّ على أنَّ الله ﷻ هو المُتفرِّدُ بالخلْق والإيجاد والإنشاء والإبداع.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة:**

فمن ذلك: ما أخرجه الحاكمُ في «مُسْتدْرَكِه» عن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه؛ أنَّ الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**» والحديث في «الصحيح المُسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله.

والأحاديثُ كثيرة في هذا الباب.

❖ **وأمَّا دلالة العقل على أنَّ الله ﷻ خالقُ كلّ شيء، وأنَّ جميع هذه الموجودات المخْلوقة خلقَهَا الله** تبارك وتعالى، فدلالةُ العقل تدلُّ على ذلك؛ وذلك لأنَّ هذه المخْلوقات كانت في حيِّزِ العَدَم، كانت معْدومة، والمعْدوم ليسَ بشيءٍ، فلا يسْتطيع أن يخلقَ، ولا أن يُوجِدَ شيئًا، فجميعُ هذه المخلوقاتِ كانت معْدومة، قلنا: والمعْدوم ليسَ بشيءٍ، ولا يفعلُ شيئًا.

وهكذا العقلُ يدلُّ على أنَّ هذه المخلوقات مُحْدَثَةٌ، مُحْدَثَةٌ بعدَ أن لم تكن، والمُحْدَثُ لابدَّ له من حَادِث، المُحْدَثُ لابدَّ له من حَادِث يُحْدِثُه، لا يمكن أن المُحْدَث يُحْدِثُ نفسَه بلْ لابدَّ له من مُحْدِث يُحْدِثُه، فإذًا دلالة العقل تدلُّ على أنَّ هذه المخلوقات خلقَهَا الله تعالى،

وأنَّ لها خالقٌ ومُوجِدٌ ومُخْتَرِعٌ على غير مثال سابق وهو الله ﷻ.

وهذا لا خلاف فيه عندَ جميع المِلَلِ إلَّا مَن شذَّ، بلْ حتى عند عامَّة الكفار والمشركين، ولهذا أخبر الله ﷻ عن المشـــركين أنَّهُم يُقرُّونَ أنَّ اللهَ هو الذي خلقَ الســـماء والأرض وما بينهما، وأنَّه هو الذي خلقَ جميع الخلائق، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزمر:٣٨]، ولا يُنكرُ هذه المسـألة إلَّا الشَّـواذ من الناس، إلَّا الشَّـواذ من الناس كما هو الحال عند أصـــحاب الطبيعة الذين يقولون: إنَّ الطبيعة هي المؤثِّرةُ بنفســـها، فهي الخالقة لِمَا فيها، وهذا لا شـكَّ أنَّه كلامٌ فاسـدٌ بدلالة النُّصـوص الشـرعية، وبدلالة الأدلة العقلية، فالطبيعة لا تخْلق، ولا تُحْدِثُ شـيئًا، ولو قِيلَ: إنَّ الطبيعة هي التي تخْلق، وهي التي تُوجد، فمَن خلقَ الطَّبيعة؟!! الطبيعة مخلوقة.

فالقائلُون بهذا شَـــواذٌّ من الناس، ونزْرٌ يَســير، ويُمثِّلُهم الآن الشُّـــيوعِيَّة في العالم الموجود، فالشُّيوعِيَّة يُنكِرُون أنَّ الله ﷻ هو الخالق لهذه الأشياء، ويَردُّون الأمور إلى الطبيعة.

عمومًا: هذه المسـألة وهي مسـألة (خلْقُ اللهِ للأشـياءِ) عامَّة الخلائق مُقرَّةٌ بها إلَّا من شـذَّ، كما تقدَّم.

قوله: («وَرَزَقَنَا») أي أنَّه ﷻ هو المُتفرِّدُ برزْق الخلائق فيما يحْتاجُون إليه، وما ينتفعُون به في إقامة أبْدانهم وحياتهم، فهو ﷻ المُتفرِّدُ بجميعِ ذلك، فجميع الخلائق لا تســـتطيع أن ترْزق نفسها، ولا أن ترْزق غيرها؛ لأنَّ الرزْق هو من عند الله ﷻ، وهو المَالِكُ له، والمُتفرِّدُ به ﷻ.

وقد دلَّت على هذه الجملة النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة وإِجماع الأُمَّة.

❖ أمَّا أدلة الكتاب فكثيرة:

منها: قوله ﷻ: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود:٦]، وهكذا قوله ﷻ: ﴿**وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [العنكبوت:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات:٥٨]؛ إلى غير ذلك من الآيات.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة:**

منها: ما جاء في «السُّنَنِ»: عن أنس بن مالكٍ ﵁؛ أنَّ الرسول ﷺ لمَّا سُئِلَ أن يُسَعِّرَ لهم، قال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّازِقُ الْقَابِضُ البَاسِطُ**» وغير ذلك من الأحاديث التي تدلُّ على أنَّ اللهَ هو الذي يرزْق.

ومن ذلك: حديث ابن مسعود عندما يُرسِلُ الله ﷻ مَلَكًا إلى الرَّحِم، فيُؤْمَرُ بكتابةِ رزْقِه وعملِه وشَقيّ أو سعيدٍ .. إلى آخره.

والرِّزْق المُضافُ إلى الله ﷻ نوعان:

- **النوع الأول**: رزْقٌ عامٌ، فيشمل هذا الرزق جميعَ الخلائق من الكفار والمؤمنين وسائر المخلوقات والحيوانات، فهذا الرزق العام تشْتركُ فيه جميعُ الخلائق.

وقد يكون هذا الرزق حلالًا أو حرامًا عند أهل السُّنَّة والجماعة.

- **النوع الثاني**: رزْقٌ خاصٌ، وهو ما يَرزقُ الله به أهلَ الإيمان رزْقًا خاصًّا حلالًا طيبًا مُبارَكًا، فهذا رزْقٌ خاصٌّ يكون لأهل الإيمان.

وهذا الزرق الذي هو الرزق الخاص قال أهلُ العلم: هو قسمان:

- **الأول**: رزْق القلوب بالعلم والإيمان والمعرفة والاسْتقامة على دينِ الله ﷻ.
- **الثاني**: رزْق الأبدان، ما تقوم به الأبدان وما تقوم به الحياة.

إذًا الرزق من خصائص الله ﷻ، فهو المُتفرِّدُ بذلك، وهو الذي يرزق جميع الخلائق، بَرَّهِم وفاجِرهم، مُكلَّفِهم وغير مُكَلَّفِهم.

قوله: («وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا») لم يتْركنا أي: نحنُ بني آدم، وهكذا سائر المُكلَّفين، وقوله: («هَمَلًا») أي مُهْمَلِين، **والهَمَلُ** هو السُّدَى والضياع.

ومعنى هذا: أنَّ الله تعالى خلقَ الخلْق لحكمةٍ عظيمة، وهذه الحِكمةُ هي **عبادته** ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].

وقد دلَّت النُّصوص الكثيرة على هذه الجملة أنَّ الله ﷻ لم يخلق الخلق هملًا ولم يتْركهُم سُدًى؛ كقوله ﷻ: ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [القيامة:٣٦] أي: مُهمَلًا لا يُؤمرُ ولا يُنهَى ولا يُكَلَّفُ، فالله ﷻ ما خلقَه على هذه الحال، وعلى هذا الوصف، وهكذا قوله ﷻ: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٥]، وهكذا قوله ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**﴾ [الدخان:٣٨]، وقوله: ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الأحقاف:٣]، فكلُّ هذه الأدلَّة تدلُّ على أنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق هملًا، ولم يتْركْهُم سُدًى بلْ خلقَهُم لحِكمة عظيمة، فيُؤمَرُون ويُنهَوْن ويُكَلَّفُون بالعبادات والطَّاعات وسائر القُرُبات.

قوله: («بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا») المقصود به: محمد ﷺ، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة:١٢٨]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [النساء:١٧٠]، ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الأحزاب:٤٥].

قوله: («فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ»).

الضمير في قوله: («أَطَاعَهُ») و («عَصَاهُ») عائدٌ على الرسول، الضمير في قوله: («فَمَنْ أَطَاعَهُ») وقوله: («وَمَنْ عَصَاهُ») الضمير عائدٌ على الرسول ﷺ، أي: **من أطاعَ الرسول أو عصى الرسول**، وهذه الجملة وهي قوله: («فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ») دلَّت عليها النُّصوص الكثيرة من كتاب الله ﷻ ومن سُنَّة رسوله ﷺ.

من ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣- ١٤]، وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب:٧١]، وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾** [الأحزاب:٣٦].

وأخرج البخاري في «صحيحه»: عن أبي هريرةَ ؓ؛ أنَّ الرسول ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ:** «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ**»، فهذه بعض أدلَّة هذه الجملة.

وقوله: («فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ») هذا بيانٌ لعَاقبة الطَّائعين، ما عاقبتُهم وما جزاؤُهم؟ دخول الجنَّة.

ودُخول الجنَّة له مرتبتان:

- **المرتبة الأُوْلى**: دُخولٌ أوَّليّ غير مُسْــبُوقٍ بعذاب، وهذه المرتبة هي في حقّ الأولياء المُقرَّبين، والمســارعين والمسـابقين في فعْل الخيرات وفعْل الطاعات، ويدخل فيهم: الأنبياء والرُّسل، والعلماء، والصَّالحون، ومن شاءَ الله من عبادِه المؤمنين.
- **المرتبة الثانية**: دُخولٌ مسْــبُوقٌ بعذاب يعني ليسَ دُخولًا أوَّليًا، وهذه المرتبة أدلَّتُها كثيرة؛ منها أدلَّة دخول بعض عُصاة المؤمنين النار، قلْنا: دُخولٌ مسْبُوقٌ بعذاب، وهذه المرتبة في حقِّ مَن شــاءَ الله ﷻ أن يُعذِّبَه من أهل التوحيد ومن عُصــاة المؤمنين، فقد دلَّتِ النُّصوص الكثيرة المُتواترة من سُنَّة رسول الله ﷺ على أنَّ بعض عُصاة المؤمنين، وبعض مُذْنِبي الموحِّدين يدخلون النار، فيُعذَّبُون بقدْر ذُنُوبِهم ومعاصيهم ثمَّ بعد ذلك يخرجون من النار ويكون مآلُهم إلى الجنَّة.

إذًا دُخول الجنَّة ليس على مرتبة واحدة بلْ هو على هـاتين المرتبتين: (دُخولٌ أوَّليّ غير مسْبُوقٍ بعذاب، ودُخولٌ مسْبُوقٌ بعذاب).

قوله: («وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ») هذا أيضًا بيانٌ لعَاقبة العُصاة.

ودُخولُ النار كذلك له مرتبتان:

- **المرتبة الأُوْلى**: دَخولٌ أَبَدِيٌّ سـرْمديٌّ لا نِهَاية له ولا انقطاع له، وهذا في حقِّ الكفار والمشـركين والمنافقين النفاق الاعْتقادي، فهؤلاء إذا دخلوا النار فلن يخرجوا منها، بلْ هُم باقُون فيها على الدَّوامِ والاسْتمرار.
- **المرتبة الثانية**: دُخولٌ أَمَدِيٌّ إلى أجلٍ مُعيَّن ثمَّ بعد ذلك الخروج من النار ودُخول الجنة، قلنا: وهذا في حقِّ مَن شاء الله ﷻ تعذيبَهم من عُصاة المؤمنين وبعض المُذْنِبين من أهل التوحيد.

فهذا هو معتقد أهل السُّنة والجماعة.

أمَّا الوَعِيديَّة فإنَّهم يقولون: مَن دخل النار فلا يخرج منها، وهذا ضلالٌ مُبين، وانحرافٌ عظيم مخالفٌ لنُصوص الشريعة من الكتاب والسُّنة، **فإذًا دُخول النَّار على هَاتين المرْتبتَين.**

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى») أي الدَّليل على أنَّ الله خلقَنَا ورزقَنَا وأرسـلَ إلينا رسـولًا يأمرنا وينهانَا.

(«﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾») المقصود بالرَّسول في الآية: محمد ﷺ، الرسول المذْكور في أوَّل الآية («﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾») المقصود بالرَّسول في آخر الآية: كَلِيمُ الله موسى عليه السلام («﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾») يعني: عصَى فرْعونُ موسَى عليه السلام فأخَذَهُ الله أخْذًا شديدًا عظيمًا مُهْلِكًا، فقوله: (﴿وَبِيلًا﴾) أي شديدًا مُهْلِكًا.

ووجْهُ إِيراد هذه الآية: الدَّلالة على أنَّ من عصَى الرسول ﷺ معْصيةً مطلَقَة فهو من أهلِ النار، وأنَّه مُعَرَّضٌ للعقاب والعذاب، كما أهلكَ الله ﷻ فرعونَ عندما عصى موسى عليه السلام.

المسألةُ («**الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]**») وذلك لأنَّ الله تبارك وتعالى وقبلَ ذلك هذه المسألة معلَّقةٌ بأُلُوهيَّة الله ﷻ، أو بإلهية الله جل جلاله، فالأُوْلى متعلِّقة بالرُّبوبيّة، والثانية متعلِّقة بالإلهيِّة.

فقوله: («**الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ**») وذلك لأنَّ الله ﷻ هو المسْتحقُّ للعبادة كلِّها، وأنَّه ﷻ المُتفرِّدُ بذلك، وأنَّه لا يسْتحقُّ أحدٌ من الخلق أن يُعبدَ من دونِ الله جل جلاله، فالذي يستحق العبادة وحده هو الله تبارك وتعالى، فلا يستحقُّ أحدٌ من المخلوقين العبادة من الملائكة أو الأنبياء أو الرُّسل أو الإنس أو الجن أو الأحجار أو الأشجار أو الأوثان فكلُّ هذه لا يجوز أن تُعبدَ؛ لأنها مخلوقة، والمخلوق لا يجوز أن يُعبد ولا أن يُألَّهَ من دون الله تبارك وتعالى؛ لأن العبادة والتَّألُّه لا يكونان إلَّا لله وحده جل جلاله، ولا يشاركه في ذلك أحدٌ من المخلوقين.

❖ **وقد دلَّ على هذه الجُملة النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة:**

منها: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

ومنها: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] وعبادة الله وعبادة غير الله من الكفر والشرك.

❖ **وهكذا**: روى مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرةَ ﷺ؛ أنَّ الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى اللهُ أَمْرَكُمْ وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**».

❖ وقد أجمع السَّلف بلْ أجمعَ الأنبياء والرُّسل وأتباع الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام على أنَّه لا يجوز أن يُعبدَ غيرُ الله، وأنَّ الله ﷻ هو المُتفرِّدُ بجميعِ العبادات والطَّاعات.

وقوله: («أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ») كذلك لا يرضَى الله ﷻ أن يُجعلَ له شريكًا في خصائص رُبوبيَّته، وما يتعلَّق برُبوبيَّته، فلا يُفهم من هذا أنَّه يجوز أن يُشرِكَ معه في الرُّبوبيَّة؛ لأنَّه خصَّ نفْي الشريك في العبادة والإلهية، لا؛ وإنَّا خصَّ المؤلِّف العبادة لأنَّ غالب شرْك بني آدم هو في العبادة والإلهية، وأنَّ أكثر بني آدم مُقرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، فكما أنَّه ﷻ لا يَرضَى أن يُعبدَ معه أحدٌ فكذلك لا يَرضَى أن يُعجلَ معه شريكٌ في رُبوبيَّه، وهكذا شريكٌ في كمالِ أسمائه وصفاته ﷻ.

قوله: («لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ») إنَّما خصَّ هؤلاء لأنَّ الملائكة والأنبياء والرُّسل هم من أجلِّ عباد الله المُقرَّبين المُعظَّمين عند الله ﷻ، فإذا كان هؤلاء لا يسْتحقُّون العبادة، ولا يجوز أن يُعبدوا من دون الله ﷻ فغيرهم من بابٍ أَوْلى، من الصالحين أو من غير الصالحين، وكذلك من الأحجار والأوثان بلْ عبادة الأحجار، والأوثان، والأصنام، والقبور أظْهر في الضلالة، وأظْهر في الانحراف، وأظهر في الحَماقةِ؛ لأنَّ هذه أشياء ليستْ مُكلَّفة ولا تسْمع ولا تعقل، فإذا كان الملائكة لا يسْتحقُّون العبادة والأنبياء والرُّسل لا يستحقُّون العبادة معَ

جلالتهم وعُلوّ منزلتِهم ورفْعَة مكانتهم عند الله ﷻ فغيرُهم من بابٍ أَوْلى .... ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، فالله ﷻ ما أمَرَ بعبادة الملائكة، ولا بعبادة الأنبياء، وأخبرَ أنَّه ليس هناك مَلَكٌ من الملائكة، ولا نبيٌّ من الأنبياء يدعو إلى عبادة نفسه، وإلى تألِيهِ نفسه، فنفَى الله ﷻ عنهم ذلك، فإذا كان هؤلاء لا يُعبَدُونَ ولا يستحقُّون العبادة.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]»).

قوله: («﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾») المقصود بالمساجد: **الأماكن المُعَدَّة للصلوات وإقامتها**، المُعَدَّة للصلوات وإقامة الصلوات، وهي المساجد المعروفة، وهذا قول جمْع من المفسِّرين، ومن أهل العلم مَن يقول: أنَّ المقصود بالمساجد هنا: أعضاء السجود، والأظهر أنَّ المقصود بالمساجد **المساجد المعروفة**.

وقوله: («﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾») المقصود بالدعاء هنا: **دعاء العبادة المُتضمِّنُ لدعاء المسألة**، والمعنى: اخْلُصوا لله ﷻ في عبادتكم؛ في المساجد وفي غيرِها، ولا تجعلُوا لله ﷻ شريكًا في ذلك كما فعَلَت اليهود والنصارى، فإنَّ النصارى واليهود يجعلون لله تعالى شريكًا في كنائسهم وبِيَعِهم، فيعبُدون معَ الله غيره، كما هو معلوم أنَّ النصارى يعبُدون عيسى، وأنَّ كثيرًا من اليهود يعبُدون عُزيرًا من دون الله ﷻ، فأمرَ الله ﷻ العباد وهذه الأُمَّة بإخلاص العبادة له، ونفْي الشريك عنه ﷻ.

هذا خلاصة الكلام على المسألة الثانية.

قوله: («الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ») هذه المسألة

متعلِّقةٌ بأصْل من أُصول الإسلام، وقاعدة من قواعِده، وهذا الأصل هو أصلُ الوَلاء والبَراء، الوَلاء للمؤمنين المتَّقين المُوحِّدِين، والبَراء من الكافرين المشـركين المنافقين، فهذا أصـلٌ من أُصول الإسلام، والتي لا يصح الإسلام إلَّا بها، فلا يصح إسلامُ عبدٍ من العبادِ إلَّا بتحْقيق هذا الأصْـل، مُوالاة مَن أمرَ الله بمُوالاته، ومُعاداة مَن أمرَ الله ﷻ بمُعاداتِه، فهذه ثمرةُ العمل بالإسلام، أو من ثمار العمل بالإسلام.

والنُّصوص التي تدل على وجوبِ تحْقيق هذا الأصل كثيرة:

منها قوله ﷻ: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة:١].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٤].

ومنها قوله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة:٤].

والآيات في هذا الأمر أو في تقريرِ هذا الأصل كثيرة جدًّا، ونكْتفي بما ذكرْناه.

❖ **وأمَّا الأدلَّة من السُّنَّة:** ما أخرجه أبو داود عن أبي أُمَامَة ﷺ؛ أنَّ الرسول ﷺ قال: «مَنْ

أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى للهِ، وَعَادَا فِي اللهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

ومن ذلك: ما رواه الطَّبراني في «الكبير» عن ابن عباس ﷺ؛ أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ: المُوَالَاةُ فِي اللهِ، والمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالمَحَبَّةُ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**» والحديث صحَّحه العلامة الألْباني رحمه الله بجميع شواهدِه وطُرُقِه.

❖ وأجمعَ السَّــلفُ على وجوب مُعاداة الكافرين وبُغْض الكافرين، وعلى وجوب محبَّة المؤمنين ومُوالاة المؤمنين.

والموالاة معناها: المَحَبَّةُ والنُّصْرة والقُرْب.

والمُعاداةُ معناها: البُغْض والكَراهة والمخالفة والمُشاقَّة.

إذًا أهل الإيمان يُوالُون المؤمنين المُوحِّدِين، ويُعادُون ويُبغِضُون الكافرين المشـركين الذين أشركوا بالله تبارك وتعالى.

والموالاة للكافرين نوعان:

- **النوع الأول:** مُوالاة كُبرى مُخرِجَةٌ من المِلَّة، وهـذه الموالاة هي بمعنى «التَّوَلِّي»، ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾، و ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُــلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء:١٤٤].

فهذه الموالاة الكُبرى.

هذه الموالاة الكُبرى معناها: محبَّة الكافرين ونصـرتُهم، محبَّة الكافرين لِدِينهم وعقيدتِهم ومنهجِهم وطريقتِهم ومسـلكِهم، هذه الموالاة هي التي تُخرجُ صـاحبَها من الملَّة، وهكذا

مُعاونة الكافرين على المسلمين لأجلِ دينهم أيضًا هي موالاة كبرى مُخرِجةٌ من المِلَّة.

- **النوع الثاني**: موالاة غير مُخرِجة من المِلَّة وهي الموالاة الصغرى، ومعنا هذه الموالاة: محبَّة الكافرين أو بعض الكافرين والمشركين لا لِدينهم وعقيدتِهم، وإنَّما لأجل المصالح الدنيوية، والمنافع الدنيوية.

هذه الموالاة لا تخرِج صاحبها من المِلَّة ولكنَّها كبيرة من كبائر الذنوب، ويُخشَى على صاحِبها من الكُفْر إذا تعدَّى وتَجاوز في ذلك، فلِهذا ليس كلُّ مَن والَى الكفار يكون كافرًا، وإنَّما هو على هذا التفصيل أو على حسبِ هذا التقسيم، فمن كانت مُوالاتُه ومَحبَّتُه للكافرين لأجل دينِهم وعقيدتِهم وطريقتِهم فهذه موالاة كُبرى مُخرجة من المِلَّة، وفاعلُها كافرٌ مُرتدٌّ عن دِين الإسلام، ومَن والَى الكافرين لأجل المصالح الدنيوية والمنافع الدنيوية لا لأجل الدين والعقيدة والمسلك والطريقة التي هم عليها فهذه الموالاة لا تُخرج من المِلَّة، وإنَّما هي كبيرة من كبائر الذنوب؛ لدلالة النُّصوص الشرعية.

وقد تكون هذه الموالاة في بعض الأحيان مباحة، وهذا يكون في حالات مخْصوصة، وفي حالات مُسْتثْنَاة؛ كمَحَبَّة الوالدَين المشركَين الكافرَين، هي نوعٌ من الموالاة، لكن هذه قد تكون مباحة، وهكذا محبَّة الرجل لزوجته الكِتَابِيَّة، ونُصْرتُه لها لا لدينها، لكن لشخْصها وذاتِها، هذه أيضًا الأصل أنَّها قد تكون مباحة إلَّا إذا دخل في ذلك شيءٌ من محبَّة دينِها فقد تصل إلى الموالاة الكُبرى المُخرِجَة من المِلَّة.

ثمَّ ذكر المؤلف رحمه الله قوله: («﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢]») **وجْهُ إيراد هذه الآية**: للدَّلالة على وُجوب مُعاداة الكفَّار، تحْريم موالاتِهم، وأنَّ موالاة الكفار من كبائر

الذنوب بلْ وإنَّ ذلك قد يكون مُخرجًا من المِلَّة، ومن عادَاهُم وأبغضَــهم وحقَّق هذا الأمر فإنَّ الله ﷻ قد وعدَه بالثواب الكبير والأجر العظيم.

الدرس الثالث

قال المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. **وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.**

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٥].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم.



قال الشّارح وفّقه الله:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قول المؤلف: («**اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**») قلنا: هذا أسلوبٌ سلَكَه المؤلف لشَحْذِ الطالب وكذلك تنبيهِهِ على الاهتمام بما يُلْقَى إليهِ من العلم، وأيضًا هذا من حُسْن التعليم وحُسْن

التلطُّف بطالب العلم، حيث أنَّه دعا له أولًا بالرحمة، ثمَّ دعا له بالهداية والإرشاد.

فقوله: («اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ») «أرْشدَك الله» أي: هداكَ إلى الرُّشْد وَوَفَّقَكَ إلى ذلك.

والرُّشْد: هو ضِدُّ الغِي.

قوله: («أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ») الحَنيفية مأخوذة مِن «الحَنف»، **والحَنفُ**: هو المَيلُ عن الشيء إلى غَيره، **والحَنيف**: هو المائِل، فالحَنيف هو المائِل عن الشرك إلى التوحيد قصْدًا وإخلاصًا، وهو أيضًا: المُقبلُ على الله تعالى، المُعرض عن كلِّ ما سِواه، هذا هو الحَنيف.

بمعنى: أنَّه بلغَ المرتبة العالية والكاملة في العبادة والطاعة لله ﷻ.

وحقيقة الحَنيفية التي بُعِثَ بها إبراهيم عليه السلام: إخلاص العبادة لله تباركَ وتعالى، وإفرادُه بذلك، أو: إفراد الله ﷻ بجميع العبادات القَولية والعملِية الظاهرة والباطنة، والإخلاص له في كلِّ تلْك العبادات، هذه هي الحُنيفية.

وقوله: («مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ») قوله: «مِلَّة» تُعتبرُ بدلًا من «الحَنيفية» ليست تفسيرًا للحَنيفية، ولهذا هيَ منصوبة («اِعْلَمْ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ») وليس «مِلَّةٌ»، «مِلَّةً» معناها هي بدل، («مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ»).

وأمَّا تفسير الحَنيفية فقد قال: («أَنْ تَعْبُدَ اللهَ») إلى آخره.

فقوله: («مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ») يعني هذه هي المِلَّة وهذا هو الدِّينُ الذي بُعِثَ به إبراهيمُ الحَنيفية السَّمْحَة، **إفراد الله تعالى بجميع العبادات والإخلاص له في ذلك.**

والمِلَّة - بكسْر الميم - في اللُّغة هي: الدِّين، فيُقال: **مِلَّة الإسلام أي دين الإسلام**، مِلَّة النصارى دِين النصارى، مِلَّة اليهود دين اليهود، مِلَّة المجوس دين المجوس، فالمِلَّة في اللُّغة:

هي الدِّين، صحيحًا كان أو فاسدًا، وبهذا نعْلمُ أنَّ المِلَّة التي وَرَدَتْ في النُّصوص وذُكِرَتْ في النُّصوص تنقسم إلى قسمين، أو هي نوعان:

- **النوع الأول**: مِلَّة صحيحة، وهي: المِلَّة التي بُعِثَ بها الأنبياء والرُّسل مِلَّة الإسلام، ومِلَّة التوحيد، ومِلَّة الإيمان والإخلاص لله ﷻ، هذه هي المِلَّة الصحيحة.

ومنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [النحل:١٢٣] فالمِلَّة هنا **المِلَّة الصحيحة**.

وهكذا قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [يوسف:٣٨] فالمِلَّة هنا المِلَّة الصحيحة.

- **النوع الثاني**: المِلَّة الفاسدة الباطلة، وهي مِلَّة الكفْر والشرك.

ومن ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف:٨٨] المراد بالمِلَّة هنا **مِلَّة الكفر والشرك**، فالمِلَّة الواردة في النُّصوص على هذين النوعين: ملَّة صحيحة وهي مِلَّة التوحيد والإيمان والإسلام، ومِلَّة فاسدة باطلة وهي مِلَّة الكفر والشرك.

وقوله: («أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ») **أراد بهذا تفسير المِلَّة الحنيفية، وذكرنا أنَّ المِلَّة الحَنيفية هي: إفْراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات والإخلاص له في ذلك.**

والعبادة معنها في اللُّغة: الخُضوع والتَّذلُّل.

وأمَّا في الشرع: فهي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّهُ الله ويَرْضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة - هذا أحسن ما قِيلَ في تعريف العبادة -.

وقوله: («وَحْدَهُ») هذا تأكيدٌ لِمَا سبقَ.

بمعنى: أنَّه لا يجوز لمسلمٍ أن يصرفَ شيئًا من العبادات القولية، أو العمَلية، أو القلْبية، أو الظاهرة، أو الباطنة لِغير الله، وإنَّما جميعُ العبادات كلُّها لله تباركَ وتعالى.

وقوله: («مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ») هذا شرطٌ في صِحَّة العبادة، وهو الإخلاص لله جلَّ وعلا، فالعبادةُ لا تُقبلُ إلَّا بهذا الشرط، يعني من جُملة الشروط هذا الشرط وهو: الإخلاص لله ﷻ، فلم لم يُخلص العبد في عبادتِه لله تعالى لم تكن هذه العبادة مقبولة بلْ هي مرْدُودة.

والإخلاص معْناه: **إرَادةُ وجْه الله تعالى بالعمل، وتصْفية النّية بالقصْد مِمَّا يُضاد ذلك ويُنافيه**، هذا هو حقيقة الإخلاص أن يقصدَ العبدُ بعملِه وجْهَ الله تباركَ وتعالى، فلن يقصدَ بذلك سُمْعةً، ولا رِياءً، ولا طلب حاجة من حوائج الدنيا ولا منفعة من منافع الدنيا، وإنَّما أرادَ بعمله وجْه الله ﷻ، فهذا هو حقيقة الإخلاص إرادة وجْه الله تعالى بالعملِ، وتصْفية النية والقصْد مِمَّا يُضاد ذلك ويُنافيه.

والذي يُنافي ذلك ويُناقِضُه طلب الرياء، إرادة الرياء، إرادة السُّمعة، إرادة الدنيا بالعمل، إلى آخره، فكلُّ هذه الأمور تنافي الإخلاص وتُناقِضُه.

وحقيقة الإخلاص أنه مشْتقٌّ من الخُلُوص وهو **الصَّفاء والنَّقاء**، فالشيء الخالص هو الصافي النَّقِي، الصافي من الشوائب، والنَّقي من المَعائب، هذا هو حقيقة الإخلاص.

وأنتم تعلمون مكانة الإخلاص وأهمِّية الإخلاص، فالإخلاص أمْرُه عظيم في جميع العبادات، ومنها **طلبُ العلم**، فيجب على طالب العلم أن يُجاهدَ نفسه على ابْتغاء الإخلاص في طلبِه للعلم، فإذا طلبَ العلم وهو غيرُ مُخلصٍ فيُخشَى عليه من الانحراف، من التَّرْك، من

الزَّيغ - عياذًا بالله تعالى - ولهذا قال حمَّادُ بن سَلَمَةَ رحمه الله: «من طلبَ العلم لغيرِ الله مُكِرَ بِه» فنحنُ جميعًا وإيَّاكم يجبُ علينا أن نُجاهدَ أنفســنا في طلبِ العلم، في الإخلاص في طلب العلم، وأن نُخلصَ لله تباركَ وتعالى في ذلك، فنَنْوي بذلك رفْع الجهْل عن أنفسِــنا، ورفْع الجهل عن غيرنا، ونَنْوي بذلك تعْليم الناس، ونَنْوي بذلك التَّقرُّب إلى الله تباركَ وتعالى، والنُّصوص كثيرة التي تدلُّ على وجوبِ الإخلاص في طلبِ العلم وفي غيره.

ومن أعظم أســباب تمكُّن طالب العلم من العلم، وأعظم أســباب تحصــيل العلم والفتْح في العلم **الإخلاص لله تعالى فيه**، فمن أخلصَ في طلب العلم وفَّقَه الله وفتحَ عليه فتْحًا عظيمًا، بخلاف الذي لا يكون مُخلصًــا في طلبِه للعلم فهذا قد يتحصَّــل، قد يكون عنده ذكاءٌ وعنده حفظٌ، لكنَّه لا يُوفَّق إلى العمل، ولا يُوفَّق إلى الاسْــتمرار في ذلك، قد ينحرف، قد يَضِــل، قد يُمكَر بِه، إلى آخره.

فينبغي لطالبِ العلم أن يجاهد نفسَــه على الإخلاص، وأقوال السَّــلف في هذا الباب كثيرة جدًّا، فنُجاهد أنفسَنا نحنُ وإيَّاكم على الإخلاص لله تعالى في طلبِنا للعلم، ولهذا كما قلْنا: أنَّ طالب العلم إذا لم يُخلصْ في طلبِه للعلم ولم يعمل بعلْمه أن هذا يُعتبر من العذاب العاجل، عُجِّلَ له العذاب، لماذا عُجِّلَ له العذاب؟! لأنَّ طالب العلم يَبذُل وقتًا، يَبذُل جُهْدًا كبيرًا، ويَبذُل وقتَه ومالَه وعمرَه وحياتَه، ويجد من المَتاعب والمَشاق والمُنغِّصَات وترْك الملذَّات والدنيا الشــيء الذي تعْرفونه، فإذا لم يكن مخلصًــا فهذا نوعٌ من العذاب، فهو يَبذُل جُهْدًا في الحفظ، يَبذُل جُهْدًا في الاسْــتماع للعلم، يَبذُل جُهْدًا في المراجعة، يسْــهر، تفوتُه حظوظ كثيرة من الدنيا وملذَّات كثيرة من الدنيا، يتعب في تلقِّيهِ للعلم، هذا إذا لم يكن مُخلصًــا، ولم يكن

عاملًا فهو عذابٌ عاجلٌ لطالبِ العلم، فيجب علينا جميعًا أن نُجاهد أنفسَــنا، ونعوذُ بالله من الخذْلان.

قوله: («وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ») يعني أمرَهم بإفْراده بالعبادة والإخلاص له، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْـرِكُوا بِهِ شَــيْئًا﴾ [النســاء:٣٦]، وكما قال ســبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال: («وَخَلَقَهُمْ لَهَا») الضــمير عائدٌ إلى الحَنيفية، أي: وخلقَهم لاتِّبَاع المِلَّة الحَنيفية مِلَّة إبراهيم عليه الســلام، وهي عبادةُ الله وحدَه دونَ ما سِــواه، والإخلاص له في ذلك («كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾»).

مناســبة ذكْر الآية هنا: هو الدَّلالة على وجوب الإخلاص لله تعالى، وَوُجوب إفْراده بالعبادة والبُعْد عن كلِّ ما يُناقِضُ ويُنفي المِلَّة الحنيفية، هذه هي المناســبة التي لأجلِها ذُكِرَت هذه الآية في هذا الموضع.

وقوله: («﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾») الجنُّ عالمٌ غَيبي خُلِقُوا من نار، وسُــمُّوا بذلك: لاجْتنانِهم أي: اسْــتتارهم، فهم مسْــتورون عن الأعْيُنِ والأنظار، كما قال ســبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ فسُــمُّوا لأجل ذلك لاســتتارهم واخْتفائهم عن الأنظار والأبْصار والمُشاهدَة.

قوله: («﴿وَالإِنْسَ﴾») الإنس هو بَنُو آدم والبشــر، والواحد منهمي إِنْسِــي، وسُــمُّوا بذلك؛ لحاجتِهم إلى المُؤَانسة، فهم لا يعيشون إلّا بالمُؤَانسة، فيأْنَس بعضهم إلى بعضٍ، والمُؤَنِة: **الطُّمَأْنِينَة**، وقال بعض أهل العلم: «إنَّما سُمِّيَ الإنسان إنسانًا باعْتبار نَسيانه، لأنَّه يَنسى» ولهذا

قال بعض الشُّعراء:

وَمَا سُـمِّيَ الإِنْسَـانُ إِلَّا لِنَسْـيِهِ وَمَـا الـقَـلْـبُ إِلَّا أَنَّـه يَـتَـقَـلَّـبُ

ذكر بعضُ أهل العلم هذا.

والذي يظهر - والله أعلم-: أنَّ الإنسان سُمِّيَ بذلك للأمرَين:

- **الأمر الأول**: لأنَّه يَحتاج إلى المُؤَانَسة.
- **الأمر الثاني**: لأنَّه يَنسى.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه؛ أنَّه قال: «إنَّما سُـمِّيَ الإنسانُ إلَّا لأجل أنَّه ينسى، أو أُخِذَ عليه العهْد فنَسِـي» والأثر يحتاج إلى بحْثٍ في صِـحَّته، لكن قد ذكر هذا أهلُ اللُّغة وغيرهم، قلْنا: ولا يَمنع أنَّ الإنسان سُمِّيَ بذلك سُمِّيَ إنسانًا للأمرَين: لحاجته إلى المُؤَانَسة، وكذلك لأنَّه يَنسى.

وقوله: («﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾») هذه هي الحِكمة والغَاية التي من أجلِها خلَقَ الله ﷻ العباد لعبادتِه تباركَ وتعالى - و «اللام» هنا هي «لام الحِكْمة» -.

وقوله: («وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ») هذا قولُ المؤلف رحمه الله، قد قال به جمْعٌ من المفسِّرين: أنَّ معنى قولِه تعالى: («﴿لِيَعْبُدُونِ﴾») أي: يُوحِّدُون.

وعامَّة المفسِّرين أو أكثر المفسِّرين: على أنَّ المقصود بالعبادة هنا جميع العبادات، وأنَّ المقصود بذلك أنَّ الله ﷻ خلَقَهم لعبادتِه بما شرعَ من العبادات وإفْرادِه بذلك، وعلى هذا فقولُ المؤلف ومَن وافقَه من أهل العلم يُوحِّدُون فهذا تفسيرٌ لهذه الجُملة ببعضِ معَانيها.

قوله: («وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ») **نَعم أعظمُ ما أمرَ اللهُ به التوحيد، وذلك لأُمور:**

- **الأمر الأول**: أنَّ التوحيد هو حقُّ الله الخالص الذي لا يُشاركُه فيه أحدٌ من الخلْق.
- **الأمر الثاني**: أنَّ التوحيد أصلٌ في صِحَّة الإيمان، وأساسٌ في قَبُولِهِ.

ومعنى هذا: لو أنَّ شخصًا آمنَ بالله وبِرُسُلِه عليهم الصلاة والسلام وأقرَّ بجميع شرائع الإسلام ولكنَّه يعبد غير الله؛ يعبد القبر، يطوف حول القبر، يسجد للقبر، يذبح للقبر، إلى آخره هذه إيمانُه غير مَقبول، وإسلامه غير صحيح، إذًا التوحيد أصلٌ في قَبُولِ الإيمان وأساسٌ في صحَّته.

- **الأمر الثالث**: أنَّ التوحيد شرطٌ في صحَّة جميع العبادات، فلا تُقبل عبادة من العبادات إلَّا بتوحيد الله تباركَ وتعالى، فإذا لم يوجد التوحيد فالعبادة غير مقبُولة.
- **الأمر الرابع**: أنَّ التوحيد يَعصمُ المالَ والدَّمَ والعَرض، أنَّ التوحيد يَعصمُ مالَ المسلم وعَرْضَه ودَمَه، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة.
- **الأمر الخامس**: أنَّ التوحيد يُوجِبُ دخولَ الجنَّة والخلود فيها.
- **الأمر السادس**: أنَّ التوحيد سبَبٌ للعِزِّ والنصْر والتَّمْكِين في الدنيا قبل الآخِرة.
- **الأمر السابع**: أنَّ التوحيد - وقد ذُكِرَ أظنّ في الثالث - أنَّه من أعظم أسبابِ النَّجاة من النَّار.

هذه بعضُ الأمور التي تدلُّ على أنَّ أعظمَ ما أمرَ الله به هو توحيده تباركَ وتعالى.

والتوحيد تعْريفه - كما ذكر المؤلف -: («وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ») هذا التعريف في الحقيقة هو تعريفٌ للتَّوحيد ببعضِ معانيه، وهو تعريفٌ لِتَوحيد الإلَهية، وإلَّا فتعريفُ التوحيد الشامل هو: إفْراد الله ﷻ فيما يختصُّ به ويسْتحقُّه من الرُّبوبيَّة، والأُلوهيَّة، والأسماء والصفات، هذا

تعريفٌ جامعٌ مانعٌ لجميع معاني التوحيد، وما ذكرَه المؤلف إنَّما هو منطبقٌ على تعريف توحيد الإلَهية.

وأقسام التوحيد ثلاثة عُرِفَتْ بالاسْتقراء والتَّتبُّع:

❖ **القسم الأول**: توحيد الرُّبوبيَّة.

❖ **القسم الثاني**: توحيد الإلَهية.

❖ **القسم الثالث**: توحيد الأسماء والصفات.

وسيأتي مَزيدُ كلامٍ على تعاريف هذه الأنواع، وعلى ما يتعلَّقُ ببعضِ مسائل التوحيد في الدروس الآتية بإذْن الله تعالى.

وقوله: («**وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ**») أعظمُ ما نهى الله عنه الشرك إنَّما هو أعظمُ ما نهى لِعِدَّة أُمور:

- **الأمر الأول**: أنَّ الشرك جِنَايَةٌ على الله تعالى، وتعَدٍّ على حقِّه؛ لأنَّه تقدَّم معَنَا أنَّ التوحيد هو حقُّ الله الخالص، فمَن أشركَ بالله تباركَ وتعالى فقدْ جَنَى وتَعَدَّى على حقِّ الله تباركَ وتعالى.
- **الأمر الثاني**: أنَّ الشرك من أعظم الكذِب على الله؛ لأنَّ مَن جعلَ معَ الله شريكًا وإلهًا يعبُدُه فقدْ كَذَبَ على الله تباركَ وتعالى، وأعظمَ على الله الفِرْيَة، فليس هناكَ مشاركٌ لله تبارك وتعالى، وليس هناك ضِدٌّ ولا نِدٌّ يسْتحقّ العبادة معَ الله ﷻ، فمَن فعلَ ذلك أو اعْتقدَ ذلك أو دَعا إلى ذلك فقدْ أعظمَ في الكذِب والفِرْيَة على الله ﷻ في هذا الأمر.
- **الأمر الثالث**: أنَّ الشرك يُحبِطُ جميعَ الأعمال، كما قال تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ**

عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، والآية الأُخرى: **﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام:٨٨].

فهذه الأدلَّة تدلُّ على أنَّ الشرك يُحبِطُ جميعَ الأعمال.

- **الأمر الرابع**: أنَّ الشرك يُوجِبَ دخولَ النار والخُلُود فيها، كما دلَّت على ذلك النُّصوص من الكتاب والسُّنة.
- **الأمر الخامس: أنَّ الشرك يُبيحُ الدَّمَ والمالَ والعِرْض، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» الحديث.**

فالشرك بالله تعالى يُبيحُ دَمَ العبد ومالَه وعِرْضَه، فلا حُرْمَة للمشرك في أيِّ شيء؛ لا في المال، ولا في الدَّم، ولا في العِرْضِ، فيجوز اغْتياب الكافر، ويَجوز التحْذير منه.

- **الأمر السادس**: أنَّ الشرك سبَبٌ عظيمٌ لَجَلْبِ الشُّرور والآفَات والمَصائب في الدنيا والآخرة، وهناكَ أُمورٌ كثيرة فيها بيان مَخاطر الشرك، وسُوء عاقِبَته، وقُبْحِه وشَناعِتِه، فهو أعظم ما نَهَى الله تعالى عنه، كما أنَّ التوحيد أعظم ما أمرَ الله به.

قال المؤلف: («وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ») هذا تفسيرُ الشرك عند المؤلف رحمه الله، وهو تعريف للشرك ببعضِ معانيه، فهو عرَّف الشرك هنا المتعلِّق بالإلهيّة.

والتعريف الجامع للشرك هو أن يُقالَ: هو جَعْلُ شريك لله تعالى فيما يَخْتصُّ به ويَسْتحقُّه من الرُّبوبيَّة، أو الإلهيَّة، أو الأسماء والصفات، فمَن جعل معَ الله شريكًا في رُبوبيَّته فهو مشرك، ومن جعلَ معَ الله شريكًا في أُلوهيَّته فهو مشرك، ومن جعلَ معَ الله شريكًا في كمالِ أسمائِه

وصفاتِه فهو مشركٌ، فالشرك يدخل في الرُّبوبيَّة والإلهيَّة والأسماء والصفات، إذًا هذا هو التعريف الجامع: جَعْلُ شريك معَ لله تعالى فيما يَخْتصُّ به ويَسْتحقُّه من الرُّبوبيَّة والإلهيَّة والأسماء والصفات.

والشرك ينقسم إلى قسْمين:

- ❖ **القسم الأول**: شِرْكٌ أكبر مُخرِجٌ من المِلَّة.
- ❖ **القسم الثاني**: شِرْكٌ أصْغر غير مُخرِجٌ من المِلَّة.

وسيأتي الكلامُ على الشرك وأنواعِه وكذلك الفرْق بين الأكبر والأصْغر في الدروس الآتية - إن شاء الله تعالى -.

قوله: («**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾**») وجْهُ إيراد هذه الآية ومُناسبة ذكْر هذه الآية هنا: هي الدَّلالَة على أنَّ الشرك أعظم ما نهَى الله تعالى عنه، وأنَّ الشرك أعظم الذُّنوب وأقبح الذُّنوب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: («**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ**») هذه الطريقة التي اسْتعملَهَا المؤلف وهي طريقة إلْقاء العلم عن طريق السؤال، وهذه طريقة حَسَنَة بَدِيعَة، ولها أصْلٌ في الشرع، والنبي صلى الله عليه وسلم كان كثيرًا ما يُلْقِي العلم إلى الصحابة عن طريقِ السؤال، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لابنِ مسعود: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» قال: اللهُ ورَسولُه أعْلم.

وعندما قال لمُعاذٍ: «**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟**».

وعندما قال للصَّحابة في يوم النَّحر: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، وهكذا قولُه:

«أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» إلى آخرِه. فهذه الطريقة طريقةٌ شرْعية، إلْقَاء العلم عن طريق السؤال، وهي طريقة بَدِيعَة وحَسَنَة.

قوله: («فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ») هذه الأصول الثلاثة التي خصَّها المؤلف بالذِّكْر هي مأخوذة من حديث البَراء بن عازب، ومن حديث عائشة، ومن حديث أبي هريرة، وهي كلُّها في «السُّنَنِ» وفي «مُسند أحمد» في قصَّة سؤال الملائكة أو المَلَكَين للمَيت، فهو يُسْأَلُ في قبرِه عن ربِّه ودينه ونبيّه، فهو أخذَ هذه الثلاثة الأصول من هذه الأحاديث، وخصَّها بالذِّكْر لأهمِّيَتِها وعِظَمِ شأْنِها.

والأصول جمْع «أصْل»، وأصْلُ الشيء أساسُه، ولهذا يُقالُ: **أصْلُ البناء الأساس**، وأصْل الشجرة الجُذور، وهكذا.

وتعريفه في الاصْطلاح أنَّ الأصل: هو ما بُنِيَ عليه غيرُه، أو ما تفرَّع منْه غيره، فأساس أو أصْل البيت يُبْنَى عليه الجدار، وتُبْنَى عليه الأعْمدَة.

قوله: («التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا») الوجوبُ هنا كما تقدَّم المقصود به **الوُجوب العَينِي** على كلِّ مكلَّف من المسلمين والمسلمات.

قال رحمه الله: («فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم») تقدَّم الكلامُ على هذه الجُملة؛ على معْرفة الله، ومعْرفة نبيِّه، ومعْرفة دين الإسلام، فلا حاجَة إلى الإعْادة.

وبهذا يكون المؤلف قد انتهَى من ذِكْرِ المقدِّمة المُمَهِّدَة لذِكْرِ الأصول الثلاثة، إلى هنا؛ لأنَّه من قوله: («فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟») هذا شروعٌ في ذكْر الأصل الأول وهو **معْرفة الله**.

الدرس الرابع

قال المُصنف رحمه الله:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِه ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».



قال الشَّارح وفَّقه الله:

قول المؤلف رحمه الله: («فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟») أي إذا سُئِلْتَ بهذا السؤال: «من ربُّك»؟

وقوله: («فَقُلْ») هذا هو الجواب عن هذا السؤال («رَبِّيَ اللهُ»).

قوله: («رَبِّيَ اللهُ») الرَّبُّ معناه في لُغة العرب أنه يُطلق على جُملة من المعاني؛ فهو يُطلقُ على السيد، والمالك، والمَطاع، والمُنعم، والمُدبِّر، والمتصرِّف، والمُصلِح، فهذا اللفظ أو هذا الاسم يُطلقُ على جميعِ هذه المعاني، فالرَّب هو المَالك السيد المُطاع المُنعِم، المُصلِح، المُرَبِّي لخلْقِه، أو المُرَبِّي لِمَا هو مَمْلُوكٌ له.

فالرَّب في حقِّ الله ﷻ هو ذُو الرُّبوبيَّة على خلْقه جميعًا أجمعين، خلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا وتصرُّفًا وإنْعامًا وتربيةً، فهذه هي رُبوبيَّة الله ﷻ على خلْقه، فالرَّب اسم الله ﷻ الرَّب معناه: أنَّه هو ذُو الرُّبوبيَّة على خلْقه جميعًا خلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا وتصرُّفًا وإنْعامًا وتربيةً، فكلُّ هذه المعاني ثابتةٌ لهذا الاسم العظيم الذي هو من أسماء الله تباركَ وتعالى.

وهو اسمٌ ثابتٌ بدلالة الكتاب والسُّنة وإجماع سَلَف الأُمَّة، والأدلَّة من الكتاب والسُّنة على ثُبوت هذا الاسم لله تعالى كثيرة، والسَّلف كما قلْنا مُجمعُون على ذلك.

وقوله: («اللهُ») تقدَّم الكلام على هذا الاسم، وأنَّه عَلَمٌ على ذاتِ البَاري سبحانه وتعالى، مشتملٌ أو دالٌّ على صفةِ الإلهيَّة لله جلَّ وعلا، وهو الاسم الأعظمِ عند جمهور العلماء.

وقوله: («الَّذِي رَبَّانِي») **تَرْبية الله ﷻ لخلْقِه نوعان:**

- **النوع الأول:** تَرْبية عامة.
- **النوع الثاني:** تَرْبية خاصة.

النوع الأول: التربية العامة، والأصل أنَّ التربية مأْخُوذة أو أنَّ هذا الفعْل أو هذه الصفة وهي التربية أو هذا الاسم وهو الرَّب والمُرَبِّي مأْخُوذٌ من التربية، **والتربية هي إنشاء الشيء شيئًا فشيئًا، والقيام عليه كذلك شيئًا فشيئًا، وحالًا فحالًا إلى حدِّ بُلوغ التَّمام والكمال.**

فتَرْبية الله ﷻ العامة على خلْقِه معناه: تَرْبيتُه لهم بالخلْق، والإيجاد، والرزق، والعطاء، والمنْع، والإحياء، والإماتة، والقبض، والبسْط، هذه تربية الله لخلْقِه تربيةً عامةً، فهذه التربية قلنا معناها: تَرْبية الله ﷻ لخلْقِه قلنا: خلْقًا وإيجادًا، وإنْعامًا، وإعطاءً، ومنْعًا، وإحياء وإماتة، كلُّ هذه داخلة في هذه التربية العامة.

وهذه التربية العامة شاملة لجميعِ الخلائق؛ المُكلَّفِين وغير المُكلَّفِين، المؤمنين والكافرين، الطائعين والعُصاة، فهي شاملة لجميعِ مَن ذُكِرَ.

وتَرْبيتُه الخاصة - **وهي النوع الثاني** -: هي تَرْبيتُه سبحانه وتعالى للمؤمنين، وذلك بهدايتِهم إلى التوحيد والإسلام والإيمان وتوفيقُهم لذلك، وإعْانتهم على ذلك، وهدايتهم هدايةً تامةً، فهذه هي التربية الخاصة التي يُنعِمُ الله بها على مَن يشاء مِن الخلْق.

ولا شكَّ أنَّ التربية الثانية أو النوع الثاني هو أعظمُ تربية وأكملُ تربية، وهي من أجلِّ النِّعَم، وأعظم النِّعَم التي يمنُّ الله بها على العبد، إذْ أنَّه لا نِعْمَة بعد نِعمة الإسلام والتوحيد والهداية، فهذه النعمة وهذه التربية هي أصل النعم التي يُنعِمُ الله بها على مَن يشاء من العباد، فكلُّ

الخلائق لا يَخرجُون عن ذلك، فالله ﷻ هو ربُّهم، وخالقُهم، وهو المُرَبِّي لهم سبحانه وتعالى.

قوله: («وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ») الذي يظهر - والله أعلم - أنَّه أرادَ بقولِه: («الْعَالَمِينَ») العموم، جميع العالمين، من المُكلَّفِين وغير المُكلَّفِين، وقد يُرادُ بذلك عالمُ الإنس وعالمُ الجنِّ، لكن ظاهر كلامه أنَّه أراد بذلك جميع الخلائق من المُكلَّفِين ومن غير المُكلَّفِين.

وقوله: («بِنِعْمَتِهِ») **معنى ذلك**: أنَّ تربية الله ﷻ لخلْقِه تفضُّلٌ وتكرُّمٌ وتشريفٌ، تفضُّلٌ وتكرُّمٌ منه سبحانه وتعالى، وليس واجبًا عليه ذلك، فترْبية الله لجميعِ الخلائق سواء كانت تربية عامة أو تربية خاصة فهذه التربية تفضُّلٌ وتكرُّمٌ منه سبحانه وتعالى، وهذا لا شكَّ ولا رَيب أنَّ جميع ما أخْبَرَ الله به وما أنْعمَ الله به على العباد أنَّ ذلك تفضُّلٌ وتكرُّمٌ منه جلَّ وعلا.

وقد أضاف الله ﷻ النِّعْمة هنا إلى نفسه؛ باعْتبارِ أنَّ هو المَالِكُ لها والوَاهِبُ لها سبحانه وتعالى، فهي مُضافةٌ إلى نفسِه لا إلى غيره، بهذا الاعتبار أي: باعتبار أنَّ هو المَالِكُ لها والوَاهِبُ لها والمُسْدِي لها سبحانه وتعالى.

فهذه الكلمة وهي قوله: («بِنِعْمَتِهِ») أنَّ ذلك تفضُّلٌ وتكرُّمٌ من الله جلَّ وعلا.

ونِعْمَة الله ﷻ نوعان، أو إنْعام الله على الخلْق نوعان:

- **النوع الأول**: نِعْمَة خاصة وإنْعام خاص، تشمل جميع المكلَّفِين، وتشمل جميع الخلائق، وذلك باعتبار الإنْعام لهم، والخلْق لهم، والإيجاد لهم، وإحياؤهم، والمَنّ عليهم بسائر النعم، فهذه نِعْمَة عامة شاملة لجميعِ الخلائق، فالكافر يَتمتَّع بنِعَمِ الله تباركَ وتعالى، فهو المُنعِمُ له بتلْك النِّعم، وهكذا سائر الحيوانات، المُتفضِّلُ عليها

بهذه النِّعم هو الله تباركَ وتعالى.

فهذه النِّعمة هي النِّعمة العامة، أو الإنعام العام.

- **النوع الثاني**: النِّعمة الخاصــة، والإنعام الخاص، وهذا لا يكون إلَّا لعبادِ الله المؤمنين وأوليائه المتِّقين وذلك بهدايَتِهم إلى الحقِّ، وإرْشـادِهم إليه، وتوفيقهم لَه، فهذه النِّعمة نِعمة خاصــة للمؤمنين المتَّقِين، وجميع النِّعم لا تخرج عن هذين النَّوعين: (النِّعمة العامة أو الإنعام العام، والنِّعمة الخاصــة أو الإنعام الخاص، وأجلُّ هذين النعمتَين أو النَّوعين **النِّعمة الخاصة التي يُنعِمُ الله بها على المؤمنين المتَّقِين**.

قوله: («وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ»).

المعبود: هو المألُوهُ حُبًّا وتَعظيمًا، وتقدَّم تعريف العبادة، وأنَّها في **اللُّغة** تدلُّ على الخُضــوع والتَّذلُّل.

وأمّا في الشرع: فهي اســمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبّهُ الله ويَرضــاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والبطانة.

هذه الجملة وهي قوله: («وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِــوَاهُ») مرْتبِطَةٌ بالجُملة الســابقة وهي قوله: («فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ») **ومعنى ذلك**: أني إذا كنت مقرًّا برُبوبيَّة الله لي، وأنَّه ربي دونَ ما سِواهُ فجيبُ عليَّ أن أُقرَّ بأنَّه معْبودي دون ما سِواه، فمن أقرَّ برُبوبيَّة الله وحده يلْزمُه ويجبُ عليه الإقرار بأُلُوهيَّة الله وحده، إذْ أنَّه من السَّــفَهِ أن يُقرَّ العبد برُبوبيَّة الله جل وعلا، وأنَّ هو الرَّبُ وحده، والمالك، والخالق، والمُدَبِّر، والمتصــرِّف وحد، ثمَّ تُصــرفُ العبادة لغيره، فإذا كان العبد مقرًّا بوحْدانية الله في ربوبيته فجب عليه أن يقرَّ لله تعالى

بوحْدانية في أُلوهيَّته.

فهذه الجُملة متعلِّقة بالجملة السابقة.

وقوله: («لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ») يشمل جميعَ المعبودات التي عُبِدَتْ من غيرِ الله، سواء كان ذلك من الملائكة، أو من الجنِّ، أو من الإنس، أو من الأحجار، والأوثان، والقُبور، والأضْرِحَة، أو غير ذلك، فكلُّ ما عُبِدَ من دونِ الله ﷻ فعبادتُه باطلة لا يسْتحقُّها؛ لأنَّ العبادة هي لله تباركَ وتعالى وحْدَه دونَ ما سِواه.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾») أوْرَدَ المؤلف هذه الآية للدَّلالة على وحْدَانية الله في رُبوبيَّتِه، وأنَّ الله تعالى هو ربُّ جميع الخلائق، كما هو ظاهرُ الآية.

وسيأتي الكلامُ على تعريف الحَمْد في الدروس الآتية - بإذْن الله تعالى -.

قال: («وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ») هذا باعتبار الإجمال والعموم، فهذا الكونُ الذي نحنُ فيه يُقالُ له: عَالَمٌ، بما فيه من سماءٍ، وأرْضٍ، وعرْش، وكرسي، كلُّ ذلك يُقالُ له: عَالَم، هذا باعتبار العموم، وإلَّا باعتبار الجمْع وباعتبار النَّظَر إلى أجْناسِ المخْلوقَات فهيَ عَوالِمٌ كثيرة؛ عالَم الإنس، وعالَم الجنِّ، وعالَم الملائكة، وعالَم الحيوانات، إلى آخره.

وسُمِّيَ العالَمُ «عَالَمًا» لأنَّه علاَمَة دالٌّ على خالقِه ومُوجِدِه وصَانِعِه.

قال رحمه الله: («فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ»).

المؤلف رحمه الله ذكرَ أنَّ معرفةَ الله ﷻ تَتِمُّ بمعْرفةِ آياتِ الله ومخْلوقاتِه، وقد تقدَّم الكلامُ على هذه المسألة في أوَّل الكتاب، لكن بقيَ قولُ المؤلف: («فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ») الآيات جمْع «آية»: وهي العلامَة والحُجَّة والبُرْهَان.

والآية تنقسمُ إلى قسْمين:

❖ **القسم الأول**: آياتٌ سمْعية شرعية متعلِّقة بالسَّمع، وهي المُسْتفادَة عن طريق الوحْي، وهذه هي الآيات المَتْلُوَّة، وهي صفة من صفات الله تباركَ وتعالى؛ فيشْمل ذلك كلام الله ﷻ كلَّه، فيشمل التوراة والزَّبُور والإنجيل والقرآن، فهذه يُقالُ لها: «آياتٌ شرعية» على حسَبِ ما تقدَّم، متعلَّقة بالسَّمْع، آيات شرعية سمْعية.

❖ **القسم الثاني**: آياتٌ كوْنية عَيَانية متعلِّقة بالبَصَر، ومتعلَّقة بالمشاهدَة بالبَصَر؛ كالشَّمس، والقمر، واللَّيل، والنَّهار، والسماء، والأرض، هذه كلُّها آياتٌ كوْنية، وهي مخْلوقة.

إذًا ما مُرادُ المؤلف رحمه الله هنا بقوله، هل مقصودُه بذلك الآيات الشرعية السَّمْعية، أمْ أراد بذلك الآيات الكونية العَيانِية، أم أنه أراد النَّوعَين؟

ظاهر كلامه - والله أعلم -: **أنَّه أراد بالآيات هنا الكَونية العَيانِية**، بدليل قوله: («وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ») فظاهر كلام المؤلف رحمه الله أنَّه أراد بالآيات في كلامِه هنا: الآيات الكونية العَيانِية المُشاهدَة بالبَصَر، وعلى هذا سيكون العطفُ في قوله: («وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ») من بابِ عطْف الشيء على نفسِه.

ويُحْتَمَلُ أنَّه أرادَ بذلك الآيات الشرعية، هذا مُحتملٌ، لكنَّه احتمالٌ ضَعيف؛ لأنَّ سِياق الكلام يدلُّ على أنَّه أرادَ بذلك الآيات الكونية العَيانية، وعلى هذا إذا قلنا: أنَّ المؤلف أرادَ بذلك الآيات الكونية العَيانية فهو ذكرَ بعض الدلائل التي تدلُّ على معرفةِ الله، **وقد ذكرْنا في الدروس السابقة أنَّ معرفة الله تَتِمُّ بثلاثة أمور:**

الأول: بالآيات الشرعية السَّمعية.

الثاني: بالآيات الكونية العَيانية.

الثالث: بالفِطْرَة السَّليمة.

ويُمكنُ أن يُزادَ على ذلك أمرَين اثنين:

- **الأول**: العقل الصحيح، فإنَّ العقل الصحيح يدلُّ على معرفة الله، على حسَبِ ما تقدَّم.
- **الثاني**: آيات الأنبياء ومُعْجزاتهم، فآياتُ الأنبياء ومُعْجزاتهم تدلُّ على معرفة الله تباركَ وتعالى.

وعلى هذا فيكون المَجموع خمسة أُمور، مجموع الأدلَّة التي تدلُّ على معرفة الله تباركَ وتعالى معرفةً يَقِينية **خمسة أمور** باعتبار أنَّنا أضفْنا أمرَين إلى الأمور الثلاثة الماضية: **الأول**: الآيات الشرعية السَّميعة، الثاني: الآيات الكونية العَيانية، **الثالث**: الفِطْرة السَّليمة، **الرابع**: العقل الصحيح، **الخامس**: آيات الأنبياء ومُعجزاتهم.

وعلى هذا فالمؤلف رحمه الله ذكرَ دليلًا واحدًا وهو دليلُ الآيات الكونية العَيانية.

قوله: («فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ») من آياتِه **اللَّيل والنهار**، لا شكَّ كما دلَّتْ على ذلك الآية المذْكورة التي ذكرَها المؤلف، وذلك لأنَّ اللَّيل والنهار مَن نظرَ إليهما يجد أنَّهما يَسيرَان بسيرٍ مُنتظمٍ ودَقيق، فلا يمكن أنَّ اللَّيل يتقدَّم على النهار، ولا أنَّ النهار يتقدَّم على اللَّيل، ولا يمكن أن يحصل لهما اضْطِرابٌ واخْتلافٌ وتَبَايُنٌ وخلَلٌ في نِظام سَيرِهما، بلْ هما يَسيرَان بنظامٍ دقيقٍ مُحْكَمٍ، فاللَّيل يَعْقُبُ النَّهار، والنَّهار يَعْقُبُ اللَّيل، والنَّهار جعلَ الله فيه آيات

كثيرة، فلا شـــكَّ أنَّ اللَّيل والنَّهار من أعظم آياتِ الله المخْلوقَة التي تدلُّ على وُجودِه وكَمَالِه وعَظَمَتِه سـبحانه وتعالى، وكذلك الشـمس والقمر من آيات الله، بالاعتبار السـابق؛ أنَّهما يَسيرَان بسيرٍ مُنتظِمٍ ودَقيقٍ، وأنَّه لا يحصل لهما خلَلٌ ولا اضْطِرابٌ، ولا تَغيُّرٌ، ولا اخْتلاف، بلْ هما يَسـيرَان بسـيرٍ مُنتظِمٍ ودَقيقٍ، وهما مأْمورَان بأمْر الله تباركَ وتعالى، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠] فاللَّيل والنَّهار والشـمس والقمر لا شـكَّ أنهم من أعظمِ الآيات الكونية المُشـاهدَة والعَيانية التي تدلُّ على عظَمَةِ الله وعلى كَمَاله وكَمَال قُدرتِه تباركَ وتعالى.

وهكذا السماوات والأرض، السماوات يعني باعتبار عِظَمِ شأْنِها وارْتفاعها، وما جعلَ الله فيها من الخلائق، وكذلك رفْعُها بِلا عَمَدٍ، فكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّها من أعظمِ آيات الله، وهكذا الأرض من نظر إلى كِبَرِها وسِعَتِها وعِظَمِ شأْنِها وتعدُّد المخلوقات التي فيها يجدُ أنَّها من أعظمِ الآيات وأظهر الآيات الكونية التي تدلُّ على وُجودِ خالقها وبارئها والمُدبِّر لها والمتصـرِّف فيها، فكلُّ هذه المخلوقات الكونية العظيمة تدلُّ على معرفة الله جلَّ وعلى معرفةً يَقينية.

قال: («وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ») السماوات فيها الملائكة، وفوقها العرش والكرسي، وفوقها الجنَّة، وهكذا الأرض فيها الماء، وفيها الشجر، وفيها الإنس، وفيها الجنُّ، وما بينهما كالشمس، والقمر، والسحاب، وهكذا.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى») أي الدليل على أنَّ اللَّيل والنَّهار، والشمس والقمر من آيات الله («﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾») الآية.

مناسبة ذكْر هذه الآية هنا: الدلالة على أنَّ هذه المخلوقات من آيات الله، وأنَّ الشمس والقمر واللَّيل والنَّهار من أعظم وأظْهر الآيات الدالة على معرفة الله تباركَ وتعالى.

(«وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾») **وجْهُ إيراد هذه الآية هو**: الدَّلالة على أنَّ السماوات وأنَّ الأرض وأنَّ العرش كلُّه مخلوقة خلقَها الله ﷻ وأوجدَها بقدرَتِه وعلْمِه تباركَ وتعالى، ولا شكَّ ولا ريب أنَّ هذه المخلوقات مخلوقة، ويدلُّ على ذلك الأدلَّة الشرعية، والأدلَّة العقلية، وهكذا الفطرة السَّليمة.

وما نحتاج أن نتعرَّض لمُفرداتِ الآيات؛ لأنَّ هذه ليس لها تعلُّقٌ، وإلَّا فَسَنتأخَّر في الكتاب.

وأهمُّ شيءٍ عند الطالب: أن يفهم مقصود المؤلف في إيراد الآية، لماذا أوْردَ المؤلف هذه الآية، لماذا ذكرَها؟ أو بماذا اسْتشْهَدَ المؤلف على هذا الأمر؟

فأهمُّ شيءٍ لمن درسَ الأصول الثلاثة أن يفهم المقصود من إيراد الآية أو الحديث في هذا الموضع، أو في هذا المكان.

قوله: («وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ») تقدَّم الكلام على الرَّب، **وأمَّا المعبود**: فهو المَأْلُوه حُبًّا وتعظيمًا.

وقوله المؤلف: («هُوَ الْمَعْبُودُ») لا يُفهم منْه أنَّ هذا تفسيرٌ منه للرَّب؛ لأنَّ تفسير «الرَّب» تقدَّ معناها، فتفسير «الرَّب» معناها: المالِك، السيد، المُطاع، المُنعِم، - كما تقدَّم - وهو يدلُّ على معاني الرُّبوبيَّة، **أمَّا المعبود**: فهو المَأْلُوه ويدلُّ على معاني الإلهيّة، فليس المقصود من قول المؤلف («هُوَ الْمَعْبُودُ») أنَّ هذا تفسيرٌ للرَّب، وإنَّما هناكَ كلامٌ محذوفٌ لابدَّ أن يُذْكَرَ،

فمعنى قوله: («هُوَ الْمَعْبُودُ») أي المُسْتحِقّ للعبودية، أو المُسْتحِقّ لِأَن يُعبَدَ.

هذا هو المقصود من كلام المؤلف رحمه الله.

ومعنى ذلك كما تقدّم: أنَّ العبد إذا أقرَّ بوحْدانية الله في رُبوبيَّته فيجب عليه أن يُقرَّ بوحْدانية الله في أُلوهيَّته، فربُّنا ﷻ هو المسْتحقُّ للعبادة، فكما أنَّه هو الخالقُ لنا، والمُوجِدُ لنا، والرَّازقُ لنا، والمُدَبِّرُ لأَمْرنا، والمتصـرِّفُ فينا خلْقًا وإيجادًا، وإعْطاءً ومنْعًا وإحياءً وإماتةً وعِزًّا وذلًّا، إذا كان هو المتفرد بجميعِ هذه المعاني فيجبُ علينا أن نفردَه بالعبادة والتَّأَلُّهِ والتعظيم له تباركَ وتعالى، ولا نصرف شيئًا من ذلك إلى غيره جلَّ وعلا.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾») فربُّنا سبحانه وتعالى هنا أمرَ العباد بعبادتِه جلَّ وعلا؛ لأنَّ هو ربُّهم وحدَه، وخالقُهم وحدَه، تباركَ وتعالى، فإذا كان هو المتفرد بذلك فيجب على العبادِ أن يَعبدوه ولا يُشـركوا به شيئًا.

وَوَجْهُ إيراد المؤلف لهذه الآية: هو الدَّلالة على أنَّ الرَّب سبحانه وتعالى هو المسْتحقُّ للعبادة دون ما سِواه، فلا يجوز لإنسانٍ أن يَعبدَ أحدًا من المخلوقات، لا يجوز له أن يَعبدَ شمسًا، ولا قمرًا، ولا أرضًا، ولا سماءً، ولا حجَرًا، ولا شجرًا، ولا مَلَكًا، ولا إنسيًّا، ولا جِنيًّا، ولا قبرًا، ولا شيء من ذلك، إنَّما يجبُ عليه أن يُخلص عبادته لله تباركَ وتعالى، ويُفردُ الله جلَّ وعلى الذي أوجدَه وخلَقَه، والذي هو ربُّه وربَّاهُ في جميعِ مراحلِه فيجب عليه أن يُفردَه بذلك، فهذه هي المناسبة من إيراد هذه الآية في هذا الموضع.

وقوله: («قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ») ابن كثيرٍ معروف، هو أبو الفِداء: إسـماعيل بن عمرَ بن كثير القُرَشِـي رحمه الله، المَولُودُ سنة [سبعمائة]، والمُتَوَفَّى سنة [أربعٍ وسبعين وسبعمائة] وهو من العلماء المعروفين المشْهورين عند الجميع.

(«قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ») إذًا ابنُ كثيرٍ رحمه الله فَهِمَ من الآية أنَّ المقصود بها: ذِكْرُ اسْتحقاق الرَّب ﷻ للعبادة، فلا يُفْهَم من ذلك أنَّ الرَّب من معانيه المعبود أو المَأْلُوه، وإنَّما هو المستحق للعبادة.

الدرس الخامس

قال المُصنف رحمه الله:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ.

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].



قال الشَّارح وفَّقه الله:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قول المؤلف رحمه الله: («وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا») إلى آخره، لمَّا فرغَ المؤلف رحمه

الله من تقرير وبيان وحْدَانية الله ﷻ في الإلهيّة، وأنَّه سبحانه وتعالى هو المستحقُّ للعبادة وحدَه، وأنَّ من عُبِدَ من المخلوقات فعبادتُه عبادة باطلة، وأنَّ جميع العبادات لا تكون إلَّا لله تباركَ وتعالى، فلمَّا فرغَ من تقرير هذا الأمر وهذا الأصل العظيم شرعَ في ذكْر بيان بعض أنواع العبادات التي لا تكون إلَّا لله جلَّ وعلا.

والعبادة في اللُّغة - كما تقدَّم -: هي الخُضوعُ والتَّذلُّل، وسُمِّيَ العبدُ عبدًا؛ لأنَّه خاضعٌ متذلِّلٌ منقاد لغيره، ويُقالُ للطريق المعبَّد: طريق مذلَّل، أو معبَّد لأنَّه مذلَّل ومسخَّر.

وأمَّا تعريفها في الاصطلاح فقد ذكرنا التعريف الذي ذكرَه شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّهُ الله ويَرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل جميع أنواع العبادات؛ من الصلاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، والذبح، والنَّذر، والدعاء، والتوكل، والتصْديق، والاعتقاد الصحيح، إلى آخره.

هذا هو تعريف العبادة.

والعبادة لا تقوم ولا تحصل ولا تتحقَّق إلَّا بثلاثة أركان، إذا ذهبَ ركنٌ منها لم تتحقَّق ولم تحصل هذه العبادة يعني لم تقعْ وقوعًا شرعيًا، وهذه الأركان الثلاثة هي: (**الحب، والخوف، والرجاء**) فالعابد لابدَّ أن يكون متَّصفًا بهذه الثلاثة الأمور: المحبَّة للمعبود، وكذلك الخوف منْه، والرجاء فيما عندَه، فإذا حصلُت هذه الثلاثة الأركان تحقَّقَت العبادة، وكانت عبادة شرعية صحيحة.

وأهل السُّنة والجماعة يتعبَّدُون لله تباركَ وتعالى بهذه الثلاثة الأمور؛ بالمحبَّة، والخوف، والرجاء، فيعبُدون الله ﷻ محبَّة له، وخوفًا منه، ورجاءً وطمعًا فيما عنده من الأجر والثواب،

بخلاف غيرهم من الطوائف الضـــالة والمُنحرفة، فقد يتعبَّدُون لله ﷻ بجُزْئية واحدة من هذه الأركان الثلاثة، ولهذا ذكر شـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله، وهكذا تلْميذُه ابن القيم عن بعض السَّلف أنَّه قال: «من عبدَ الله وحدَه بالحُبِّ فهو زِنديقٌ» وهذا حاصلٌ عند غُلاة الصوفية «ومن عبدَ الله بالخوف وحدَه فهو حروري» نسْـــبة إلى الحرورية وهي طائفة من الخوارج «ومن عبـدَ الله بـالرجـاء وحـدَه فهو مُرجِئ، ومن عبـدَ الله بـالمحبَّة والخوف والرجـاء فهو مُوحِّدٌ».

فأهل السُّنة والجماعة يتعبَّدُون لله تباركَ وتعالى على هذه الصفة المذْكورة، فعبادتُهم لله جل وعلا مشتملة على **المحبَّة والخوف والرجاء**.

قلنا: ولا تتحقَّق العبادة، ولا ينتفع بها صاحبها إلَّا بذلك، وإلَّا كان مشابهًا لأهل الأهواء، ولا يضـر تغْليب بعض هذه الأركان على بعضـها، إنَّما المقصـود هو وجود هذه الثلاثة الأركان، لأنَّه كما ســيأتي معَنَا أنَّه في بعض الأحوال يُغلَّبُ جانب الخوف، وفي بعض الأحوال يُغلَّبُ جانب الرجاء، وفي بعض الأحوال يُغلَّبُ جانب المحبَّة، وهكذا.

والعبادة الشـرعية التي أمرَ الله بها، ودَعَا إليها رسولُه صلى الله عليه وسلم لا تكون مقبولة إلَّا بشروطها، وأشهر الشروط للعبادةِ الصَّحيحة الشرعية شرطان:

- **الشـرط الأول**: الإخلاص لله ﷻ في العبادة، فإذا لم يكنِ العبد مخلصًـا لله جلَّ وعلا في العبادة إمَّا الظاهرة أو الباطنة، أو العملية أو القولية فإنَّها مرْدودَةٌ عليه، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة من كتاب الله ﷻ، ومن سُنَّة رسولِهِ صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِـــينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة:٥]، و﴿**قُلِ اللهَ أَعْبُدُ**

مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر:١٤].

فالإخلاص شـرطٌ أسـاسـي في قبول العبادة، وفي قبول العمل الصـالح، فيحرص العبد على مجاهد نفسِه في ذلك، **ومن ذلك**: عبادةُ طلب العلم.

- **الشرط الثاني**: المُتابعة في هذه العبادة، المُتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، فتكون هذه العبادة المُؤَدَّاة موافقة لِمَا جاء به رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، ودلَّت عليها الأحاديث الصحيحة، فإذا كانت هذه العبادة غير لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام فهي مرْدودَةٌ غر مقبولة.

ولهذا جاء في «الصحيحين»: عن عائشة رضي الله عنها؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية مسـلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، فالصـلاة، أو الصـيام، أو الحج، أو طلب العلم، أو قراءة القرآن، أو غير ذلك من أنواع العبادة إذا لم تكن موافقةً لهدي رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فهذه العبادة مرْدودة غير مقبولة.

وقد جاء في «الصـحيحين»: عن أنس؛ أنَّ النبي صـلى الله عليه وسـلم قال: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» فهذان شرطان أساسيان لابدَّ منهما في قبول العبادة لله ﷻ.

وزادَ بعضُ أهل العلم شـرطًا ثالثًا: وهو الإسـلام، وهو شـرطٌ صـحيحٌ، لكن قد يُقالُ: إنَّ المقصـود بالعبادة التي يأتي بها المسـلم، وإلَّا فالإسـلام والتوحيد شـرطٌ في صـحَّة العبادات كلِّها.

والعبادات الواردة في الكتاب والسُّنة كثيرة ومتنوعة، فأقسامها متعدِّدة باعتبارات مخْتلفة.

فتنقسم العبادات من حيث تعلُّقها بالجوارح إلى ثلاثة أقسام:

- ❖ **القسم الأول**: عبادات بدنية عملية متعلِّقَة بالجوارح الظاهرة؛ كالصلاة، والحجّ، والزكاة، والصيام، ونحو ذلك، هذه عبادات عملية بدنية متعلِّقَة بالبَدَنِ.
- ❖ **القسم الثاني**: العبادات القولية المتعلقة باللّسان؛ كالنُّطق بالشهادتَين، وقراءة القرآن وسائر الأذكار والأوْراد، وتعليم العلم النَّافع، والدعوة إلى الله تعالى، هذه كلها عبادات قولية متعلّقة باللّسان.
- ❖ **القسم الثالث**: عبادات قلْبية متعلِّقة بالقلْب والجَنَان؛ كالإخلاص لله ﷻ، والتوكل عليه، والخوف منه، والخشية، والرغبة، والرَّهْبَة، والرَّجاء، كلُّ هذه متعلقة بالقلْب، كلُّ هذه العبادات محلُّها القلب وتعلُّقها بالقلب.

إذًا العبادات بهذا الاعتبار تنقسم إلى: عبادة بدنية عملية، وعبادة قولية، وعبادة قلْبية.

وأمَّا باعتبار تعلُّقها بأصحابها وفاعِلِيها فهي تنقسم إلى قسمين:

- ❖ **القسم الأول**: عبادة عامة شاملة لجميعِ الخلائق؛ بما فيهم المؤمن والكافر، والموحِّد والمشرك، والبَرّ والفاجر، والمُطيع والعاصي، هذه عبادة عامة، أو عُبودية عامة، ويُقالُ لها: العُبودية القدرِيَّة الكونية التي هي متعلقة بالقهْر والمِلْك، فالله ﷻ قاهرٌ لجميعِ العباد، وهو مالكُهم، ولهذا يدخل الكفار تحت هذا النوع من العبادة.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] فيدخل في ذلك: الكفار والمؤمنون، فهذه هي العُبودية العامة؛ وذلك لأنَّ الكافر لا يستطيع أن يخرجَ عن حُكْمِ الله وقهْرِه وقدَرِه وأمْرَه الكوني، فهو مقهُورٌ مُذلَّل لا يستطيع أن يخرج عن ذلك مهْما بلغَ في القوَّة والمَكانة، فهو عبدٌ بهذا الاعتبار.

ومنْه: قوله ﷻ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ [يس:٣٠] والمراد بهم الكفار هنا، ومعَ ذلك وصفهم الله تعالى بأنَّهم من العباد: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ **فالمراد بذلك العُبودية العامة.**

❖ **القسم الثاني**: العُبودية الخاصة وهي عُبودية أهل الإيمان، وأهل الطاعة والاسْتقامة على دينِ الله وعلى شريعةِ الله، فيدخل من ذلك الأنبياء والرُّسل والصَّالحُون والملائكة، وأدلَّة هذا النوع كثيرة، ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨] و﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر:٥٣]، و﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر:١٠] فالأدلَّة في ذلك كثيرة جدًّا.

إذًا العبادة تنقسم باعتبار أصحابها وفاعِلِيها إلى هذين القسمين: (عبادة عامة، وعبادة خاصة).

عبودية عامة وعبودية خاصة.

وبقيَ هناك أنواعٌ باعتبارات مختلفة سيأتي ذكْرُها - إن شاء الله تعالى - في الدروس الآتية، ونكْتفي هنا بهذا.

قول المؤلف رحمه الله: («مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ») هو ذكر العبادات أولًا على جهة الشُّمول والعموم، ثمَّ ذكر بعد ذلك بعض العبادات على جهة التخْصيص والتفصيل،

فالإسلام والإيمان والإحسان كلُّ هذه تشمل جميع أنواع العبادات.

وسيأتي الكلام على الإسلام والإيمان والإحسان في الأصل الثاني - إن شاء الله تعالى - .

قوله: («وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ») هذا ذكْرٌ لبعضِ أنواع العبادات القلْبية والعملية على جهة التفصيل، والمؤلف رحمه الله ذكرَ هذه العبادات أولًا على جهة الإجمال، ثمَّ ذكرَا على جهة التفصيل باعتبار أنَّه ذكرَ كلَّ نوعٍ منْها معَ دليلِه.

وسيأتي الكلام عليها - إن شاء الله تعالى - عند ذكْر المؤلف لهذه الأنواع.

قوله: («وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾») قلنا: المقصود بالدعاء في هذه الآية: دعاء العبادة المُتضَمِّن لدعاء المسألة، والمقصود من ذكْر هذه الآية هنا: هو الدَّلالة على أنَّ جميع العبادات لا تكون إلَّا لله تبارك وتعالى، وأنَّه يَحرمُ صرْف أيّ نوع من هذه الأنواع لغير الله ﷻ، فلا تُصرف لِمَلَك، ولا إنسيٍّ، ولا جنّيٍّ، ولا حجرٍ، ولا شجرْ، ولا قبرٍ، ولا ضريحٍ، ولا غير ذلك، وإنَّما تكون لله تباركَ وتعالى.

فهذا هو المقصود من ذكْر هذه الآية.

قوله: («فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ») هذا بيانٌ لحُكْمِ من عبدَ غير الله، ومن صرفَ شيئًا من العبادات لغير الله ﷻ، فهذا بيانٌ لهذا الحكْم الذي أراده المؤلف، فقوله: («فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا») بمعنى أنَّه يُكْتَفَى بالحكْم عليه بالكفر أو الشرك ولو بعبادةٍ واحدة، فلا يُشترط في كفْره وشرْكِه أن يصرفَ جميع أنواع العبادات المذْكورة، وإنَّما إذا صرفَ واحدة أو واحدًا من هذه الأنواع فالحكْم عليه ثابت، بالكفر أو بالشرك.

وقوله: («لِغَيْرِ اللهِ») تقدَّم الكلام أنه يشمل الملائكة والجنّ والإنس والقبور والأضْرِحَة

والأحجار والأوثان، ويشمل الكواكب والشمس والقمر؛ لأنَّ هذه كلّها قد عُبِدَتْ من دونِ الله، فكثيرٌ من المشركين عبدَ الملائكة، وكثيرٌ من المشركين عبدوا الجنَّ، وكثيرٌ من المشركين عبدوا النُّجوم والكواكب، وكثيرٌ من المشركين عبدوا الشمس والقمر، ومنْهم مَن عبدَ الأحجار والأصنام والأشجار، ومنْهم مَن يعبد القبور والأضْرِحَة - عياذًا بالله تعالى -.

قوله: («فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ») أي: حُكْمُ من صرفَ شيئًا من هذه العبادات فحكْمُه أنَّه كافر، وأنَّه مشرك، فحَكَمَ عليه بالكفر والشرك، وإنَّما حكمَ عليه بالكفر والشرك لأنَّ كل مشركٍ كافر، وكلُّ شركٍ كفْر، فالكفْر أعمُّ من الشرك، فكل مشركٍ كافر، وليس كلُّ كافرٍ مشرك.

والمقصود بالشرك هنا الذي أرادَه المؤلف رحمه الله: الشرك الأكبر المُخرِج من المِلَّة، هذا هو المقصود في كلام المؤلف: («فَهُوَ مُشْرِكٌ») أي شركًا أكبر وكفْرًا أكبر، فكلُّ مُشركٍ شركًا أكبر فهو كافر خارج من مِلَّة الإسلام، وهذا الحكم هو باعتبار النظر إلى العموم؛ إلى عموم الحكم، أمَّا باعتبار الأفراد والأشخاص فيُنظر إلى أحوالهم.

قوله: («وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾») المقصود بالدعاء في هذه الآية: دعاء العبادة المُتضَمِّن لدعاء المسألة.

ومناسبة ذكْر هذه الآية والمقصود من ذكْرِها هنا: هو الدَّلالة على أنَّ من عبدَ غير الله تباركَ وتعالى، وأنَّ من صرفَ شيئًا من العبادات أنَّه كافرٌ مشرك، فالمؤلف أوْرَدَ الآية للدَّلالة على كفْر مَن أشرك بالله، وعلى الحكم عليه بأنَّه مشرك كافر خارجٌ من مِلَّة الإسلام؛ لقوله: («﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾»)، ومن عبدَ غير الله ﷻ من الأصنام والأوثان فقد اتخذَ له إلهًا من دونِ الله ﷻ، ودعا غير الله جلَّ وعلا.

وبهذا يكون قد انتهى المؤلف رحمه الله من الكلام على أنواع العبادات على جهة الإجمال والعموم.

ثمَّ قال رحمه الله: («وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»») هذا شـــروعٌ من المؤلف رحمه الله في ذكْر أنواع العبادات على جهة التفصـيل معَ ذكْر أدلّتها، وقد بدأ بالدعاء قبل غيره، بدأ بالدعاء لأمرين اثنين:

- **الأمر الأول**: أنَّ الدعاء أهمّ العبادات وأعظمها وأصْـلها؛ لأنَّ الدعاء يشـمل دعاء المسألة ودعاء العبادة. هذا الأمر الأول.
- **الأمر الثاني**: أنَّ أكثر شـرك المشـركين هو في الدعاء، فالمؤلف رحمه الله بدأ بالدعاء لهذين الأمرين المذْكورَين، الدعاء لأنه أهمُّ العبادات وأعظمها وأجلّها، ولأنَّ أكثر شـرك المشـركين كان في الدعاء، فلأجل هذين الأمرين بدأ رحمه الله تعالى بذكْر الدعاء.

والدعاء في اللغة: هو الطَّلب والسؤال، دعاه أي سأله وطلب منه شيئًا.

وأمَّا في الشرع فهو ينقسم إلى قسمين:

❖ **القسـم الأول**: دعاء العبادة، ومعنى دعاء العبادة: التعبُّد لله ﷻ بمقتضى دِينه وشـرعِه، وبمقتضى الأمر والنَّهي.

وسُمِّيَت العبادة دعاء؛ لأنَّ العابد سائلٌ وطالبٌ، فالمصلي يعبد الله ﷻ، ومقصوده بذلك أنَّه يسـأله ويطلب منه المغْفرة، والرحمة، وكذلك الإنْعام عليه بالثواب والأجر، ودخول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار، فالمتعبِّدُ لله ﷻ هو في حقيقة الأمر سـائلٌ وطالبٌ، طالبٌ

للمغْفرة، وطالبٌ للرحمة، فسُمِّيَت العبادة دعاءً بهذا الاعتبار؛ لأنَّ العابد سائلٌ وطالب.

ومنْه قوله ﷻ يعني: دعاء العبادة الآية المذْكورة: («﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾»)، وهكذا قوله تعالى: («﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾») كذلك المقصود به دعاء العبادة.

❖ **القسم الثاني**: دعاء المسألة، وهو سؤال الله ﷻ بلِسان المَقال حاجةً من حوائجِ الدنيا والآخرة؛ كَسُؤالِه للمغْفرة، وسُؤالِه للرحمة، وسُؤالِه لدخول الجنَّة، وسُؤالِه للعافية، وسُؤالِه للرزق، هذا كلُّه دعاء مسألة، وكلاهما عبادة، فدعاء المسألة عبادة، كما أنَّ دعاء العبادة أيضًا هو من أجلِّ العبادات وأعظمِ الطاعات.

والدليل الثاني: قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾** [البقرة:١٨٦] أي إذا سألِني.

قوله ﷻ: («﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾») ما كان ظاهرُه التعبُّد والتألُّه إمَّا لله أو لغيره فالمقصود **به دعاء العبادة.**

ويقول أهل العلم: «إنَّ دعاء العبادة مُتضَمِّن لدعاء المسألة» لماذا؟ قلنا: لأنَّ حقيقة العابد سائل وطالب، فهو مُتضمِّن للسؤال، ودعاء المسألة مسْتلزمٌ لدعاء العبادة؛ لأنَّ العبد إذا سأل الله ﷻ وتوجَّه إليه بالسؤال والطلب لَزِمَه الإقرار بأنَّه المستحق للعبادة وحدَه، إذا كان العبد متوجهًا بالطلب إلى الله بالسؤال والطلب، وأنَّ حاجتَه لا تُقضَى إلَّا من عند الله جلَّ وعلا فيلْزمُه الإقرار بأنَّه تباركَ وتعالى المعبود وحدَه والمستحقّ للعبادة وحده، فلهذا يقولون: «دعاء العبادة مُتضَمِّن لدعاء المسألة، ودعاء المسألة مُسْتلزِمٌ لدعاء العبادة».

قال المؤلف: («وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»») أراد المؤلف رحمه الله بذكْر هذا الحديث بيان أنَّ الدعاء أصلُ العبادة وأساس العبادة، وهذا الحديث ضعيف، رواه الترمذي، وهو من طريق الوَليد بن مسلم، وهكذا ابن لهَيعَة، وابن لهَيعَة ضعيف، والوَليد بن مسلم مُدَلِّس، يُدلِّسُ تدْليس التسْوية، وقد عَنْعَنَ في هذا الحديث، فالحديث ضعيف.

ويُغْنِي عنه حديث: النُّعْمان بن بشير الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَة» فيُغْنِي عن حديث أنس: يُغْنِي عنه حديث النُّعْمان بن بشير.

قال: («وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى») يعني الدليل على أنَّ صرْف الدعاء لغير الله من الشرك والكفر، قوله تعالى: («﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾») فدلَّتْ هذه الآية على أنَّ صرْف هذه العبادة لغير الله من الكفر، كما دلَّت هذه الآية العظيمة على أنَّ الدعاء من العبادات وأعظم الطَّاعات.

والأظهر: أنّ هذه الآية ا شْتملَت على النوعين من الدعاء: دعاء العبادة ودعاء الم سألة، فقوله: («﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾») ظاهرُه أنَّه أراد دعاء المسألة، ثمَّ قولُه: («﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾») دالٌّ على أن المقصود به أيضًا دعاء العبادة، وأنَّ الآية اشْتملَتْ على النوعين جميعًا: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

الدرس السادس

قال المُصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف رحمه الله: («وَدَلِيلُ الْخَوْفِ») أي الدليل على أنَّ الخوف من العبادة.

والكلام على الخوف من عدّة أوجهٍ:

❊ **الوجه الأول**: تعريف الخوف.

والخوف في اللُّغة هو: الذُّعْر والفَزَع.

وأمَّا في الاصْطلاح: فهو انفعالُ القلب وانزِعاجُه وذُعْرُهُ لتوقُّع مكْروه، أو فَوات محْبوب.

وأمَّا في الشـــرع فالخوف: هو الفرار إلى الله تعالى والإقبال عليه بفعْل أَوامرِه واجْتنابِ نَواهِيهِ

خوفًا وفَزَعًا. هذا هو حقيقة الخوف.

ويظهر من خلالِ التعريف أنَّ هذا هو الخوف المحْمود الذي يكوم مقرونًا بالعمل، ومقرونًا بالفعْل، أمَّا إذا كان غير مقرونٍ بالفعْل ولا بالعمل فليس بخوفٍ شرعي وإنَّما هو غُرورٌ، فهذا هو الخوف الشرعي الذي ذُكِرَ في هذا التعريف.

* **الوجه الثاني**: الأدلة الدالة على أنَّ الخوف من العبدة.

المؤلف رحمه الله ذكرَ دليلًا واحدًا.

والأدلة التي تدلُّ على أنَّ الخوف من العبادات، ومن جُملة العبادات التي أمرَ اللهُ بها ودَعا إليها: الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ أمَّا أدلَّة الكتاب فكثيرة، منها: الآية المذكورة.

ومنْها: قوله ﷻ: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل:٥٠].

❖ وأمَّا أدلَّة السُّنة كذلك كثيرة، منها: ما جاء في «الصحيحين» عن جمْعٍ من الصحابة في قصة ذلك الرجل الذي أوصَى بَنِيهِ أن يُحرقُوه، أمرَ اللهُ البرّ فجمعَ ما فيه، والبَحر فجمعَ ما فيه، وأحْياهُ الله ﷻ، فسألَه: ما حَمَلَكَ على ما فعلْتَ؟ فقال: «مَخافَتُكَ».

وهكذا أيضًا جاء عند أبي نُعيمٍ في «الحلْية» من حديث شدَّاد بن أَوْس، وجاء عن غيره كذلك: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله ﷻ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي أَمْنَينِ وَلَا خَوْفَين؛ فَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنيَا أَمَّنتُهُ فِي الآخِرَةِ**» الحديث.

وهكذا أحاديث أخرى كثيرة تدلُّ على أنَّ الخوف من أجل العبادات وأفضل الطاعات.

❖ وأمَّا الإجماع فالعلماء مُجمعُونَ على أنَّ الخوف من جُملة العبادات، ولا خلاف في

ذلك، ولا نزاع بينهم.

إذًا الأدلَّة الدالة على أنَّ الخوف من جملة العبادات (الكتاب والسُّنة والإجماع).

❋ **الوجه الثالث**: محلُّ هذه العبادة، العبادة هذه **محلُّها القلب**، فهي متعلِّقَة بالقلب، ويظهرُ أثرُها على الجوارح، عبادة الخوف متعلِّقَة بالقلب، ويظهرُ أثرُها على الجوارح الظاهرة.

❋ **الوجه الرابع**: أقسام الخوف.

[نحن نضْطر إلى ذكْر التقاسيم لِنفْهمَ كلام المؤلف رحمه الله؛ لأنَّ المؤلف ذكرَ أنَّ الخوف من جُملة العبادات، وأنَّ صرْف الخوف إلى غير الله تعالى شرْك، لكن هذا إنَّما هو في خوف العبادة والطَّاعة، يكون شرْكًا في خوف العبادة والطَّاعة، أمَّا في غيرِ ذلك فقد لا يكون شركًا].

وعلى هذا فالخوف أقسامُه أربعة:

- **القسم الأول**: خوف العبادة والطَّاعة، وهو الخوف من الله ﷻ، الخوف الذي يَحملُ على فعْل المأْمورات، وترْك المحْظورات؛ خوفًا من عذاب الله وعُقُوبتِه، وهو المقصود في كلامِ المؤلف رحمه الله تعالى.

هذا الخوف الذي ذكرْناه إذا صُرِفَ لغير الله كان شركًا، خوف العبادة والطاعة إذا صُرِفَ لغير الله ﷻ كان شركًا.

- **القسم الثاني**: خوف الشرك والتَّنديد، وهو حقيقتُه صرْف الأول لغير الله، والمقصود منه: الخوف من المخلوقين فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله تعالى؛ كالخوف من الأصنام، والأوثان، وهكذا الخوف من الأموات، وأصحاب القبور، والخوف من الجنّ، وغير

ذلك، فهذا هو خوف الشرك والتنديد، فمن وقع فيه فهو مشركٌ شركًا أكبر؛ وذلك لأنَّ الله ﷻ أمرَ العباد بأن يُفردُوه بهذه العبادة، كما في آيات كثيرة، منْها الآيات المَتْلُوَّة.

فالخوف من الأصــنام والأوثان والأنداد وهكذا الخوف من أصــحاب القبور، والخوف من الموات ســواء كانت قبورُهم ظاهرة أو غير ظاهرة هذا من الشــرك بالله ﷻ؛ لأنَّ هؤلاء لا يملِكُون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فمن بابٍ أَوْلَى أنهم لا ينفعون غيرَهم، ولا يضرُّون غيرَهم، فإذا خافَ العبدُ من هؤلاء فإنَّه قد وقعَ في الشــرك الأكبر المُخرِج من المِلَّة - عياذًا بالله تعالى -.

- **القسم الثالث**: الخوف المُحرَّم، وخوف المعْصية، وهذا الخوف الأصل أنَّه لا يكون شركًا، ولا يصل إلى حدِّ الشرك، **وحقيقةُ هذا الخوف**: هو الخوف من المخلوقين فيما يقدرُون عليه، وكان هذا الخوف سببًا لترْك واجب، أو فعْل محرمًا، فمن ترَكَ الصلاة - مثلًا - خوفًا من الناس فهذا وقعَ في أمرٍ محرم، ومن حَلَقَ لحْيتَه خوفًا من الناس كذلك وقعَ في الخوف المُحرَّم، ومَن وقع في المحرَّمات والمنكرات خوفًا من أحدِ المخلوقين فقد وقع في الخوف المحرم، هذا قلْنا **الأصــل فيه** أنه لا يصــل إلى حدِّ الشرك الأكبر المُخرج من المِلَّة، ولكنَّه قد يكون شركًا أصغر، قد يصل الأمر به إلى الشرك الأصغر، وهذا يختلف باختلاف أصحابه، فإذا عَظُمَ الخوفُ من هذه النَّاحية باعتبار هذا الجانب فقد يصــل إلى أن يكون شــركًا أصــغر إلَّا أنَّه لا يُخرج من المِلَّة.

فهذا هو القسم الثالث: الخوف المحرَّم أو خوف المعْصية.

- **القســم الرابع**: الخوف الطبيعي، وهو خوف الجِبِلَّة والطبيعة، وهو ما جُبِلَ عليه العبدُ

وطُبِعَ عليه؛ كالخوف من السِّبَاع، أو الخوف من العَدو، أو الخوف من أيِّ مكْروهٍ كان واقعًا، فهذا خوفٌ طبيعي لا يصل إلى حدِّ الشرك ولا إلى حدِّ المعصية.

إذًا ليس كلُّ خوفٍ يكون شركًا، وليس كلُّ خوفٍ يكون عبادة، وإنَّما يكون الخوف على هذه الأقسام الأربعة المذْكورة: (خوف العبادة والطاعة، وخوف الشرك والتَّنديد، وخوف المعصية، وخوف الجِبلَّة والطَّبيعة وهو الخوف الطبيعي) وهذه الأقسام أدلتُها ظاهرة.

وسيأتي الكلام بتوسُّعٍ على الخوف وبعضِ أحكامِه ومسائِله - إن شاء الله- في الدروس الآتية؛ لأنَّ المؤلف هنا ذكرَهَا على سبيلِ الإجمال، وقد ذكرَ مُعْظَمَ هذه العبادات كلها في «كتاب التوحيد»، فسنحاول نخْتصرُ الكلامَ عليها؛ لأنَّه سيأتي الكلامُ عليها في ذلك الكتاب - إن شاء الله -.

ووجْهُ إيراد هذه الآية قوله: («﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾») المقصود من ذكْرها هنا: الدَّلالة على أنَّ الخوف من جُملة العبادات التي لا تكون إلَّا لله ﷻ، والتي لا يجوز صرْفُها لغيرِ الله سبحانه وتعالى.

وقوله: («وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ»).

أولًا ذكرَ المؤلف رحمه الله الرجاء بعد الخوف لِتَلازُمهما ولِوُجوب الجمْع بينهما، فالخوف ملازمٌ للرجاء، والرَّجاء ملازمٌ للخوف، هذا عند أهل السُّنة والجماعة، فأهل السُّنة والجماعة يُوجِبُون الجمْع بين هاتين العبادتين: بين عبادة الخوف، وبين عبادة الرَّجاء، بخلاف غيرهم فإنَّهم قد يتعبَّدُون لله ﷻ بالخوف وحدَه، وبعضُ أهل الأهواء يتعبَّدُون لله ﷻ بالخوف وحدَه، وبعضُ أهل الأهواء يتعبَّدُون لله بالرجاء وحدَه، وقد ذكرنا لكم الأثر الذي ذكرَه شيخُ

الإسـلام ابن تيمية أنَّه قال: «من عبدَ الله وحدَه» عن بعضِ السَّلف أنَّه قال: «من عبدَ الله بالخوف وحدَه فهو حَروري، ومن عبدَه بالرجاء وحدَه فهو مُرْجِئ، ومن عبدَه بالمحبَّة وحدَها فهو زنديق، ومن عبدَه بالخوف والمحبَّة والرجاء فهو مُوحِّدٌ».

فأهل السُّنة والجماعة مُجمعُون على وجوبِ الجمْع بين الخوف والرَّجاء، فلهذا ذكرَ المؤلف الرجاء بعد الخوف قلنا: لوجوبِ الجمع بينهما، ولتلازُمهِما.

والكلام على الرجاء من عدّة وجوهٍ:

❊ **الوجه الأول**: تعريفه.

الرجاء لغةً: هو الطَّمع والأَمَل في أمرٍ محبوب.

وأمَّا في الاصْطلاح: فهو تعلُّق القلب وطمَعُه بحُصول محبوبٍ وأمَلُه في ذلك.

وأمَّا في الشـرع: فهو الفِرارُ إلى الله تعالى والإقبالُ عليه؛ طمعًا فيما عنده من الخيرِ والثواب الدِّيني والدُّنيَوي.

فهذا هو الرجاء، فالعبدُ يرجو ربَّه أن يغفرَ له، ويرجو ربَّه أن يرحمه، وأن يعفو عنْه، وأن يُدخلَه الجنَّة، ويرجو ربَّه أن يرزقَه، وأن يعافيَه، فالرجاء شامل لأمور الدنيا وأمور الآخرة.

هذا بالنسبة لتعريف الرجاء.

❊ **الوجه الثاني**: الأدلَّة الدالة على أنَّ الرجاء من جُملة العبادات.

الأدلَّة هي: الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فالآية المذْكورة.

ومنْها: قوله ﷻ: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة**: فمن ذلك: ما رواه الترمذي وغيرُه، عن أنسِ بن مالكٍ؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وســـلم قال: «قال الله ﷻ: **«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي»** الحديث.

❖ **وأمَّا الإجماع**؛ فالعلماء مُجمعُون على أنَّ الرجاء من جُملة العبادات بلْ من أعظمها وأجلِّها.

إذًا: أدلَّة الكتاب والسُّــنة والإجماع دالَّة على أنَّ الرجاء من جُملة العبادات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله سبحانه وتعالى.

❋ **الوجه الثالث**: محلُّ هذه العبادة.

محلُّها القلب، وتقدَّم معَنا تقسيم العبادات إلى: قلْبية وعمَلِية وقولية.

فمحلُّ عبادة الرجاء **القلْب**، فهي متعلقة بالقلب.

❋ **الوجه الرابع**: أقسام الرجاء.

يُقالُ في تقسم الرجاء ما قِيل في تقسيم الخوف، وأنَّ الرجاء ينقسم إلى أربعة أقسام:

- **القســم الأول**: رجاء العبادة والطَّاعة، وهو أن يرجو العبدُ ربَّه خيرَي الدنيا والآخرة على حسبِ ما تقدَّم، وأدلَّته هي الأدلَّة المذكورة التي ذكرْناها.

وهذا القسم صَرْفُه لغير الله ﷻ يكون شركًا أكبر مُخرجًا من المِلَّة.

- **القســم الثاني**: رجاء الشــرك والتنديد، وهو أن يرجو العبدُ المخلوق فيما لا يَقدر عليه إلَّا الله تعالى؛ كمَن يرجو نفْعًا - يعني جلْب نفعٍ أو دفْع ضرٍ - من الأموات، وأصحاب

القبور، ومن الأصنام، والأوثان، والأنداد، والطَّواغيت، وسائر المعبودات التي عُبِدَتْ من دون الله ﷻ، فمَن رجا شيئًا من هؤلاء فإنَّه قدْ وقعَ في الشرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

والواجب أنَّ العبد يرجو ربَّه تباركَ وتعالى فيما يريده وفيما يبْتغِيه من المنافع والمصالِح.

وكثيرٌ من أصحاب القبور يقعون في هذا الشرك، فلربَّما يذهبون إلى هذه القبور وهذه الأضْرِحَة فيبذلُون شيئًا من العبادات ويرجونهم من دونِ الله، فبعضهم يسأله الولد، يرجو منه الولد، وبعضهم يرجو منه الرّزق، وبعضهم يرجو منه دفْع المكروه، وبعضهم يرجو منهم الصحة والعافية وإِزالة المرض، وهكذا، قلنا: وهذا شركٌ أكبر مُخرِجٌ من المِلَّة.

- **القسم الثالث**: الرجاء المحرم، أو رجاء المعصية، وهو أن يرجو العبدُ غيرَه من المخلوقِين في أمرٍ محرَّم حرَّمَتْه الشريعة؛ كمَن يرجو غيرَه من المخلوقين في الحصول على المال الحرام، أو في قتْل النفس المحرَّمة، أو في هَتْكِ الأعْرَاض، وهكذا، فهذا هو الرجاء المحرَّم.

أو الرجاء الذي يُؤدِّي إلى ترْك واجب، أو فعْل محرمًا، فهذا رجاء محرم، وهو معصية وذنبٌ كبير.

- **القسم الرابع**: الرجاء الطبيعي، وهو رجاء الجِبِلَّة والطبيعة، وحقيقتُه: أن يرجو المخلوق غيره فيما يقدرُ عليه من الأمور المباحة الجائزة؛ كأن يرجو منه أن يعطيَه شيئًا من المال، أو أن ينفعَه بمنفعةٍ دنيوية واقعة وحاصلة، فهذا جائز ولا حرج في ذلك، ولا يكون شركًا ولا معصية إنَّما يكون شركًا في حال صرْف الرجاء الذي هو

متعلِّق بالعبادة، فإذا صُرِفَ لغير الله ﷻ فإنَّه يكون شركًا وكفرًا مُخرجًا من المِلَّة.

هذا خلاصة الكلام على ما يتعلَّق بالرجاء.

وقوله تعالى: («﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية: هي دلالتُها على أنَّ الرجاء من جُملة العبادات والطَّاعات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: («وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ»).

الكلام على التوكل من عدّة وجوه:

❊ **الوجه الأول**: تعريف التوكل.

فالتوكل في اللُّغة: هو التفْويض والاعْتماد على الغَير، فمَن فوَّضَ غيرَه فقدْ وكَّلَه، ومَنِ اعتمدَ على غيره فقد وكَّله، **فحقيقة التوكل** هو التفْويض والاعْتماد على الغَير.

وأمَّا في الاصْطلاح: فهو الاعتماد على الغَير في جلْبِ منْفعة أو دفْع مضرَّة.

ونحنُ نلاحِظُ أنَّ التعاريف الاصْطلاحية غالبًا أنَّها عامة يعني: تشمل الأمور المتعلقة بحقِّ الله ﷻ، والمتعلِّقة بحقِّ غيره، فيشمل المعنى اللُّغَوي العام، والمعنى الاصْطلاحي، والمعنى الشرعي، **وأمَّا التعريف الشرعي فهو تعريفٌ خاص**.

وأمَّا التوكل تعْريفه في الشرع: صِدْقُ الاعْتماد على الله تعالى وتفْويض الأمر إليه في جلْبِ المنافع ودفْع المَضَار معَ فعْل الأسباب المشروعة.

فالمؤمن معتمدٌ على الله تباركَ وتعالى اعتمادًا كُلّيًا في جميع حياته، وفي جميع شؤونه، وفي جميع أمُوره، فهو مُفوِّضٌ لأمْره الدِّيني والدنيوي إلى الله ﷻ، ومعتمدٌ اعتمادًا كُلّيًا على الله

جلَّ وعلا في تحصيل هذه المنافع، وفي دفْع هذه المَضَار، ومعَ ذلك فإنَّه يقوم بفعْل الأسباب المشـــروعة، ولهذا قال أهل العلم: «فعْلُ الأســباب المشــروعة من حقيقة التوكل» فالتوكل الشـرعي لا يكون إلَّا مقرونًا بفعْل الأسـباب الشـرعية، فإذا خَلَا عن فعْل الأسـباب الشـرعية فليس بتوكلٍّ شـرعي، وفعْل الأسباب الشـرعية عند أهل السُّنة والجماعة لا ينافي التوكل، بلْ يقولون: إنَّها من حقيقة معنى التوكل، فالتوكل لا يكون شــرعيً إلَّا إذا كان مقرونًا بفعْل الأســباب الشــرعية، وقد دلَّت على ذلك النُّصــوص الكثيرة من كتاب الله جلَّ وعلا وسُــنَّة رسولِه صلى الله عليه وسلم في كون فعْل الأسباب الشـرعية لابدَّ منها، وأنَّها لابدَّ أن تكون مقرونة بمعنى التوكل أو بحقيقة التوكل.

إذًا هذا هو التعريف الشرعي للتوكل.

❊ الوجه الثاني: **الأدلَّة على أنَّ التوكل من العبادات**: الأدلة هي الكتاب والسُّــنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فالآيتان المذْكورتان، والآيات في القرآن على أنَّ التوكل من العبادات كثيرةٌ جدًا.

❖ **وأمَّا الأدلَّة من السُّنة** فأيضًا كثيرة.

منْها: ما رواه الترمذي وغيرُه، عن عمرَ رضي الله عنه؛ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

وهكذا **حديث** ابن عباس الذي رواه البخاري أنَّه قال: «**حَسْــبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**، «**قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم**» حِينَ قَالَ النَّاسُ:

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. الآية.

وهكذا أحاديث أخرى كثيرة تدلُّ على أنَّ التوكل من العبادات العظيمة.

❖ والعلماء مُجمعُون على أنَّ التوكل من جملة العبادات وأجلّ الطَّاعات والْقُرُبات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله ﷻ.

❋ **الوجه الثالث**: محلُّ هذه العبادة، ومحلُّها **القلب**، لكن قد يظهر أثرُها على الجوارح، وإلَّا فالأصل أنَّ التوكل متعلِّق بالقلْب، وأنَّ محله القلب.

❋ **الوجه الرابع**: أقسام التوكل.

التوكل كذلك ينقسم إلى أربعة أقسام:

- **القسم الأول**: توكل العبادة والطاعة، وهو التوكل على الله ﷻ في جلْبِ المنافع ودفْع المَضَار معَ فعْل الأسباب المشروعة، وهو التوكل المذكور الذي تقدَّم تعريفُه.
- **القسم الثاني**: توكل الشرك والتَّنديد، وهو التوكل على غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، وهكذا كالتوكل على الأصنام والأوثان والأنداد وأصحاب القبور والأضْرِحَة والأموات، هذا كلُّه من توكل الشرك والتَّنديد، فمن توكَّل على أحدٍ من هؤلاء المذْكورِين فيما يخْتصُّ به الربُّ سبحانه وتعالى وفيما لا يقدر عليه إلَّا الله جلَّ وعلا فقدْ وقعَ في الشرك الأكبر المُخرِجُ من المِلَّة، فالتوكل على الأموات من الشرك، والتوكل على الأصنام والأوثان من الشرك، والتوكل على الشمس والقمر والنجوم والكواكب من الشرك.

وهكذا التوكل أيضًا على الأحياء فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله؛ كمَن يتوكَّل على حيٍّ في تحْصيلِ

الولد، أو يتوكَّل على حيٍّ في حُصول المغْفرة، أو نحو ذلك، فهذا أيضًا شركٌ أكبر مُخرجٌ من المِلَّة، فيشمل هذه الأمور كلها.

- **القسم الثالث**: التوكل المحرم، أو توكل المعصية، وهو التوكل على المخلوق والاعْتماد عليه فيما لا يقدر عليه معَ الاعْتماد عليه؛ كتوكُّل - مثلًا - بعض المخلوقين على الأمراء والملوك فيما يتعلَّق بالأرزاق وأمور المَعيشة، ونحو ذلك، هذا توكلٌ محرم، وتوكل معصية، لا يكون شركًا، ولا يَصِل إلى حدِّ الشرك الأكبر، ولكنَّه قد يصل إلى حدِّ الشرك الأصغر.

فمن توكَّل على مخلوقٍ فيما يقدر عليه واعْتمدَ على هذا المخلوق معَ اعْتقادِه أنَّ الأمور كلها بيدِ الله ﷻ، وأنَّ هذا المخلوق أمْرُه بيدِه سبحانه وتعالى فهذا يكون توكلًا محرَّمًا، ولا يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر ولكن قد يصل إلى حدِّ الشرك الأصغر؛ إذا عَظُمَ هذا التوكل وأثَّر في صاحبه فيكون شركًا أصغر في هذه الحالة.

- **القسم الرابع**: توكل جائزٌ ومُباحٌ، وهو التوكل الذي بمعنى **التوكيل للغَير**؛ كمَن يوكِّل غيرَه في أمْرٍ من أمور الدنيا، أو في منْفعة من منافع الدنيا؛ كالتَّوكيل في العقود، والتجارات، والزراعات، والأنكحَة، وغير ذلك، هذا توكيلٌ أو توكُّلٌ مباح، والأصل فيه أنَّه يُقالُ: «توكيل»؛ لأنَّ حقيقته **الاعتماد على الغَير**، فمَن اعتمد على غيره في أمرٍ مباح وقادر عليه وليس بمتعذِّر عليه فهذا توكُّلٌ جائز ومباح، وقد دلَّت على جوازه النُّصوص الكثيرة من كتاب الله ﷻ ومن سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الدرس السابع

قال المُصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٩].



قال الشّارح وفّقه الله:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قال المؤلف رحمه الله: («وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾») ذكر المؤلف في هذه الفقْرة ثلاثة أنواع من أنواع العبادات والطاعات:

- **النوع الأول**: الرَّغبة.
- **النوع الثاني**: الرَّهْبَة.
- **النوع الثالث**: الخشوع.

والكلام على الرغبة من عدَّة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريف الرَّغبة.

فالرغبة في اللُّغة: إرادة الشيء والمَيلُ إليه.

وأمّا في الشرع: فهي مَيلُ النَّفس إلى أمْرٍ محْبوب وطلَبُه وإرادة الوُصول إليه.

وفي الشرع مُمكن أن تقول: مَيلُ القلْب إلى الله تعالى.. إلى آخره.

* **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ الرَّغبة من جُملة العبادات والطَّاعات.

الأدلة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فمنها: الآية المذْكورة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾ [التوبة:٥٩].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة**: فما جاء في «الصحيحين» عن البَراء بن عازب في الذكْر الذي يُقالُ عند النوم: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ».

❖ والعلماء مُجمعُون على أنَّ الرغبة من جُملة العبادات والطَّاعات، ولا خلاف بينهم في

ذلك.

والرغبة هي قَريبة من معنى الرجاء، وعلى هذا يُقال: أقسام الرغبة كأقسام الرجاء، فأقسام الرجاء أربعة، فيُقال في أقسام الرغبة أنَّها أربعة:

- رغبة عبادة وطاعة.
- رغبة شركية.
- رغبة محرَّمة.
- رغبة جائز ومباحة.

قوله: («وَالرَّهْبَةِ») الرهبة أيضًا هي قريبة من معنى الخوف، والمؤلف رحمه الله جمعَ بين الرغبة والرهْبة لتَلازُمهِما أيضًا، ووجوب الجمْع بينهما؛ كما وجبَ الجمع بين الخوف والرَّجاء، وقلنا إنَّ معنى الرغبة والرهبة قريبٌ من معنى الخوف والرجاء.

والكلام على الرهبة من أربعة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريفها.

وتعريفها في اللُّغة: هي الخوفُ والفَزَعُ معَ التَّحَرُّزِ.

وأمَّا في الشرع: فهي الخوف الدائم من الله تعالى المَقرون بالعملِ.

* **الوجه الثاني**: أدلَّة الرهبة الدالة على أنَّها من العبادات: الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فهذه الآية.

وأيضًا منها: قوله تعالى: ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة:٤٠].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة**: فحديث البراء بن عازب في «الصحيحين» السابق.

ومنها: حديث ابن عباس عند أب داود والترمذي وابن ماجةَ وأحمد؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا» الحديث وهو في «الصحيح المُسند ممَّا ليس في الصحيحين» لشيخنا الوادعي رحمه الله.

❖ **والعلماء لا يختلفون** على أنَّ الرهبة من جُملة العبادات والطَّاعات لدَلالة النُّصوص على ذلك.

* **الوجه الثالث**: أقسام الرَّهبة.

يُقال في أقسام الرهبة ما قِيلَ في أقسام الخوف، فيُقال فيها:

- رهبة عبادة وطاعة.
- رهبة شرك وتندِيد.
- رهْبة محرَّمة.
- رهبة مُباحة.

هذا في الجُملة، وإلَّا قد ذكرْنا أنَّه يُوجدُ فرقٌ دقيقٌ بين الخوف وبين الرَّهبة.

* **الوجه الرابع - وهو متعلِّقٌ أيضًا بالرغبة -**: أنَّ الرغبة والرهْبة متعلِّقانِ بالقلْب، هما عبادتان متعلقتان بالقلْب، كما أنَّ الخوف والرجاء متعلقان بالقلب، وقد يظهر أثرُ ذلك على الجوارح.

قوله: («وَالْخُشُوعِ»).

الكلام عليه من عدّة أوجه:

* **الوجه الأول**: تعريفه.

فالخشوع في اللُّغة: هو السَّكينة والطُّمَأْنِينَة.

وأمَّا في الشرع: فهو ذُلُّ القلْب وطُمَأْنِينَته وسُكون الجوارح وانكِسارُها.

* **الوجه الثاني**: الأدلَّة الدالة على أنَّ الخشوع من العبادات: الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فهذه الآية المذْكورة، وأيضًا قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون:٢].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة**؛ منها ما رواه مسلمٌ في صحيحِه، عن عثمانَ رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ**» أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

وحديث عبادةَ بن الصَّامت في «السُّنَن»: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ» الحديث. وهناك أيضًا أحاديثُ كثيرة تدلُّ على ذلك.

❖ **والعلماء مُجمعون** على أنَّ الخشوع من جُملة العبادات والطَّاعات، ولا يختلف أهلُ العلمِ في ذلك.

* **محل هذه العبادة**: محلُّ الخشوع القلب والجوارح، فالخشوع يكون متعلِّقًا بالقلب، ويكون متعلقًا بالجوارح، فخُشوعُ القلْب ذُلُّهُ وطُمأْنينَتُه، وخُشوعُ الجوارح سُكونها وانكسارها، ولهذا يذكر أهلُ العلم في الكلام على الخشوع في الصلاة أنَّه ينقسم إلى هذين القسمين: (خشوع القلب، وخشوع الجوارح).

وأكملُ العبادة في هذه العبادة: مَن جمعَ بين الأمرين: بين خشوع القلب، وخشوع الجوارح؛

لأنَّ من الناس مَن يكون خاشعًا بجوارحِه وليس خاشعًا بقلْبِه، والأصل أنَّ من كان خاشعًا بقلْبِه أنَّه يخشع بجوارحِه، ولا عكْس، ولا شكَّ أنَّ خشوعَ القلب أعْلَى وأعْظم وأجلّ من خشوع الجوارح، ولهذا لا يُوفَّق إليه إلَّا المخلصُون من عبادِ الله تباركَ وتعالى.

* **الوجه الرابع**: أقسام الخشوع، يُقالُ في أقسام الخشوع ما قِيل في أقسام الخوف والرجاء، فينقسم إلى أربعة أقسام:

- خشوع عبادة وطاعة، وهو الخشوع لله عز وجل والانكسار بين يدَيه.
- خشوع شركٍ وتَنديد؛ كالخشوع للأصنام والأنداد والأضْرِحَة والأموات، وهذا يحصلُ كثيرًا، فبعضُ الجَهَلَة من المسلمين، أو بعض الواقعين في الشرك إذا وصل إلى صاحبِ القبر خشعَ خُشوعًا عجيبًا، فذلَّتْ جوارحُه، وانكسَرَتْ أعضاؤُه لأجل هذا، فهذا خشوعٌ شرْكي، وخُشوع تَنديد - عياذًا بالله تبارك وتعالى -.
- الخشوع المحرَّم، وهو الخشوع للمخلوق الذي يقْترن به التعظيم؛ وذلك كالخشوع لكُبَرَاءِ القوم، للأمَراء، والمُلُوك، والرُّؤساء، فبعض الناس إذا حضرَ عند مَلِكٍ من المُلوك أوْ رئيسًا من الرؤساء يكون خاشعًا ذليلًا مُنكسرًا على جهةِ التعظيم والإجلال، فهذا الأصل فيه أنَّه محرَّم، فإذا تجاوز فيه صاحبُه فإنَّه قد يصل إلى حدِّ الشرك الأصغر.

من ذلك ما يفْعلُه في المُؤسَّسات العسْكرية أو غيرها، إذا دخل ضابطٌ كبير أو غيره قامَ الجنود له يعني: وقفوا بين يدَيه وخضعُوا له، وانكسَرَتْ جوارحُهم، هذا أقلّ ما يُقالُ فيه أنَّه خشوعٌ محرَّم.

هكذا ما يفعله كثيرٌ من الناس عند ما يُسمَّى بـ«تحيّة العَلَم»، أو ما يُسمَّى بـ«السَّلام الجمهوري أو المَلَكِي».. إلى آخره، إذا حصل شيءٌ من هذا خشعَ الحاضرون، ولا يتحرَّكون لا يَمْنَةً ولا يسْـرَة، وهذا موجود بكثْرة عند الحكومات، أنَّه إذا تمَّ رفْع شـعار الدولة وتمَّ رفْعُه إلى مكانٍ عالٍ تَرَى الحاضـرين جميعًا قد أُمِرُوا بالخُضـوع والسـكون والخشـوع، وأنَّ مَن تحرَّك فإنَّه يُعاقَب، وهكذا إذا جاء مَلِكٌ من المُلوك أو رئيس من الرؤساء حصلَ شيءٌ من ذلك، وهكذا إذا - كما يُقال - عُزِفَ السَّلام الجمهوري، أو السَّلام المَلَكِي يكون الحاضرون قد خشعوا وخضـعوا وأنصـتوا لهذا الأكر الطَّاغُوتي، فهذا أقلّ أحواله أنَّه محرم وإلَّا فقد يصـل إلى حدِّ الشرك الأصغر - عياذًا بالله -؛ لأنَّ الوقوع على جهة التعظيم المَقرون بالخشوع والخضوع لا يكون إلَّا لله تعالى.

والخشوع الذي بمعنى الخضوع يعني: الخشوع المباح الذي بمعنى سَكِينة الشخص وهدوءه وطُمَأْنِينَته هذا جائز لا حرجَ فيه.

قوله: («﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾»).

مناسـبة ذكْر هذه الآية هنا: هو الدَّلالة على أنَّ هذه الثلاثة الأمور المذْكورة (الرَّغبة والرَّهْبة والخُشوع) من العبادات والطَّاعات.

قوله: («وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾»).

الكلام على الخشية من عدَّة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريف الخشية.

الخشية لُغَة: هي الخوف والفَزع.

وأمَّا في الشرع: فهي الخوف المقرون بالعِلْمِ والعملِ والتعْظيم.

ولهذا قال أهل العلم: «الفرْق بين الخوف والخشــية: أنَّ الخوف قد يكون مجرَّدًا عن العلْم، فإذا اقْترنَ به العلم صارَ خشية».

والفرق بين الخوف والخشْــية أن الخوف لا يلْزم منه أن يكون مقرونًا بالعلم، وأمَّا الخشــية فلابدَّ أن تكوم مقرونة بالعلم.

* **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ الخشــية من جُملة العبادات، الأدلَّة هي الكتاب والسُّــنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية المذْكورة.

ومنها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ**﴾ [فاطر:١٨] الآية.

❖ **وأمَّا الأحاديث** فكثيرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ».

وأيضًا جاء في بعض ألْفاظ ذلك الحديث الذي جاء في «الصحيحين» عن جمْعٍ من الصحابة في الرجل الذي أَوْصَى بَنِيهِ أن يُحرقوه، لمَّا سألَه الله عز وجل: ما حمَلَكَ على ما فعلْتَ؟ قال: خَشْيتُكَ.

❖ **والعلماء مجمعون** على أنَّ الخشية من جُملة العبادات والطَّاعات.

* **الوجه الثالث**: محل هذه العبادة، **محلُّها القلب**، كما أنَّ الخوف محلُّه القلب، ويظهر أثرُ ذلك على الجوارح.

* **أقسام الخشْية**، الخشية تنقسم كما ينقسم الخوف، فمنْها:

- خشية عبادة وطاعة.
- وخشية شرْك وتَنديد.
- وخشية محرَّمة.
- وخشية مباحة.

هذا هو الأصل، ولا يحتاج إلى إعادة الكلام؛ لأنَّ الكلام واضحٌ في ذلك.

قوله: («وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾»).

الكلام على الإِنابَة من عدَّة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريفها.

فالإنابة لُغَة: مُشْتقَّةٌ من «النَّوب» وهو: رجوعُ الشيء مرَّة بعْد أُخرى، فالمُنيب هو الذي يَرجع إلى الشيء مرَّة بعد أخرى.

وأمّا في الشــرع: فهو الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه تباركَ وتعالى بالطَّاعة والتوبة قصْـدًا وإِخْلاصًا. [هذا أحسن ما قِيلَ في تعريف الإنابة]

إذًا حقيقتُها: الرجوع، والمُنيب هو الذي يَرجع إلى الشيء مرَّة بعد أخرى.

* **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ الإنابة من العبادات؛ الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية المذْكورة.

ومنها أيضًـــا: قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّــلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْــرِكِينَ﴾ [الروم:٣١].

❖ **وأمَّا الدليل من السُّنة**: ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما؛ عن ابن عباس في الحديث

السابق، وفيه: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ مُنِيبًا».

❖ **والعلماء مجمعون** على أنَّ الإنابة من جُملة العبادات وأجلّ الطَّاعات.

ووجْهُ إيراد الآية وهي قوله تعالى: («﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾») هو الدَّلالة على أنَّ الإنابة من العبادات والطَّاعات، كذلك الآية المذْكورة في الخشية.

قوله: («وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»).

الكلام على الاسْتعانة كذلك من عدَّة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريف الاسْتعانة.

وتعريفها لُغَة: هي طلبُ العَون، وهي مُشْتقَّة من «المُعاوَنَة والمُظاهَرَة» فمَن اسْتعانَ بشيءٍ فقد طلبَ منْه العونَ، وسواء هذا الطلب كان بلسان الحال أو بلسان المَقال.

وأمَّا تعريفها في الشرع: فهي طلبُ العون من الله تعالى والاعْتماد عليه، والثِّقَة به سبحانه وتعالى في جَلْبِ المنافع ودفْع المَضار.

هذه الاسْتعانة بالله تباركَ وتعالى، فحقيقة الاسْتعانة بالله جلَّ وعلا: أنَّ العبد يثق بالله جلَّ وعلا، ويَعتمدُ عليه اعْتمادًا كليًّا في جلْب كلّ خيرٍ، وفي دفْعِ كلّ ضُرٍّ وشرٍّ، فهو يُفَوِّضُ أمرَه إلى الله عز وجل، وهذا المعنى قريبٌ من معنى التوكل. فهذه هي حقيقة الاسْتعانة بالله تباركَ وتعالى.

* **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ الاسْتعانة من العبادات؛ الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فهذه الآية المذْكورة في (سورة الفاتحة).

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة**؛ منْها: هذا الحديث المذْكور حديث ابن عباس: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

ومنها: حديث أبي هريرة عند مسلم: «اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ».

وهكذا هناك أحاديث أخرى غير هذه الأحاديث المذْكورة.

❖ **والعلماء مجمعون** على أنَّ الاسْتعانة من العبادات والطَّاعات.

* **الوجه الثالث**: محلّ الاسْتعانة، محلُّها القلْب والجوارح، فهي متعلِّقَة بالقلْب ومتعلِّقَة بالجوارح.

* **الوجه الرابع**: أقسام الاسْتعانة، يُقال في أقسام الاسْتعانة ما قِيلَ في أقسام الخوف، وأقسام الرجاء، **فهي على أربعة أقسام**، وهذا التقسيم هو باعتبار الحكْم عليها:

- اسْتعانة عبادة وطاعة، وهي الاسْتعانة المذْكورة.
- الاسْتعانة الشركية، وهي الاسْتعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالى، سواء كان هذا المخلوق حيًّ أم ميتًا، وسواء كان من الجمادات أو من الحيوانات، فالاسْتعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله عز وجل **شركٌ أكبر مُخرِجٌ من المِلَّة**، فمن استعانَ بالأصنام، والأوثان، والأنداد، والكواكب، والشمس، والقمر، فاسْتعانتُه اسْتعانة شركية.

وهكذا من استعان بالجنِّ فيما لا يقدرون عليه، فإنَّه استعانة شركية مُخرِجَة من المِلَّة، كذلك الاسْتعانة بالسحرة، والاسْتعانة بالمُنَجِّمِين، والاسْتعانة بالكُهَّان فيما لا يقدر عليه إلَّا الله

تباركَ وتعالى فهي أيضًا اسْتعانة شركية بالله جلَّ وعلا، وهي مُخرِجَة من المِلَّة.

كذلك الاسْتعانة ببعضِ الأحياء فيما لا يقدر عليه إلَّا الله عز وجل، وفيما هو من خصائص الله جلَّ وعلا.

فمثال ذلك: مَن يسْتعين ببعض الأولياء في حصول الشفاء، أو في حصول الرزق، أو في الحصول على المال، أو الحصول على الولَد، فهذه اسْتعانة شرْكية، وإن كان المُستعانُ به حيًّا إلَّا أنَّ هذا الحي لا يقدر على هذه الأمور؛ لأنَّها من خصائص الله جلَّ وعلا، فالاسْتعانة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلَّا الله تباركَ وتعالى اسْتعانة شرْكية مُخرِجَة من المِلَّة، سواء كان المُسْتعانُ به حيًّا أم ميتًا، وسواء كان من الحيوانات أو من الجمادات.

- الاسْتعانة المحرَّمة، الاسْتعانة المحرَّمة هي الاسْتعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه في أمورٍ محرَّمة؛ كالاسْتعانة بالمخلوق على القتل، على السَّرِقة، على أَخْذِ المال، على انتهاكِ الأعْرَاض، على الظلْم، إلى آخره، هذه استعانة محرَّمة.

ويدخل فيها: الاسْتعانة بالجنِّ فيما يقدرون عليه.

هذه المسألة - وهي مسألة الاسْتعانة بالجنِّ فيما يقدرون عليه - الصحيح أنَّها محرَّمة ولا تجوز، وإن كان بعضُ أهل العلم قد أجازَها بضوابط، لكن الصحيح أنَّها لا تجوز، وهو الذي رجَّحَه كثيرٌ من المحقِّقِين من أهلِ العلم؛ لأن الاسْتعانة بالجنِّ وسيلة من وسائل الشرك، وقد تُؤدِّي بصاحِبها إلى الوقوع في الشرع - عياذًا بالله تعالى - فلا تجوز الاسْتعانة بالجنِّ وإن كانوا قادرين على هذا الأمر الذي أرادَ الاسْتعانة من أجلِه، أو في تحْقيقِه وتحصيلِه، فهي اسْتعانة محرَّمة؛ لأنَّها وسيلة وذَريعة إلى الوقوع في الشرك بالله تباركَ وتعالى.

وما قالَه بعضُ أهلِ العلم في هذا فهذا غلط؛ فالاسْتعانة بالجنِّ الأصل أنها لا تجوز بلْ هي محرَّمة فيما يقدرون عليه.

أمَّا الاسْتعانة بالجنِّ فيما لا يقدرون عليه فهي شركٌ أكبر مُخرِجٌ من المِلَّة باتفاق السَّلف، إنما الخلاف هو في الاسْتعانة بالجنِّ فيما يقدرون عليه.

- الاسْتعانة المباحة، الاسْتعانة الجائزة، وهي الاسْتعانة في الأمور المباحة والأشياء الجائزة؛ كالاسْتعانة في رفْع الأثْقال وحمْلها، والاسْتعانة في الحصول على المال وهكذا، فهذه استعانة مباحة وجائزة، ولا شيء فيها.

وهناك تقسيمٌ آخر بالنسبة للاسْتعانة باعتبار المُستعان به تنقسم إلى أقسام أخرى، سيأتي ذكرُها - إن شاء الله - في الدروس الآتية، [ونحنُ حريصون على أنَّنا لا نتوسَّع؛ لاعتبار أنَّ هذه الأمور المذْكورة هنا سيأتي ذكرُها - إن شاء الله - في الدروس الآتية].

قوله: («وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»).

الكلام على الاسْتعاذة من عدَّة وجوه:

* **الوجه الأول**: تعريف الاسْتعاذة.

والاسْتعاذة في اللُّغة: هي طلبُ العَوذ، والعَوذ: هو النُّصْرة وإزالة الشدَّة والمكْروه.

وأمَّا في الشرع: فهي الالْتجاءُ إلى الله تعالى والاعْتصام به من شرِّ كلِّ ذِي شرّ.

فحقيقة الاسْتعاذة هي الاعْتصام والالْتجاء، فالمُستعيذ معْتصمٌ ومُلْتجئ إلى الغير، فالمُستعيذ بالله تعالى مُعتصمٌ بالله ومُلْتجئٌ إليه تباركَ وتعالى.

* **الوجه الثاني**: أدلَّة الاسْتعاذة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

أمَّا أدلَّة الكتاب فالآيتان المذْكورتان، وهكذا آيات كثيرة، ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ [المؤمنون:٩٧- ٩٨].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة جدًا؛** «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

وهكذا: «أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

فالأحاديث الدَّالة على أنَّ الاسْتعانة من العبادات كثيرة جدًا.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على أنَّ الاسْتعاذة من جُملة العبادات، ولا يختلفون في ذلك.

والأصل أنَّ الاسْتعاذة محلُّها الجوارح الظاهرة، ومنها اللّسان، ولها تعلُّقٌ بالقلْب إلَّا أنها أظهر في الجوارح الظاهرة.

* **الوجه الرابع**: أقسام الاسْتعاذة، يُقالُ في تقسيم الاسْتعاذة ما قِيل في أقسم الاسْتعانة، وأنَّها أربعة أقسام:

- استعاذة عبادة وطاعة.
- واستعاذة شركية.
- واستعاذة محرَّمة.
- واستعاذة مباحة.

قال: («وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾»).

الكلام على الاسْتغاثة من وجوه عدّة:

* **الوجه الأول**: تعريف الاسْتغاثة.

والاسْتغاثة لُغَة: هي طلبُ الغَوث والنُّصْرة لإِزالة الشِّدَّة والمكْروه.

وأمَّا في الشرع: فهي طلبُ الغَوث من الله تباركَ وتعالى في إزالة الشِّدَّة والمكْروه.

* **الوجه الثاني**: محلُّ هذه العبادة، الاسْتغاثة كذلك محلُّها الجوارح الظاهرة، ولها تعلُّقٌ بالقلْب، وهذا هو الوجه الثاني.

* **الوجه الثالث**: ودليلُ الاسْتغاثة الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية المذْكورة، وهكذا آيات أخرى.

❖ **وأدلَّة السُّنة**: ما جاء في «الصحيحين»: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في الاسْتسْقاء: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» وهكذا أحاديث أخرى.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على أنَّ الاسْتغاثة بالله تعالى من أجلِّ العبادات والطَّاعات.

* **الوجه الرابع**: أقسام الاسْتغاثة، يُقالُ في أقسام الاسْتغاثة ما قِيلَ في أقسام الاسْتعانة والاسْتعاذة.

هذا خلاصة ما يتعلَّق في الكلام على هذه العبادات المذْكورة، وسيأتي الكلام - إن شاء الله - في الدروس الآتية حول الفرق بين (الاسْتعانة والاسْتعاذة والاسْتغاثة) إن شاء الله تعالى.

الدرس الثامن

قال المُصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَـلاَتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف: («وَدَلِيلُ الذَّبْحِ») أي الدليل على كونه من العبادات.

الكلام على الذبح من عدَّة وجوه:

❇ **تعريف الذبح.**

الذبح في اللُّغة: هو القطع والشّق، فلا يكون الذبح إلَّا بذلك، إلَّا بالقطع أو الشَّق.

وأمّا في الشرع: فهو إزْهَاق الرُوح بإِراقَة الدِّماء على وجهٍ مخصوص.

وذلك - كما تعلمون - بقطع الحُلْقُوم والأوداج، إلى آخره.

ويَلْحق بالذبح أو في معناه: النَّحْر يعني: ما يُقال في الذبح يُقال في النَّحْر، وهكذا يلْحق بالذبح:

العَقْر.

قلنا الأصــــل في الذبح: أنه قطْع الحلْقُوم والأودَاج، وأمَّا النَّحْر فهو خاصٌّ بالإبل، ويكون في اللَّبَّة يعني شقّ لَبَّة الجمل أو الناقة، **وأمَّا العقْر فهو** قتْل الحيوان بإسَالة الدِّماء في أي مكانٍ من جسـدِه، هذا هو العقر، سـواء كان في بطنِه، في رأسِــه، في قدمِه، إلى آخره، والعقر غالبًا يكون عند البَهيمة الشـــاردة، وعلى هذا فالنَّحْر يأخذ حُكْمَ الذبح يعني من ناحية كونه عبادة، ومن ناحية كونه لا يُصرف إلَّا لله، وهكذا العقر، فمِمَّا يلْحق بالذبح: النَّحْر والعقر.

❃ **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ الذبح من العبادات والطَّاعات، الأدلَّة هي الكتاب والسُّـنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية المذْكورة.

ومنْها أيضًا: قوله عز وجل: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر:٢].

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكثيرة**؛ منها حديث علي رضي الله عنه المذْكور الذي ذكرَه المؤلف.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على أنَّ الذبح من جُملة العبادات والطَّاعات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله سبحانه وتعالى.

❃ **الوجه الثالث**: محلُّ هذه العبادة، محلُّها **الجوارح**، فهي عبادة عملية مالية.

❃ **الوجه الرابع**: أقسام الذبح، ينقسم الذبح إلى خمسة أقسام:

- **ذبح العبادة والطَّاعة**، وهذا الذبح حقيقته الذبح لله تباركَ وتعالى، والتَّقرُّب إليه بذلك، وذلك كذبحِ الأُضْحية، والعقيقة، والهدْي، وجزاء الصيد وكذلك إكرام الضيف، هذه الذبائح كلُّها من ذبائح العبادة والطَّاعة لله تباركَ وتعالى، ويدخل في ذلك ذبحُ النَّذْر،

من نذر أن يذبح لله عز وجل تقرُّبًا وطاعة فهو داخل تحت هذا القسم.

- **ذبح شــركٍ وتنديد**، وهو الذبح لغير الله عز وجل على جهة التقرب أو التعظيم، فكلُّ ذبيح ذُبِحَتْ لغير الله عز وجل، وقُصِـدَ بها التَّقرب والتعظيم فهي شـركٌ بالله عز وجل، وكذلك تنديد به سـبحانه وتعالى؛ كالذبح للأصـنام، والأوثان، وهكذا الذبح للجنِّ، والذبح للشـياطين، والملائكة، وكذلك الذبح للأمراء والمُلُوك تقرُّبًا وتعظيمًا لهم، وكذلك الذبح للهَجَرِ إذا قُصِـدَ به الإرضـاء والتعظيم، كلُّ هذه الذبائح ذبائح شـرْكية، قلنا: ويدخل في ذلك ذبحُ الهَجَر، والهَجَر معروف: هو ما يُذبحُ من الذبائح عند وجود الخصومات والخلافات، فيذبح أحدُ المتخاصِمَين للآخر؛ إرْضاءً له وتعظيمًا لشأْنِه، أو من أجل ردّ الاعتذار له كما يقوله العوام، فهذا الذبح يُعتبرُ شـركًا أكبر مُخرجٌ من المِلَّة.

- **ذبح بدعة وضلالة**؛ كالذبح للاسْتسـقاء أو عند حصـول الاسْتسـقاء، فقد جرَتْ عادةُ كثير من الناس - لا سـيَّما عندنا هنا في اليمن - أنهم يذبحون ذبيحة بعد صـلاة الاسْتسقاء، هذا الذبح يُعتبرُ بدعة وضلالة إذا قصدوا به الصدقة أو إطعام الطيور، أمَّا إذا قصـدوا به التَّقرب للجنِّ فهي ذبيحة شـركية، لكن الغالب أنهم يقولون: أنَّهم يذبحون هذه الذبيحة؛ إمَّا لإطعام المسـاكين والفقراء، وإمَّا لإطعام الطيور وسـائر الحيوانات، فهذا الذبح ليس بمشـروع؛ لعدم وجود الدَّليل الذي يدلُّ على ذلك، وكذلك الذبح للعَزَاء، فقد جرَتْ عادة كثير من الناس أنَّه إذا مات ميتٌ لهم أقاموا له عزاءً وذبحوا له ذبيحةً، فهذا الذبح يُعتبرُ بدعة وضـلالة؛ لعدم وجود ما يدلُّ على

مشـروعية ذلك، والنبي صـلى الله عليه وسـلم يقول: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**».

وكذلك الذبح في إقامة المَوالِد، فكثيرٌ مِمَّن يسعى إلى إقامة المَوالد، أو يقوم بالدَّعْوى إلى ذلك، وتهْييج الناس إليها فإنَّهم يقومون بذبحِ بعض الذبائح في هذا المولد؛ تعظيمًا لهذا المولد، وتعظيمًا لشأْنِه، فهذه الذبائح كلها بدعة وضلالة.

- **ذبح محرَّم ومعصية**، هذا الذبح المحرم بعضُ صُوره داخلة في الهَجَر إذا لم يُقصدْ بها التقرب والتعظيم، وقد يصل إلى حدِّ الشرك الأصغر.

وهكذا الذبح لله عز وجل عند القبور والأضْرِحة، أو الذبح لله عز وجل في مكانٍ كان يوجَد فيه طاغوت من الطَّواغيت، أو وثَن من الأوثان، فهذا الذبح - على الصحيح - أنَّه محرَّم في هذه الحالة وفي هذه الصورة.

- **ذبحٌ جائزٌ ومباح**؛ كالذبح للأكل أو التجارة.

إذًا الذبح لا يخْلوا من هذه الخمسة الأقسام، فإمَّا أن يكون عبادة وطاعة، وإمَّا أن يكون شركًا وتنديدًا، وإمَّا أن يكون بدعة وضلالة، وإمَّا أن يكون محرَّمًا ومعصية، وإمَّا أن يكون مباحًا وجائزًا.

قوله تعالى: ((«﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾»)).

وجه ذكْر هاتين الآيتَين: هما الدَّلالة على أنَّ الذبح من العبادات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله عز وجل، فلا يجوز صرْفُها لغير الله سبحانه وتعالى.

والشاهد في الآية قوله: (﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾) والمراد بالنُّسُكِ هنا: الذَّبيحة - على الصحيح من أقوال أهل التفسير -.

فقد دلَّت هذه الآية على أنَّ الذبائح من العبادات، وعلى أنها لا تكون إلَّا لله تباركَ وتعالى.

قول المؤلف: (﴿وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»﴾).

وجهُ الدَّلالة من هذا الحديث: دلالتُه على أنَّ الذبح لغير الله من الكبائر والمحرَّمات، وأنَّ ذلك من الشرك، وأنَّ فاعل ذلك ملعونٌ بلَعْنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وسيأتي الكلام على اللَّعن وحُكْم اللَّعن وأقسام اللَّعن في الدروس الآتية - إن شاء الله -.

قوله: («وَدَلِيلُ النَّذْرِ»).

الكلام على النذر من عدَّة وجوه:

❋ **الوجه الأول**: تعريف النذر.

النَّذر لُغَة: هو الإلْزام والإيجاب، فمن نذر بشيء فقد ألْزمَ نفس شيئًا وأوجبَ عليها القيام به.

وأمَّا في الشرع: فهو إلْزام المكلَّف نفسَه شيئًا غير واجبٍ؛ تقرُّبًا وتعبُّدًا.

فإذا حصل النذر على هذه الصورة فهو نذْرٌ شرعي.

❋ **الوجه الثاني**: الأدلَّة على أنَّ النذر من العبادات، الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فهذه الآية.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة**: فحديث عائشة الذي رواه البخاري؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»، وهناك أحاديث

أخرى كثيرة.

❖ **والعلماء مجمعون** على أنَّ النذر من جُملة العبادات والطَّاعات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله تباركَ وتعالى.

❊ **الوجه الثالث**: النذر من العبادات القولية العملية التي تتعلَّق باللّسان، **والأصل في النذر أنه مكْروه**، كما سيأتي الكلام على ذلك - إن شاء الله - في الدروس الآتية، الأصل أنَّ النذر مكْروه؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، لكن من نذرَ لله تعالى نذْرًا صحيحًا وجبَ عليه الوفاء به، ويكون من جُملة العبادات.

❊ **الوجه الرابع**: أقسام النذر، ينقسم النذر إلى خمسة أقسام:

- **نذر العبادة والطَّاعة**، وهو النذر لله تعالى تقرُّبًا وتعبُّدًا وتعظيمًا له عز وجل؛ كالنذر بالصيام، أو النذر بالصدقة، أو النذر بصلاة النافلة، أو النذر بالحجّ، أو النذر بقراءة القرآن، أو بغير ذلك من جُملة العبادات والطَّاعات التي يَتقرَّبُ العبدُ به الى ربِّه سبحانه وتعالى.

- **نذر الشرك والتَّنديد**، وهو النذر لغير الله عز وجل؛ تقرُّبًا وتعبُّدًا كالنذر للأصنام، والنذر للأوثان، وكذلك النذر للقبور، وأصحاب الأضْرَحَة، والنذر للجنِّ والشياطين، والنذر للسَّحَرة والكَهَنَة والمُنجِّمِين، هذا كلُّه من نذْر الشرك والتَّنديد، فمن نذر لغير الله عز وجل نذْرًا فقد وقع في الشرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

وعلى كلٍّ نذْر الشرك هو نذْر العبادة إذا صُرِفَ لغير الله تعالى.

وهذا يوجد الآن بكثْرة عند كثيرٍ من الواقِعين في تعظيم القبور، وفي تعظيم الأولياء، فتجد

كثيرًا من هؤلاء ينذرون لأصحاب القبور وأصحاب الأضْرِحَة، ينذرون لهم بالذبائح، وينذرون لهم بالصَّدقات، وينذرون لهم كذلك بلْ ببعضِ العبادات؛ كالصيام والصلاة، وهكذا، وهذا قلْنا يقع فيه كثيرٌ مِمَّن ابْتُلِيَ بتعظيمِ هذه الطَّواغيت من أصحاب القبور والأضْرِحَة، فهؤلاء ابْتلاهُم الله عز وجل بذلك، فقد كان المشركون يعظِّمُون الأصنام والأوثان والأنداد، وهؤلاء صاروا يعظِّمون القبور والأضْرِحَة من دون الله عز وجل، فهي أوثان تُعبدُ من دونِ الله تباركَ وتعالى؛ كالذين يُعظِّمُون قبرَ السّيد البَدَوي، أو الذي يُعظِّمُون قبرَ السّيدة زينب، أو الذي يُعظِّمُون قبرَ العَيدروس، أو الذي يُعظِّمُون قبرَ ابن علْوان، وهكذا، والقبور التي تُعَظَّمُ وتُعبدُ من دونِ الله كثيرةٌ جدًّا في أنْحاء البلاد الإسلامية، لكن هؤلاء أغلبُهم جُهَّال، الغالب على هؤلاء الذين يفعلون هذا يَغلب عليهم الجَهْل المُطبِق. -والله المستعان.

- **نذْر بدعة وضلالة**، كمن نذر في إحْياء وإقامة المَوالد البدْعية، أو كمَن نذر في إحْياء وإقامة ليلَتَي العيد، أو ليلة الجُمعة، فهذا النذر بدعة وضلالة، وكَمَن نذرَ في ترْك المباحات تعبُّدًا وتقرُّبًا، كَمَن ترك بعض المآكل أو الشارب، أو ترَك المنكح، أو ترك النوم؛ تعبُّدًا وتقرُّبًا، هذا إذا حصل النذر به على جهة التعبُّد والتقرُّب فهو نذْر بدعة وضلالة.

- **النذر المُحرَّم وهو نذْر المعصية**؛ كمَن نذرَ في هُجْرَان أحد من المسلمين بغير حق، هذا نذرٌ محرَّم، ومَن نذر هجْر أرحامه، هذا نذْرٌ محرَّم، ومن نذرَ قتْل أحد من المسلمين، أو نذر شُرْب المُسْكرات، أو نذر أكْل الربا، هذا كلُّه نذرٌ محرَّم، ويدخل في ذلك النذر بالذبح في الأماكن التي عُبِدَتْ فيها الطَّواغيت والأوثان من دون الله، فهذا

نذرٌ محرَّم، وقد يكون شركًا أصغر.

- **النذر المكْروه**، وهو النذر في فعْل الأمور المباحات تعبُّدًا وتقرُّبًا؛ كَمَن نذرَ المشي إلى المســاجد حافيًا، أو من نذرَ أن يقف في الشــمس، أو لا يتكلم، هذا نذرٌ مكْروه، وقد يصل في بعض صوره وأحواله إلى أن يكون محرَّمًا.

إذًا النذر بجميع صوره وأحواله لا يخرج عن هذه الخمسة الأقسام المذْكورة، وبالنسبة للوفاء بالنذر ســيأتي الكلام عليه - إن شــاء الله - في الدروس الآتية، والأصــل أنَّ النذر الذي يجب الوفاء به هو نذْر العبادة والطَّاعة، أمَّا نذْر المعصــية فلا يجوز الوفاء به، ونذْر الشـرك لا يجوز الوفاء به، والنذر المحرَّم لا يجوز الوفاء به، والنذر المكْروه لا ينبغي الوفاء به.

الدرس التاسع

قال المُصنف رحمه الله:

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المَرْتَبَةُ الأُوْلَى: الإِسْلَامُ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ.

وَ(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

وقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف: («الأَصْلُ الثَّانِي») ذكر المؤلف أولًا في بداية الكتاب الثلاثة الأصول على جهة الإجمال، ثمَّ ذكرَها بعد ذلك على جهة التفصيل، فذكر الأصل الأول مُجملًا ثمَّ مفصَّلًا، والآن شرع في ذكْر الأصل الثاني مفصَّلًا، والأصل الثاني: **معرفة دين الإسلام**.

قول المؤلف: («مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ») ذكرنا في أول الدرس أنَّ معرفة الإسلام لها مرْتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: المرتبة الإجمالية، وهي معرفة دين الإسلام على جهة الإجمال والعموم دون النظر إلى فروع المسائل وأدلّتها ودقائقها وأحكامها.
- **المرتبة الثانية**: المرتبة التفصيلية، وهي معرفة أحكام الإسلام على جهة التفصيل، وأن ذلك يكون مقرونًا بالأدلّة، فمعرفة دين الإسلام على هاتين المرتبتين وقد تقدَّم الكلام على ذلك.

وقوله: («بِالأَدِلَّةِ») أي أنَّ دين الإسلام لا تَتِمُّ معرفتُه إلَّا بمعرفة الأدلَّة.

وذكرْنا في بداية الدرس أنَّ معرفة دين الإسلام في الجُملة واجبٌ من الواجبات، كما نصَّ على ذلك المؤلف رحمه الله، وذكر المؤلف أنَّها تجب معرفة دين الإسلام بالأدلة، وأنَّ الأدلَّة معرفتها واجبة، وذكرنا أنَّ الصحيح: أن معرفة الأدلَّة لا تجب على كلِّ أحد؛ لأنَّ هذا فيه عُسْرٌ

ومَشَــقَّة، فغالِبيّة المســلمين يعرفون أحكام الإســلام على جهة الإجمال دون معرفة الأدلَّة، وذكرنا أنه لو سألْتَ شخصًا عن حُكْمِ الصلاة، لذكرَ أنها واجبة، وإذا سُئِلَ عن الدَّليل عجزَ عن الإتْيان به، وهكذا الحجّ، وهكذا الصيام، وهكذا الزكاة، وغير ذلك ممَّا هو متعلِّقٌ بأحكام الشريعة الإسلامية، ولو قِيلَ إنَّ معرفة الأدلَّة تجب على بعض الناس دون بعض فتجب على العلماء وطلَّاب العلم لَكان هذا هو القول الصَّــائب؛ لأنَّه يترتَّبُ على القول الأول أنَّ مَن لم يعرفْ دينَ الإســلام بالأدلَّة فهو آثمٌ، الذي ما يعرف الدَّليل على وجوب الصــلاة يكون آثمًا، وهكذا الذي لا يعرف الدَّليل على وجوبِ الزكاة، أو وجوبِ الصــيام، أو وجوب الحجّ، أو الدَّليل على انفرادِ الله عز وجل بالأُلُوهيَّة أو الرُّبوبيَّة مع الإقرار في ذلك في الجُملة أنَّه يكون آثمًا، قلنا وهذا فيه نظرٌ! لكن وجوب معرفة الأدلَّة عند بعض الناس نعم قد يكون واجبًا على العلماء والفُقهاء.

وتقدَّم الكلام على تعريف الأدلَّة.

قوله: («وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ») هذا شروعٌ من المؤلف في تعريف الإسلام، فقال: («هُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّــرْكِ وَأَهْلِهِ») وفي بعض النُّســخ: (والخُلوص من الشرك) والصَّواب: العبارة الأُوْلَى: («وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»).

دلَّ هذا التعريف على أنَّ الإسلام في الشرع ما اشتملَ على ثلاثة أمور:

- **الأمر الأول**: الاسْتسلام لله بالتوحيد.
- **الأمر الثاني**: الانقياد له بالطَّاعة.
- **الأمر الثالث**: البراءَة من الشرك وأهْلِه.

فلا يتمُّ الإسلام إلَّا بحصُول هذه الثلاثة الأمور التي ذكرَها المؤلف رحمه الله تعالى.

وقوله: («وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ») الاسْتسلام حقيقتُه: الخُضوع التام، والانقياد التام الذي لا يوجد فيه مُمَانَعة ولا مُعارضة ولا ردّ.

وقد دلَّ على وجوب الاسْتسلام لله تعالى الأدلَّة من الكتاب والسُّنة والإجماع.

كقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر:٥٤]، و ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» إلى آخره، فإنَّ هذا الحديث يدلُّ على وجوبِ الاسْتسلام.

والعلماء مجمعون على وجوب الاسْتسلام لله تباركَ وتعالى.

والاسْتسلام لله جلَّ وعلا له ثلاث جهَات:

- **الجهة الأُولى**: الاسْتسلام لله تعالى بالقلب، فيكون القلب مستسلمًا لله تباركَ وتعالى في جميع ما أمرَ به، أو نهَى عنه، أو دعَا إليه، أو رغَّب فيه.
- **الجهة الثانية**: الاسْتسلام باللّسان، وهو الاسْتسلام لله عز وجل بالتوحيد والنُّطْق بالشَّهادتَين، فلا يحصل الإسلام ولا يتمّ إلَّا بذلك.
- **الجهة الثالثة**: الاسْتسلام لله جلَّ وعلا بسائر الجوارح والأعضاء.

فالاسْتسلام متعلِّق بهذه الثلاثة الجهات: الاسْتسلام بالقلب، والاسْتسلام باللّسان، والاسْتسلام بالجوارح والأعضاء الظاهرة.

والاسْتسلام له ثلاث مراتب أيضًا، بمعنى أنَّه غير متفق عند جميع الناس، ومتساوٍ عند جميع

الناس بلْ الاسْتسلام يختلف من شخصٍ إلى آخر، فليس الناس كلُّهم في مرْتبةٍ واحدة، ولا منزلة واحدة فيما يتعلّق بالاسْتسلام، فهو على ثلاث مراتب:

- **المرتبة الأُولى**: الاسْتسلام الكامل التام، وهو الذي تقدَّم ذكْرُه: الخُضوع الكامل والتام والانقياد؛ كاسْتسلام الأنبياء والرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، واسْتسلام الملائكة عليهم السلام، وهكذا كاسْتسلام العلماء العامِلِين، فهذه المرتبة الأُولى وهي أعْلَى المراتب، وأجلّها، وأفضلها، وأكملها.
- **المرتبة الثانية**: الاسْتسلام الواجب الذي حقيقته: الاسْتسلام بفعْل الواجبات وترْك المحرَّمات من دون زيادة ولا نقصان، هذا هو الاسْتسلام الواجب، فإذا اقتصرَ العبدُ على هذا الحال فاسْتسلامه هو الاسْتسلام الواجب.
- **المرتبة الثالثة**: الاسْتسلام الناقص، وهو المشتمل على التفْريط في ترْك بعض الواجبات والوُقوع في فعْل بعض المحرَّمات، هذا اسْتسلام ناقص.

قلنا: والناس المسلمون كلُّهم لا يَخرجون عن هذه الثلاث المراتب، وقد دلَّ عليها قوله عز وجل: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [فاطر:٣٢].

وغالِبيّة المسلمين من المرتبة الثالثة إلّا مَن رحمَ اللهُ.

قوله: («بِالتَّوْحِيدِ») تقدَّم تعريف التوحيد، وقلنا: إنَّ التوحيد هو إفراد الله عز وجل فيما يختصُّ به ويستحقُّ من الرُّبوبيّة والأُلوهيَّة والأسماء والصفات.

وقوله هنا: («بِالتَّوْحِيدِ») شاملٌ لأنواع التوحيد الثلاثة: **توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الأُلُوهيَّة،**

وتوحيد الأسماء والصفات.

وقوله: («**وَالانْقِيَادُ لَهُ**») الضمير عائدٌ إلى الله عز وجل أي: الانقياد لله تباركَ وتعالى.

والانقياد هو ثمرة من ثمار الاسْتسلام لله عز وجل.

وهو كذلك له ثلاث جهات:

- **الجهة الأُولى**: انقيادٌ بالقلْب.
- **الجهة الثانية**: انقيادٌ باللّسان.
- **الجهة الثالثة**: انقيادٌ بالجوارح والأعضاء الظاهرة.

وله ثلاث مراتب أيضًا كما قِيلَ في الاسْتسلام:

- **المرتبة الأُولى**: انقيادٌ كامل تام، وهذا لا يكون إلَّا في حق الأنبياء والرُّسُل، كما تقدَّم.
- **المرتبة الثانية**: انقيادٌ واجب.
- **المرتبة الثالثة**: انقيادٌ ناقص، وهو المشتمل على شيءٍ من التفْريطِ والعصْيان.

وقوله: («**بِالطَّاعَةِ**») الطَّاعة كذلك لها ثلاث جهات:

- **الأُولى**: طاعة متعلِّقة بالقلْب؛ كالإخلاص، والتَّوكل، والخوف، والخشْية، والإقرار، والإنابة، والإذْعان، إلى آخره، هذا كلُّه من الطَّاعات القلْبية.
- **الثانية**: الطَّاعة المتعلِّقة باللّسان؛ طاعة قولِية، كالنُّطْق بالشهادتَين وسائر الأذْكار المشروعة.
- **الثالثة**: طاعة بالجوارح والأعضاء الظاهرة.

وهي أيضًا على ثلاث مراتب:

- **المرتبة الأُولى**: طاعة كاملة تامَّة.
- **المرتبة الثانية**: والطاعة الواجبة.
- **المرتبة الثالثة**: الطاعة التي يحصل فيها شيءٌ من النقصان، أو طاعة ناقصة، وهي المشتملة على شيءٍ من التفْريط والعصْيان.

إذًا هذه الثلاثة الأمور أصحابنا ليسوا فيها سواء، بلْ هم مختلفون على حسب أعمالهم واسْتسلامهم وانقيادهم وإقبالهم على الله تباركَ وتعالى.

قوله: («وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ») البراءة من الشرك وأهله تقدَّم أن هذه المسألة تُعتبرُ أصلًا من أصول الإسلام، وأنَّ الإسلام لا يصح ولا يتمّ إلَّا بوجودها وتحقيقها، فلا يصح إسلام العبد إلَّا بعد أن يتبرَّأ من الكفْر وأهْله والشرك وأهْله، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة من كتاب الله عز وجل ومن سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهكذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ شَهِدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَقَدْ حَرُمَ، دَمُهُ وَمَالُهُ ، وِعِرْضُهُ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ**». وهكذا الأدلَّة كثيرة.

فهذا الأصل العظيم واجبٌ على كلِّ مسلم أن يحقِّقَه، وأن يَدينَ لله تعالى به، وأن يتقرَّب إلى الله جلَّ وعلا بذلك، فلا يصح إسْلامُ عبدٍ سواء كان من الكبار أو الصغار يعني من الأُمراء أو

المأْمُورين، أو من الرُّؤساء والمَرْؤوسين، والمُلوك والمَمْلُوكِين، لا يصح الإيمان ولا يتم إلَّا بتحقيق هذه الأصل العظيم **البَراءة من الكفار ودينِ الكفار، والبراءة من الشرك وأهْل الشرك**، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة.

والتفْريط في هذا الأصل خَطَرُهُ عظيم، وشُؤْمُه كبير، ومَفاسدُه عديدة، فمِن أعظمِ مفاسدِه: ذَهابُ الإيمان والإسلام، ذَهاب إيمان مَن لم يحقِّقْ هذا الأصل العظيم وهو البراءة من الكفْر وأهْل الكفر، والبراءة من الشرك وأهْل الشرك.

والمسلمون - بحمْد الله - عمومًا يُبغِضُون الكفار ويُبغِضُون الكفْر، ويُبغِضُون الشرك ويُبغِضُون أهْل الشرك، إلَّا مَن شذَّ ممَّن يُنسب إلى المسلمين.

إذًا لا عِزَّة للمسلم ولا عِزَّة للمسلمين إلَّا بتحقيق هذا الأمر العظيم وهو إظهار البراءة من الكفار ودينهم، وإظهار البراءة من المشركين ودينهم، فلا يصح الإسلام والإيمان إلَّا بذلك.

قوله: («وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ») أي: دين الإسلام الخاص الذي جاء به نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا في الدروس الماضية: أنَّ الإسلام المذكور في النُّصوص على قسمين:

- **إسلام عام** وهو دين جميع الأنبياء.
- **وإسلام خاص** وهو ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

والمقصود به هنا: الإسلام الشرعي الخاص الذي جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

قوله: («وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ») أي لا رَابع لها، وقد دلَّ على هذه الثلاث المراتب حديث جبريل عليه السلام، أو حديث عمر في قصة جبريل، وسيذكره المؤلف في آخر هذا الأصل.

قوله: («الإِسْلامُ») هذه المرتبة الأُولى، وقد تقدَّم الكلام على تعريف الإسلام («وَالإِيمَانُ»)

المرتبة الثانية، وسيأتي الكلام عليها - إن شاء الله -؛ («وَالإِحْسَانُ») وهي المرتبة الثالثة، وسيأتي الكلام عليها - إن شاء الله -.

وهذه المراتب متفاوتة من حيث المنزلة والمكانة؛ فبعْضُها أقلّ من بعض، وبعضُها أعْلى من بعض، فمرتبة الإسلام أقلّ من مرتبة الإيمان، ومرتبة الإيمان أقلّ من مرتبة الإحسان، والإحسان أعْلَى المراتب ثمَّ الإيمان ثمَّ الإسلام.

قال: («وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ») يعني من المراتب الثلاث المذْكورة («فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ»).

الأركان جمْع «رُكْن» والرُّكْن: هو جانب الشيء الأقوى الذي لا يقوم إلَّا به ولا يتمّ إلَّا به، ومنْه رُكْنُ البناء، فلا يتمُّ البناء ولا يقوم البناء إلَّا بوجود الركن، هكذا هذه العبادات لا تَتِمُّ ولا تحصل إلَّا بوجود أركانها وحصول أركانها.

قوله: («فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ») لا سَادس لها، عند عامَّة العلماء، وهذه الأركان الخمسة قد دلَّ عليها حديثُ ابن عمرَ في «الصحيحين»: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ» ثمَّ ذكر هذه الأركان: «**شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ**».

وهكذا دلَّ عليها حديثُ جبريل عليه السلام.

قال: («فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ شَهَادَةُ أَن لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ»).

هذه أركان الإسلام، والمؤلف قد ذكرَها على جهة الإجمال ثمَّ سيذكرها بعد ذلك على جهة التفصيل والبيان.

قوله: («فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾»).

الشهادة تعريفها في اللُّغة: الإخبار والإقرار والإعْلام.

وفي الاصْطلاح وفي الشرع: الإخبار بالشيء والإقرار والإعْلام به عن عِلْمٍ واعْتقادٍ جازم.

فلا تكون الشهادة صحيحة إلَّا إذا كانت مشْتملة على العلْم اليَقيني، وعلى الاعْتقاد الجازم، فإذا خَلا أحدُ هذين الأمرين فإنَّها لا تكون شهادة صحيحة.

وإذا شَهِدَ دون الاعْتقاد الجازم بلْ هو متردِّدٌ ومُضْطربٌ، هل هي شهادة صحيحة؟ ليست شهادة صحيحة، فلابدَّ أن تَتَضمَّن الشهادة العلم بما شهد به، والاعْتقاد الجازم بذلك.

قوله: («فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ») المقصود بالشهادة هنا: (شهادة ألَّا إله إلَّا الله).

والكلام على (شهادة ألَّا إله إلَّا الله) من عدَّة وجوه:

❁ **الوجه الأول**: تعريفها.

فتعْريف (لا إله إلَّا الله) كما ذكرَ المؤلف أن يُقالَ فيها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله، هذا هو معنى (لا إله إلَّا الله)، فكلُّ ما عُبِدَ من دون الله عز وجل بغير حقّ فعبادتُه باطلة، وإلهيّتُه باطلة؛ وذلك لأنَّ هذه الكلمة دلَّت على أنَّ المستحقّ للعبادة هو الله تعال وحده دون ما سِواه، فعبادة الله عبادة بحقّ، وعبادة غير الله عبادة بِاطل، فهذا أحســن ما قِيلَ في تعريف (لا إله إلَّا الله)، وليس كما يقوله كثيرٌ من الناس أنَّهم يعرفونها بالوجود، أي: لا موجود إلَّا الله، وهذا التعريف باطل، فالوجود وُجودَان: وجود الخالق وَوُجود المخلوق، فقوله: لا موجود إلَّا الله هذا في الحقيقة ينطبق على قول أهل الحُلُول والاتِّحاد الذين يجعلُون الوجود واحدًا، وجود الخالق والمخلوق عندهم وجود واحد، فهو تعريف فاسد وباطل.

وهكذا قول مَن يقول بتعريف هذه الكلمة وجعْلها متعلِّقة بمعاني الرُّبوبيَّة بقوله: لا خالق إلَّا الله، ولا رازق إلَّا الله، فهذه الكلمة هي في سياق إثبات توحيد الإلهية على جهة النَّص والتصْريح، وليست هي في سياق بيان أو الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة، وكونه لا خالق إلَّا الله ولا رازق إلَّا الله عامَّة الخلائق تقرُّ بذلك، من المؤمنين والكافرين، فمَن يقول إنَّه لا خالق إلَّا الله ولا رازق إلَّا الله هذا تعريف فاسد لهذه الكلمة؛ لأنَّ الإلهيّة هي تدلُّ على معنى العُبودية لا على معنى الرُّبوبيَّة.

وبعضهم يقول: لا مُخترِع إلَّا الله، لا إله إلَّا الله أي: لا مُخترِع ولا مُبدِع إلَّا الله، وهذا يقوله كثيرٌ من المتكلِّمين وهو أيضًا تعريفٌ فساد.

قلنا: وهذا لا خلاف عند غالب الأُمَمِ إلَّا مَن شذَّ؛ أنَّ الخالق والمُبدِع والرازق هو الله تباركَ وتعالى.

إذًا التعريف الصحيح والتعريف الذي تَضمَّنتْهُ أَلْفاظ هذه الكلمة، فالإله هو المعبود، فيكون المعنى: (لا إله) أي لا معبود بحقٍّ إلَّا الله تعالى، هذا هو تعريف هذه الكلمة عند أهل السُّنة.

❃ **الوجه الثاني**: أركان هذه الكلمة، لها ركْنان، لا يَتمّ الانتفاع بها إلَّا بالإتْيان بالرُّكنين، ولا يَتمُّ معناها إلَّا بذلك:

فالرُّكن الأول: رُكْن النفْي، وهو قوله: (لا إله)، وحقيقة هذا الركن: نفْي جميع المعبودات التي عُبِدَتْ من دونِ الله، فيشمل ذلك الأصنام والأوثان والأنداد والنُّجوم والكواكب والشمس والقمر، والقبور والأموات والأضْرِحَة.

الرُّكن الثاني: رُكن إثبات وهو قوله: (إلَّا الله) وقد أفادَ هذا الرُّكن حصْر الإلهية لله تباركَ وتعالى، فهو المعبود وحدَه دون ما سواه.

إذًا هذه الكلمة لا يَتمُّ معناها ولا ينتفع العبدُ بها إلَّا إذا أتى بالرُّكنين جميعًا (لا إله إلَّا الله) وعمل بمقتضَى الرُّكنين.

❊ **الوجه الثالث**: شروط هذه الكلمة، هذه الكلمة من خلال النظر إلى النُّصوص الشرعية نجدُ أنَّ لها عشرة شروط:

- **الشرط الأول**: النُّطْق بها على القادر، فمَن لم ينطقْ بها وهو قادر فلا تنفعه هذه الكلمة، ولا يصح إسلامُه وإيمانُه.
- **الشرط الثاني**: العلم المنافي للجهل.
- **الشرط الثالث**: اليَقين المُنافي للشكِّ.
- **الشرط الرابع**: الصدق المُنافي للكَذِب.
- **الشرط الخامس**: الإخلاص المُنافي للرِّياء.
- **الشرط السادس**: المَحبَّة المُنافية للبُغْض.
- **الشرط السابع**: الانقياد المُنافي للرَّد.
- **الشرط الثامن**: القبول المُنافي للتَّرْك.
- **الشرط التاسع**: الكُفْر بالطَّاغوت.
- **الشرط العاشر**: اقْترانُها بشهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله.

فلابدَّ من هذه العشرة الشروط حتى ينتفع العبدُ بهذه الكلمة، وهذه الشروط أدلَّتُها معروفة، وقد ذكرْناها بشيء من التفصيل في كتاب: «فضْل لا إله إلَا الله» لَربَّما نتكلَّم عليها بشيءٍ من التوسُّع في الدروس الآتية - بإذْن الله تعالى - .

❊ **الوجه الرابع**: أسماء هذه الكلمة، أسماؤها كثيرة، فتُسمَّى بكلِمة: (التوحيد)، وبكلِمة (الإخلاص)، وبكلِمة (التقوى)، وبالكلِمة (الطَّيبة)، وبشهادة الحق، وبغير ذلك، وقد ذكرنا أسماءَها في هذا الكتاب المذْكور.

❁ **الوجه الخامس**: نواقض هذه الكلمة، هذه الكلمة لها نواقض كثيرة، وأعظمُ نواقضها وأخطرُ نواقضها الشرك بالله تباركَ وتعالى، وقد ذكرنا هذه النَّواقض في الكتاب المذْكور.

❁ **الوجه السادس**: الأدلَّة على أنَّ هذه الشهادة رُكْنٌ من أركان الإسلام، الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية المذْكورة.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة** فالأحاديث كثيرة، «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ**»، وسُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، فقال: «**أَن تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**» وهكذا.

❖ **والعلماء مجمعون** على أنَّ هذه الكلمة من أركان الإسلام.

قوله: («﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ ﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية: هي دلالتُها على رُكْنِية شهادة (لا إله إلَّا الله) وأنَّها من أركان الإسلام.

والأدلَّة التي تدلُّ على رُكْنِية هذه الكلمة: الكتاب والسُّنة والإجماع.

من أدلَّة الكتاب هذه الآية وغيرها، منْها قوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد:١٩].

وأدلَّة السُّنة كثيرة؛ منها الحديث المذْكور: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ**»، و «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ**»، وحديث جبريل، وغيرها من الأحاديث.

بل الأحاديث الواردة في ذلك متِواترَة، وقد ذكرْنا عددًا لا بأس به في كتاب «فضل لا إله إلَّا الله».

قال رحمه الله: («**وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ وَحْدَهُ**»)، كلمة (**وَحْدَهُ**) هذا تأْكيدٌ لِمَا سبقَ، وتقدَّم الكلام على هذا التعريف.

(«**و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**») وهذا هو الركن الأول («**(إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ**») وهذا هو الركن الثاني («**كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ**»).

قوله: («كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ») أراد المؤلف رحمه الله أن يُبيِّنَ كما أنَّه عز وجل مستحقٌّ للعبادة وحدَه، وأنَّه يجب إفْراده بذلك فكذلك هو مستحقٌّ لإفْراده في جميع معاني الرُّبوبيَّة.

قال: («وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى») التفسير الذي تقدَّم (لا معبود بحقٍّ إلَّا الله) التفسير المبْني على النفْي والإثبات، نفْي جميع الآلهة التي عُبِدَتْ من دون الله، وإثبات الإلَهية لله تعالى وحدَه.

قال: («﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية: هو دلالتُها على وجوب إفْراد الله عز وجل بالعبادة، وذلك لأنَّ هذه الآية اشْتملَت على ركنَي النفْي والإثبات.

ركن النفي مأخوذ من قوله: («﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾») فهذا أفادَ نفْي جميع الآلهة التي عُبِدَتْ من دون الله عز وجل، وقوله: («﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾») فيها إثبات الإلهية لله جلَّ وعلا وحدَه، وأنَّه المستحق للعبادة وحده.

فدلَّت هذه الآية على ركنَي النفي والإثبات اللَّذَين تضمَّنتْهُما كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص (لا إله إلَّا الله).

قال: («وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية: هو دلالتها على وجوبِ إفْراد الله عز وجل كذلك بالعبادة، وأنَّه سبحانه وتعالى المستحقّ للعبادة وحدَه؛ إذْ أنَّ هذه الآية اشْتملَت على ركنَي النفي والإثبات.

النفي في قوله: («﴿وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾») والإثبات في قوله: («﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ﴾»)، وهذا هو ما دلَّت عليه كلمةُ التوحيد (لا إله إلَّا الله) عبادة الله تعال وحدَه، وترْك عبادة ما سواه من

الطَّواغيت والأوثان والأصـــنام والكواكب والشـــمس والقمر وغير ذلك، كما أنَّ الآية دلَّت على أنَّه لا يصـــح إيمانُ عبدٍ من العباد إلَّا بتحقيق هذَين الرُّكْنين، تحقيق عبادة الله عز وجل، والكفْر بالطَّاغوت، والبراءَة من ذلك كلِّه.

الدرس العاشر

قال المُصنف رحمه الله:

وَدِليلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وألا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].



قال الشَّارح وفّقه الله:

قال رحمه الله تعالى: («وَدِليلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وَمَعْنَى شَهادَة أَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ»).

لمَّا فرغَ المصنف رحمه الله من ذكْر ما يتعلَّق بكلمة التوحيد وكلمة الإخلاص شرعَ في ذكْر ما يتعلَّق بشهادة الرسالة، وهي (شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله).

والمؤلف رحمه الله ذكرَ شهادة الرسالة بعد شهادة التوحيد؛ لتَلازُمهما، ولِوجوب الجمع بينهما، وأنَّ هاتين الكلِمتين لا ينتفع بها صاحبهما إلَّا بهما جميعًا، فلا تنفع كلمة الإخلاص دون شهادة الرسالة، ولا تنفع شهادة الرسالة دون كلمة الإخلاص.

والكلام على شهادة أنَّ محمدًا رسول الله من عدَّة وجوه:

❋ **الوجه الأول**: تعريفها.

تعريف شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله: هو الإقرار والإخبار والإعْلام بعموم رسالتِه صلى الله عليه وسلم إلى كافَّة الناس، وَوُجوب إفْراده بالمُتابعة والطَّاعة المطلقة.

فلا يكون الشخص منتفعًا بهذه الكلمة إلَّا إذا أقرَّ بها بالقول واللّسان، وأخبرَ بذلك وأعْلَمَ بذلك، واعْتقدَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى كافَّة الناس، ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]، هذا أحسن ما يُقالُ في تعريف شهادة الرسالة.

❋ **الوجه الثاني**: شروط شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله، شروط شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله هي نفس شروط لا إله إلَّا الله، فقد ذكرْنا أنَّ شروط (لا إله إلَّ الله) عشرة شروط، وشهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله لها عشرة شروط، منْها: النُّطق على القادر، فلابدَّ من

التَّلَفُّظ بها، ومنها العلم المُنافي للجهْل، على حسب ما ذُكِرَ، وبالنسبة للشرط التاسع وهو الكفْر بالطَّاغوت في كلمة التوحيد يُقالُ: الكفر بالطَّواغيت الذين ادَّعوا النُّبوّة بعد نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فلا يصح إيمانُ عبدٍ حتى يُقرَّ بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ إلى الناس كافَّة، وأنَّه خاتَم الأنبياء والمرسَلين، وأنَّه لا نبيَّ بعده، فمن اعتقدَ أنَّ بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنبياء ورُسُل فهو كافرٌ، لم ينفع بشهادة الرسالة، فلابدَّ من الكفر بجميع الطَّواغيت الذين ادَّعوا النُّبوة والرسالة؛ كمُسيلمة، وسَجَاح، والأسود العَنسي، وغير هؤلاء مِمَّن ادَّعى النُّبوة وادَّعى الرسالة كَذِبًا وزُورًا، فلابدَّ من الكفر بذلك وإنكار ذلك قولًا واعتقادًا.

والشرط الأخير العاشر هو اقْترانها بشهادة التوحيد، بشهادة أن لا إله إلا الله، فلا ينتفع العبدُ بشهادة الرسالة إلَّا إذا كان قد أقرَّ بشهادة التوحيد، فهذه الشروط لابدَّ من الإتْيان بها، ولا ينتفع العبدُ بشهادة أنَّ محمدًا رسول الله إلَّا بذلك.

❃ **الوجه الثالث**: نواقض هذه الشهادة، نواقضها كثيرة، ويُمكن أن تُلخَّصَ في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نواقض اعْتقادية، فمن اعتقد أنَّ هناك رسولٌ بعد نبيِّنا صلى الله عليه وسلم فهو كافر، لم ينتفع بشهادةِ الرسالة.

النوع الثاني: النواقض العملية.

النوع الثالث: النواقض القولية.

فكلُّ نواقض شهادة الرسالة ترجع إلى هذه الثلاثة الأمور، وسيأتي الكلامُ عليها - إن شاء الله - شيءٍ من التفصيل في الدروس الآتية.

قول المؤلف رحمه الله: («وَدِلِيلُ شَــهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُــولُ اللهِ») أي الدليل على كونها من أركان الإسلام، والأدلَّة الدالة على رُكْنِية شهادة الرسالة: الكتاب والسُّنة والإجماع، **الكتاب منها** الآية المذْكورة وغيرها من الآيات.

وأمَّا أدلَّة السُّــنة فكثيرة بل هي متواترة، منها الأحاديث التي ذكرناها آنفًا، «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ**».

وأجمع السَّلف الصالح على أنَّ شهادة الرسالة من أركان الإسلام.

إذًا الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

وقوله تعالى: («﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية في هذا الموضع: هو دلالتُها على رُكْنِية شهادة الرسالة، وأنَّ شهادة أن محمدًا رسول الله من أركان الإسلام.

قال المؤلف: («وَمَعْنَى شَــهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُــولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْــدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ»).

هذا هو تعريف شهادة الرسالة عند المؤلف، والشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي رحمه الله تعالى عرَّفَها بأنَّها: لا متبوع بحقٍّ إلَّا رسولُ الله، وغير رسول الله إن اتُّبعَ فبِبَاطل.

على كلِّ هذا التعريف الذي ذكره المؤلف رحمه الله هو من لوازم ومقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، فمن لوازمها ومقْتضاها طاعتُه فيما أمر، واجتنابُ ما نَهَى عنْه وزجرَ، وتصْديقُه فيما أخبرَ، وإلَّا فالتعريف الصحيح لها هو ما تقدَّم؛ لأنَّ معنى الشهادة معناه: الإخبار والإقرار ووجوب الإفْراد في الاتّباع.

فالمؤلف رحمه الله عرَّفَ شهادة الرسالة بمقْتضاها وبلازِمها.

قوله: («وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ»).

ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم له مرتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: ما أمرَ به على جهَة الإلْزام والحتْمِية، والعمل بهذه المرْتبة حَتْمٌ وواجب، فما كان من أمْر النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الإلْزام والحتْمية كان العمل به واجب بهذا الاعتبار.
- **المرتبة الثانية**: ما أمر به على جهة الاختيار أو على غير جهة الإلْزام والحتْمية، والعمل بهذه المرتبة يكون مسْتحبًّا ومُرغَّبًا فيه لا واجبًا؛ كالأمر بنوافل العبادات من الصيام، والصلاة، والصدقة، والحج وغير ذلك.

إذًا ما أمرَ به النبي صلى الله عليه وسلم يكون على هاتين المرْتبتَين.

وطاعتُه في الأوامر على حسبِ هاتين المرتبتَين، فالطاعة تكون واجبة فيما أمرَ به أمرًا لازمًا وحتْميًا، وتكون مستحبَّة فيما أمرَ به أمرًا غير لازم، وإنَّما على جهة التخْيير والترغيب.

قوله: («وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ») يعني من لوازم شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله، ومقتضى هذه الكلمة العظيمة وهذه الشهادة العظيمة من لوازمها: التصْديق فيما أخبر، وذلك لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهَوى، إنْ هو إلَّا وحيٌ يُوحَى، فما نطقَ به وأخبرَ به من الأمور فإنَّه إنَّما نطقَ به عن طريق الوحي من عند الله تباركَ وتعالى.

وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم يشملُ أمورًا كثيرة:

- **الأمر الأول**: ما أخبر به مِمَّا هو متعلِّقٌ بالله عز وجل؛ كالإخبار بأسمائه، وصفاته،

وأفْعاله، وما هو متَّصِفٌ به سبحانه وتعالى من صفات الكَمال ونُعُوت الجلال.

- **الأمر الثاني**: ما أخبرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الأمور الغَيبية؛ كالإخبار بما يكون في اليوم الآخر، بما يكون في عذاب القبر، أو بما يكون في الحياة البرْزخية، وبما يكون في يوم القيامة، وبأوصافِ النار وأحْوالها، وأوصاف الجنَّة وأحْوالها، وهكذا الإخبار بأحوال الملائكة، وأحوال الجنّ والشياطين، ونحو ذلك، هذا مِمَّا يدخل تحت وجوب التصْديق من قِبلِ المؤمنين، فيجب التصْديق بذلك.
- **الأمر الثالث**: ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أَمَارَات الساعة وأشْراطها الماضية والمستقبلة، فيجب تصْديقُ النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبرَ بذلك ممَّا هو متعلِّقٌ بأَمارات الساعة وأشراطِها.
- **الأمر الرابع**: ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أحوال الأُمَمِ الماضية، وقصَص الأُمَمِ السابقة، وهكذا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن أحوال الأنبياء، وقصَص الأنبياء، وماذا جرَى لهم أو عليهم عند دعْوتهم أقوامَهم إلى الإسلام وإلى التوحيد.

هذه بعضُ الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجبُ على المسلم تصْديقه فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام.

قوله: («وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ»).

ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم له مرتبتان:

- **المرتبة الأُولى**: ما نهى عنه عليه الصلاة والسلام على جهة الإلْزام والحتْمية، والعمل بهذه المرْتبة واجب، كنهْيه صلى الله عليه وسلم عن الإحْداث في دين الله، وهكذا نهْيُه

صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب الفواحش، والموبقات، ونهْيُه عن قطيعة الأرحام، وعن عقوق الوالدَين، وعن الظلم، وعن أكْل الحرام، هذه المرتبة الأُولى هي المرتبة التي يجب العمل بها، ما كان نهْيُه على جهة الإلْزام والحتْمية فيجب العمل بذلك، والابْتعاد عمَّا نهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

- **المرتبة الثانية**: ما نهى عنه على جهة الاخْتيار أو على غير جهة الإلْزام والحتْمية، والعمل بهذه المرتبة مسْتحبٌّ لا واجب؛ كنَهْيه صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائمًا على قول بعض أهل العلم، وهكذا نهْيُه عن الانتعال قائمًا، وبعض هذه الأمور، وهكذا نهْيُه عن الالْتفاتِ في الصلاة في بعض صُورِه، ونهْيُه عن اتخاذ البُسُط التي فيها شيءٌ من التَصاوير، ونحو ذلك – التصَاوير التي يعني من غير ذَوات الأرْواح، التي تشغل المصلي – .

إذًا نهْيُ النبي صلى الله عليه وسلم في كلِّ ما نهى عنه على هاتين المرتبتين:

المرتبة الأُولى: ما كان على جهة الإلْزام والحتْمية، **والمرتبة الثانية**: ما كان على جهة التخْيير أو على غير جهة الإلْزام والحتْمية، فالأُولى العملُ بها واجب، والثانية العملُ بها مستحب.

قوله: («**وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ**») أيضًا هذا من مقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله ولزامها، ومعنى ذلك: أنَّه يجب أن يُعبدَ اللهُ عز وجل بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ووجوب ترْك الإحْداث في دين الله، وهكذا ترْك الابْتداع في دين الله عز وجل، وأنَّ الابْتداع والإحداث في دين الله تباركَ وتعالى مِمَّا يُنافي كمالَ المُتابَعة، ومِمَّا يُنافي كمالَ التَّصْديق، ومِمَّا يُنافي كمالَ للرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا**

لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»، وقال: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، وقال: «اَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ».

والأدلَّة التي تدلُّ على وجوب عبادة الله عز وجل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى تحريم الابْتداع في دين الله عز وجل والزّيادة في الدين هي أدلَّة الكتاب والسُّنة والإجماع، فأدلَّة الكتاب كثيرة التي فيها وجوب المُتابَعة، وأدلَّة السُّنة كذلك كثيرة، والسَّلف مجمعون على تحريم الابْتداع والإحْداث في دين الله تباركَ وتعالى.

فكلُّ عبادةٍ ليس عليها دليلٌ لا من كتاب الله عز وجل ولا من سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فهي بدعة ضلالة، وصاحبها الأصل في ذلك أنَّه مأْزُور غير مأْجُور، فمن عبدَ الله بالبدَع والمُحْدَثات والضلالات فالأصل أنه آثمٌ، وأنَّه مأْزُور غير مأْجُور، وبعض أفراد الناس قد يكون جاهلًا، ومَردُّ أمْرِه إلى الله تباركَ وتعالى، سواء كانت هذه العبادة مِمَّا هو متعلِّقٌ بالعبادات المعروفة؛ كالصلاة، والصيام، والحجّ، والزكاة، وقراءة القرآن، والذكْر، أو غير ذلك، أو مِمَّا هو متعلِّقٌ بالطريقة التي يسْلكُه المؤمن في عبادة الله تباركَ وتعالى .

قال رحمه الله: («وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾»).

لمَّا انتهى المؤلف رحمه الله وفرغَ من ذكْر الكلام المتعلق بالشهادتَين: شهادة التوحيد وشهادة الرسالة؛ شرعَ رحمه الله في ذكْر بقية أركان الإسلام الخمسة، وبدأَ بالصلاة؛ لأنَّ

الصلاة أعظم العبادات العملية بعد الإسلام والإيمان.

قوله: («وَدَلِيلُ الصَّلاةِ») المقصود بالصلاة هنا: الصلاة المفروضة، الصلاة الواجبة، التي هي خمس صلوات.

وقوله: («وَدَلِيلُ الصَّلاةِ») أي الدَّليل على أنها من أركان الإسلام، والدَّليل على رُكْنية الصلاة الكتاب والسُّنة والإجماع.

أمَّا أدلَّة الكتاب فكثيرة جدًا، وأدلَّة السُّنة كذلك كثيرة جدًا، منها حديث ابن عمرَ السابق، وحديث أبي هريرة، وحديث جبريل.

والصلاة تعريفها: هي عبادةٌ ذات أقوالٍ وأعمالٍ مخْصوصة، مُفْتَتَحَة بالتكبير، ومُخْتَتَمَةٌ بالتسْليم، هذه هي الصلاة في الشرع.

قوله: («وَالزَّكَاةِ») أي الدَّليل على أنَّ الزكاة من أركان الإسلام، والدَّليل على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع، على حسبِ ما تقدَّم.

والزكاة المقصود بها: الزكاة المفْروضة، الزكاة الواجبة.

وتعْريفها: أخْذُ شيء من مالٍ مخْصوصٍ متعلِّقٌ بأموال مخْصوصة تعبُّدًا وتقرُّبًا، أو تقول: هو أخْذُ شيء من أموالٍ مخْصوصة على جهة مخْصوصة؛ تعبُّدًا وتقرُّبًا.

قال: («وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ») تقدَّم الكلام على تفسير التوحيد.

قوله تعالى: («﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾»)

مناسبَة ذكْر هذه الآية: دلالتُها على رُكْنية الصلاة، وعلى رُكْنية الزكاة، وقلنا الأدلَّة الدالة على ذلك هي الكتاب والسُّنة والإجماع، والمؤلف رحمه الله يقصِر غالبًا على ذكْر دليلٍ واحد من

القرآن؛ لأنَّه أراد بذلك الاخْتصار وعدم التطويل، وإلَّا فالأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

قوله: («ودَلِيلُ الصِّيَامِ») أي الدليل على كونه من أركان الإسلام.

والمقصود بالصيام هنا: الصيام الواجب، الصيام المفْروض وهو صيام رمضان.

والأدلَّة على رُكْنيته الكتاب والسُّنة والإجماع.

وتعريف الصيام هو: الإمساك تعبُّدًا عن شيءٍ مخْصوص، في وقتٍ مخْصوص، بشروطٍ مخْصوصة، من شخصٍ مخْصوص.

(الإمساك) يعني الإمساك عن المُفَطِّرَات، (الإمساك تعبُّدًا) يَخرجُ بذلك الإمساك جِبِلَّة وطَبيعة (الإمساك تعبُّدًا عن شيءٍ مخْصوص، في وقتٍ مخْصوص، بشروطٍ مخْصوصة، من شخصٍ مخْصوص)، هذا تعريف الصيام الواجب.

وقوله: («﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾») **مناسبَة ذكْر هذه الآية**: هي دلالتُها على رُكْنية الصيام، وأنَّه من أركان الإسلام.

قوله: («ودَلِيلُ الْحَجِّ») المقصود بالحجِّ هنا **الحج الواجب المفْروض**، والمقصود بقوله: («ودَلِيلُ الْحَجِّ») أي الدَّليل على رُكْنية الحجّ، والأدلَّة على رُكْنية الحج الكتاب والسُّنة والإجماع.

وتعريفه: هو قصْدُ البيت الحرام والمشاعر وأداء المناسك في زمَنٍ مخْصوص، وصِفة مخْصوصة؛ تعبُّدًا وتقرُّبًا.

قوله: («﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾») **مناسبَة ذكْر هذه الآية هنا**: هي دلالتُها على رُكْنية الحج، وأنَّه من أركان الإسلام.

الدرس الحادي عشر

قال المُصنف رحمه الله:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف رحمه الله: («الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ»).

قد ذكر المؤلف الأصل الثاني أنَّ مراتب الدين ثلاث:

- **المرتبة الأُولى**: الإسلام.

- **المرتبة الثانية**: الإيمان.

ولـمَّا فرغَ المؤلف رحمه الله من الكلام على المرتبة الأُولى وهي مرتبة الإسلام وما يتعلَّق به؛ شـرعَ رحمه الله في ذكْر المرتبة الثانية وذكْر بعض ما يتعلَّق بهذه المرتبة، وهذه المرتبة الثانية هي مرتبة الإيمان، وهي أعلى وأجل من المرتبة الأُولى.

وقوله: («الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ»).

الإيمان تعريفه في اللُّغة: هو التصْديقُ الجازم المُسْتلزم للانقياد والقبول.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾ أي وما أنت بمصدِّقٍ لنا.

وأمَّا الإيمان في الشرع فهو ما اشتمل على ثلاثة أمور: فالإيمان في الشرع قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، قول اللّسان، واعْتقاد الجَنَان وعمل الجوارح والأركان، هذا هو التعريف الشرعي عند أهل السُّنَّة والجماعة للإيمان، فالإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة ما دلَّ على ثلاثة أمور: الإقرار باللّسان والنُّطق به، والاعْتقاد بالجَنَان، والعمل بالجوارح والأركان.

وقد دلَّ على هذا التعريف الأدلَّة الكثيرة من كتاب الله عز وجل ومن سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع السَّلف على ذلك، فالأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان قولٌ هي **الكتاب والسُّنة والإجماع**، وكذلك الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان اعْتقاد بالجَنان **الكتاب والسُّنة والإجماع**، وهكذا الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان عملٌ أيضًا بالجوارح والأركان هي **الكتاب والسُّنة والإجماع**، وسيأتي ذكرُها مفصَّلة - إن شاء الله - في ا لدروس الآتية.

خلاصة القول: أنَّ أهل السُّنة والجماعة مُجمعون على أنَّ الإيمان الشرعي: هو ما اشْتملَ على اعْتقاد القلب، وإقرار اللّسان، وعمل الجوارح. فهذا هو حقيقة الإيمان عند أهل السُّنة

والجماعة.

ومرتبة الإيمان أعْلَى من مرتبة الإسلام كما تقدَّم.

قول المؤلف رحمه الله: («وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً») الضمير عائد على الإيمان، فقوله: («وَهُوَ بِضْعٌ») البِضع يُطلقُ على الثلاثة إلى التسعة، وقِيلَ: إلى العشرة، وقِيلَ: يُطلقُ من الخمسة إلى العشرة، وهكذا، وقوله: («بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً») الرواية المتَّفَق عليها عند الشيخين هي بلفْظ: (بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَة) وأمَّا هذه الرواية فانفردَ بها الإمامُ مسلمٌ رحمه الله تعالى.

وقوله: («شُعْبَةً») الشُّعْبة المقصود بها: الخَصْلَة، فشُعَبُ الإيمان هي خِصَالُه وأجزاؤه.

قوله: («فَأَعْلاهَا») أي أعْلَاها قدرًا وأعْظمها منزلةً.

وقوله: («قَوْلُ لا إله إلا اللهُ») بدأَ بها لوُرُود النُّصوص الشرعية، ولأنَّ هذه الكلمة شرطٌ في صحَّة بقية الأعمال، فلا تصح الأعمال الأخرى المتعلِّقة بالجوارح إلَّا بوجود هذه الكلمة، والنُّطْق بها، وهكذا الإقرار بها.

وقد تقدَّم الكلام على هذه الكلمة من حيث التعريف والشروط والأركان، فلا حاجة إلى إعادة ذلك.

قوله: («وَأَدْنَاهَا») أي أدْنَى شُعب الإيمان، والمقصود بالأدْنَى هنا أي: الأقلّ، أي أقلُّها مرْتبة، وأقلَّها منزلة.

قال: («وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ») الإماطة هي: التَّنْحِية والإبْعاد، يُقالُ: (أمَاطَ كذا عن كذا) أي نحَّاهُ وأبعَدَه.

وقوله: («الأَذَى») الأَذى شامل لكلِّ ما يُؤذي الناسَ في طريقِهم؛ من الأحجار، أو الشوك، أو

الأشــجار، أو القاذورات، أو النَّجاســات، فالأذى شــاملٌ لجميع هذه الأمور المذْكورة، و«الطريق» معروفة.

قوله: («وَالْحَيَاءُ شُــعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ») الحياء خُلُقٌ متعلِّقٌ بالقلْب، وقوله: («مِنْ الإِيمَانِ») أي من الإيمان الشرعي.

وهذه الجُملة أخذَها المؤلف رحمه الله من الحديث الذي رواه الشــيخان، واللَّفظ للإمام مسلم؛ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّوْنَ شُعْبَةً**» وفي رواية مسلم: «**بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ**» فالمؤلف رحمه الله أخذ هذه الجُملة من هذا الحديث.

وهذا الحديث الذي سمعْتُموه قد اشتملَ على أركان الإيمان الشرعي، يعني تعريف الإيمان الشــرعي، والذي لا يقوم إلَّا به، وقد أسْلفْنَا القول: أنَّ الإيمان الشــرعي هو المشــتمل على ثلاثة أمور: المشتمل على الاعتقاد بالقلْب، والإقرار باللّسان، والعمل بالجوارح والأركان، فهذا الحديث دلَّ على هذه الثلاثة الأمور، والمؤلف رحمه الله أرادَ أن يُبيِّنَ ذلك، وأنَّ الإيمان الشــرعي الذي دلَّت عليه النُّصــوص من الكتاب والسُّــنة والذي أجمعَ عليه السَّــلف هو ما اشتمل على هذه الثلاثة الأمور.

فقوله: («قَوْلُ لا إله إلا اللهُ») هذا دالٌّ على القول، وقوله: («إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ») دالٌّ على العمل، وقوله: («وَالْحَيَاءُ شُــعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ») دالٌّ على عمل القلب واعْتقادِه، فاشْــتمل هذا الحديث على الثلاثة الأمور المذْكورة، والتي لا يكون الإيمان الشــرعي بها مقبولًا إلَّا بتوفُّر

هذه الثلاثة الأمور المذْكورة: الاعْتقاد بالقلب، والإقرار باللّسان، والعمل بالجوارح والأركان.

قال رحمه الله: («وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ») الضمير في قوله «وأركانه» عائد إلى الإيمان أي: أركان الإيمان ستَّة، **والمقصود بالإيمان الإيمان الشرعي**، أي أركان الإيمان الشرعي ستةُ أركان.

وقوله: («سِتَّةٌ») دلَّ على أنَّ أركان الإيمان محْصورة في هذ العدد عند عامَّة أهل السُّنة والجماعة، ولا سابعَ لها. وسيأتي الكلام على أدلّتها الدَّالة عليها.

قال: («وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ») الإيمان بالله عز وجل هو أساسُ سعادة العبد، وأساس فلاحِه في الدنيا والآخرة، والعبد لا يسْعد في الدنيا والآخرة إلَّا بإيمانه بالله تباركَ وتعالى، والإيمان بالله جلَّ وعلا يُعتبرُ شرطًا في بقية الأركان الأخرى، فلا يصح الإيمان بالملائكة والكُتب والرُّسُل واليوم الآخر إلَّا بالإيمان بالله تعالى، ولهذا ذُكِرَ في الأحاديث وفي النُّصوص الشرعية قبل هذه الأركان الأخرى، فالإيمان بالله جلَّ وعلا شرطٌ في صحة بقيّة هذه الأركان الخمسة المذْكورة.

والإيمان بالله تباركَ وتعالى يشمل أربعة أمور:

- **الأمر الأول**: الإيمان بوجودِه.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بتفرُّدِه بالرُّبوبيّة، لا يكفي أن يُقالَ: الإيمان بالرُّبوبية.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بتفرُّدِه بالإلهية.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بتفرُّدِه بكمالِ الأسماء والصفات، فلا يصح الإيمان بالله عز وجل إلَّا بهذه الأربعة الأمور، ولهذا يُقال: أركان الإيمان بالله أربعة، فيُفرَّق بين قولِنا:

أركان الإيمان، وأركان الإيمان بالله، فأركان الإيمان بالله هذه الأربعة المذْكورة: الإيمان بوجودِه، الإيمان بتفرُّدِه بالرُّبوبيّة، الإيمان بتفرُّدِه بالإلهية، الإيمان بتفرُّدِه بكمالِ الأسماء والصفات.

قوله: («وَمَلائِكَتِهِ») هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة.

والإيمان بالملائكة يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بوجودِهم وخَلْقِهم، وأنَّهم مخلوقون من مخلوقات الله تباركَ وتعالى.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بأنهم عبادٌ من عبادِ الله، لا يستحقُّون العبادة والإلهية من دون الله تباركَ وتعالى.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنهم لا يعلمون الغيب.
- **الأمر الخامس**: الإيمان بأنهم لا يعصون الله ما أمرَهم ويَفعلُون ما يُأْمَرُون.

هذه بعض الأمر التي يتضمَّنُها الإيمان بالملائكة.

قوله: («وَكُتُبِهِ») هذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان، **الإيمان بالكتب**، والمقصود بالكتب: هي الكتب المُنزَّلَة من عند الله عز وجل على أنبيائه ورُسُلِه عليهم الصلاة والسلام؛ كالتوراة، والإنجيل، والزَّبُور، والقرآن، وصُحُف إبراهيمَ وموسى، فهذه هي المقصودة في قوله: («وَكُتُبِهِ»)، وهذا لا يدلُّ على الحصْر، فالكُتُب منْها ما علمْناها ومنْها ما لم نعلمه، كما سيأتي.

والإيمان بكُتُبِ الله عز وجل يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: أنَّها من عند الله تباركَ وتعالى، ومُنزَّلَة من عندِه جلَّ وعلا.
- **الأمر الثاني**: أنَّها حقٌّ وصِدْقٌ، ليس فيها كَذِبٌ ولا لَبْسٌ ولا تعْمِيَة.
- **الأمر الثالث**: وأنَّها كلام الله عز وجل غير مخْلوقة.
- **الأمر الرابع**: وأنَّها هِداية للأُمَمِ والناس، وفيها سعادتُهم، وهدايتُهم، ورشادُهم، فهذه بعض الأمور التي يتضمَّنها الإيمان بالكتب.

قوله: («وَرُسُلِهِ») الرُّسُل جمْع «رسول» والمقصود بهم الأنبياء عمومًا، يدخل فيهم الأنبياء والرسل عمومًا، وهم الذين أرسَلَهم الله عز وجل للدَّعْوة وتبْليغ الأُمَّة الدِّين الذي أمرَهم الله تعالى به. وسيأتي الكلامُ على تعريف النبي والرسول في الدروس الآتية - إن شاء الله -.

والإيمان بالرسل يَشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّهم مُرسَلُون من عند الله عز وجل، وأنَّهم مبعوثُون من قِبَلِه جلَّ وعلا.
- **الأمر الثاني**: الإيمان أنَّهم صادقُون فيما دعَوا إليه وفيما أخبرُوا به من الأحكام، والشرائع، والأوامر، والنَّوَاهِي، والأخبار، إلى آخره.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بأنَّهم عبادٌ من عبادِ الله عز وجل لا يسْتحقُّون العبادة بلْ هم مأْمورُون بالعبادة، فلا يستحقُّون العبادة، ولا يستحقُّون الإلهية من دون الله عز وجل.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنَّهم بشرٌ يَعْتريهم ما يَعْتري البشر، فيأْكلون، ويشربون، وينامون، ويَمرضون، ويُعافَون، إلى آخره.

- **الأمر الخامس**: الإيمان بأنَّهم لا يعلمون الغيب إلَّا ما أعْلَمَهم الله تعالى به.

هذه بعض الأمور التي يتضمَّنُها الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

قوله: («وَالْيَوْمِ الآخِرِ») المقصود باليوم الآخر: هو يوم القيامة يوم البعْث والنُّشُور.

والإيمان باليوم الآخر يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّ الله تعالى يَبعثُ جميعَ الخلائق، من لدُنْ آدم عليه السلام إلى آخر مخلوق، فيبعث الله جلَّ وعلا جميعَ الإنس وجميعَ الجنّ وجميع الملائكة بلْ وجميع المخلوقات المشْتملة على الأرواح.

- **الأمر الثاني**: الإيمان بما أخبرَ الله عز وجل به في هذا اليوم؛ كالإيمان بالصراط، والإيمان بالميزان، والإيمان بالحوض، والإيمان باسْتلام الصُّحُف، والإيمان بالحساب والجزاء، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك.

- **الأمر الثالث**: الإيمان بمَجِيء الله تباركَ وتعالى في ذلك اليوم؛ لفصْلِ القضاء.

فهذه بعض الأمور التي هي داخلةٌ في الإيمان باليوم الآخر.

قوله: («وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ») هذه هو الركن السادس والأخير. وسيأتي الكلام على تعريف القدر - إن شاء الله تعالى - في الدروس الآتية.

والإيمان بالقدر يشملُ أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّ الله عز وجل قد قدَّر كلَّ شيءٍ، وأنَّ كل شيءٍ هو بقَدَر الله تباركَ وتعالى، صغيرًا كان أو كبيرًا.

- **الأمر الثاني**: الإيمان بأنَّ الله عز وجل قد عَلِمَ مقادير الخلائق وكتبَها وشاءَها وخلقَها،

فيتضمَّن الإيمان بمراتب القدر الأربع.

- **الأمر الثالث**: الإيمان أنَّ الناس جميعًا لا يَخرجون عن قدَر الله عز وجل، مؤْمِنُهم وكافرُهم، سعيدُهم وشقيُّهم، فكلُّ الخلائق داخلة تحت هذا الأمر؛ تحت قدَر الله عز وجل.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنَّ الأمر كلَّه إلى الله، فلا أحدٌ يستطيع أن يغيّر شيئًا من قدَر الله، أو يَردَّه، أو يدفعَه، أو يتعقَّبَه بلْ يجب على المسلِم أن يعتقدَ أنَّ الله عز وجل له الأمور كلُّها؛ فبيدِه الخيرُ والشرُّ، فالعباد بأجْمَعِهم لا يستطيعون تقدميًا ولا تأْخيرًا فيما يتعلَّق بأمر الله وقدَر الله تباركَ وتعالى.

هذه الأركان الستة الإيمان بها على مرتبتين:

- **المرتبة الأُولى**: المرتبة الإجمالية.
- **المرتبة الثانية**: المرتبة التفْصيليّة.

المرتبة الأُولى: المرتبة الإجمالية وهي الإيمان بهذه الأركان الستة على جهةِ العموم والشُّمُول دون النَّظر إلى دقائق المسائل، وآحاد المسائل، ودون النَّظر إلى أدلَّتها الشرعية المتعلِّقة بها، فهذه المرتبة هي المرتبة الإجمالية.

مثال ذلك: الإيمان بوجود الله عز وجل وإلهيّته ورُبوبيَّته على جهة العموم والشُّمُول، وأنَّه سبحانه وتعالى موجود، وأنَّه تباركَ وتعالى مستحقّ للإلهية والرُّبوبيّة وحدَه، فالإيمان على هذه الصورة وعلى هذا الحال مُجزِئ، فلا يُشترطُ في إيمان البعد معرفة دقائق المسائل، معرفة جميع معاني أسماء الله، معرفة جميع معاني صفات الله، معرفة أدلَّة جميع هذه الأمور، كذلك

معرفة آحاد وأفْراد مسائل الإلهية أو الرُّبوبيَّة أو غير ذلك، هذه المرتبة التفْصيلية لا تكون إلَّا في حالٍ من الأحوال، وتكون في أُناسٍ مخْصوصِين.

إذًا هذه الأركان كلُّها على هاتَين المرتبتين: مرتبة إجمالية، ومرتبة تفْصيلية.

فالمرتبة الأُولى هي التي عليها غالب المسلمين، فتجد المسلمين يؤمنون بوجود الله، وإلهيَّته، ورُبوبيَّته، وأسمائه وصفاته، وهكذا يؤمنون بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه، لكنَّهم يجهلون أكثر أدلَّة هذه الأمور أو هذه المسائل، ويجهلون دقائق هذه المسائل وأحكامها وما يتعلَّق بها من أخبارٍ ومن أمور وأحوال، فالغالب على الناس أنهم يجهلون هذه الأمور، وغالبًا أنَّ الإيمان التفْصيلي إنَّما يكون عند أهل العلم، عند العلماء الرَّاسِخِين في العلم، على حسبِ ما تقدَّم، فالإيمان بالله يشمل هاتَين المرتبتين الإجمالية والتفصيلية، وكذلك الإيمان بالملائكة يشمل هاتَين المرتبتين الإجمالية والتفصيلية، وكذلك الإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

إذًا خلاصة القول أنَّنَا نقول: الإيمان بهذه الأركان الستة: على هاتَين المرتبتين:

المرتبة الأُولى: الإيمان على جهة العموم والشُّمُول والإجمال.

المرتبة الثانية: الإيمان على جهة التفصيل، وذكْر المسائل ودقائقها.

وسيأتي الكلامُ على مَزيد من هذه الأمور والمسائل التفْصيلية في الدروس الآتية - إن شاء الله -

قال رحمه الله: («وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ») أي على رُكْنية هذه الأمور الستة.

الدَّليلُ على - كما ذكر المؤلف هنا - ذكرَ آيتَين، وإلَّا فالأدلَّة على رُكْنية هذه الأمور الستة: هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية هذه: قوله تعالى: («﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾») ذكرَ خمسة أشياء ثمَّ ذكر قوله: («﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»)، وأيضًا ذُكِرَتْ هذه الخمسة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] ذُكِرَتْ هذه الخمسة الأركان في هاتَين الآيتين.

وبالنسبة للقدر فقد ذُكِرَ في آيات كثيرة؛ منها الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة** فمنها: حديث جبريل عليه السلام، عندما سألَ النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وأيضًا جاءت هذه الأركان في حديث أبي هريرةَ بنحْوِ حديث جبريل، حديث أبي هريرة متَّفقٌ عليه في «الصحيحين»، وحديث جبريل رواه الإمام مسلم وانفردَ بذلك.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على هذه الأركان.

إذًا قوله: («وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ») نقول: الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

قوله تعالى: («﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾») الآية.

مناسبة ذكْر هذه الآية: هي دلالتها على رُكْنية هذه الأمور الخمسة، وأنَّها من أركان الإيمان.

وقوله: («وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَــيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾») كذلك القدر يدلُّ على رُكْنيتِه: الكتاب والسُّـنة والإجماع، وأحاديث القدر متَواتِرة بلْ الأحاديث الواردة في كلِّ رُكْنٍ من هذه الأركان متَواتِرة فيها جميعًا، فالأحاديث الواردة في الإيمان بالله متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الملائكة متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الكتب متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الإيمان بالرسل متَواتِرة، والأحاديث الواردة في متَواتِرة، والأحاديث الواردة في القدر متَواتِرة.

وقد أُلِّفَتْ فيها مؤلَّفَات ومُصنَّفَات موجودة وهي كذلك مطبوعة.

إذًا الأدلَّة على هذه: الكتاب والسُّنة والإجماع، وجهُ الدَّلالة على رُكْنية هذه الأمور المذْكورة في هذه الآية.

بقي معنا علاقة الإيمان بالإسلام، ذكر المؤلف أولًا مرتبة الإسلام ثمَّ ذكر مرتبة الإيمان.

العلاقة بين الإسلام والإيمان التَّلازُم، فهما متلازِمان، فلا يُتصوَّر أن يُوجدَ إسلامٌ بلا إيمان، ولا يُتصــوَّر أن يوجد إيمان بلا إســلام، فالإســلام ملازمٌ للإيمان الواجب، والإيمان ملازمٌ للإسلام الواجب، فلا يمكن أن يوجد إسلامٌ بلا إيمان، ولا يمكن أن يوجد إيمانٌ بلا إسلام، لكن إذا اجتمعَ الإسلام والإيمان فيُفسَّر الإسلامُ بالأعمال الظاهرة، ويُفسَّر الإيمان بالأعمال الباطنة، وغالبًا أنَّه إذا فُرِّقَ بين الإســلام والإيمان من هذه النَّاحية أنَّ المقصــود بالإيمان هو الإيمان الكامل، أو الإيمان المطلق، أمَّا الإيمان الواجب فلابدَّ أن يكون ملازمًا للإســلام، ولابدَّ أن يكون الإســلام ملازمًا للإيمان، فالعلاقة بينهما التلازم، فهما متلازمان، لا ينفكّ أحدُهما عن الآخر، فلا يمكن إســلامٌ بلا إيمان، ولا إيمان بلا إســلام، ولكن إذا اجتمعا في جُملةٍ ما فيُفسَّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، ويُفسَّر الإيمان بالأعمال الباطنة.

والإيمان المطلق الكامل أعلى مرتبة من الإسلام، وأجل منزلة من الإسلام.

ويدلُّ عليه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات:١٤] المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل المطلق، فلا يُفهم من الآية أنَّه يوجد إسلامٌ بلا إيمان، أو إيمانٌ بلا إسلام؛ **إنَّما المقصود هنا الإيمان الكامل**، نعم الإيمان الكامل المطلق قد يتخلَّف عن الإسلام، لكن الإيمان الواجب لابدَّ أن يكون موجودًا، ولهذا يقول أهلُ السُّنة والجماعة: «المؤمنون على قسمين: مؤمنٌ كاملُ الإيمان، ومؤمنٌ ناقص الإيمان» فالآية المذْكورة اشْتملَتْ على الإيمان المطلق الكامل، وليس الإيمان الواجب.

الدرس الحادي عشر

قال المُصنف رحمه الله:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ شُـعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِـتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّـتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف رحمه الله: («الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ»).

قد ذكر المؤلف الأصل الثاني أنَّ مراتب الدين ثلاث:

- **المرتبة الأُولى**: الإسلام.

- **المرتبة الثانية:** الإيمان.

ولمَّا فرغَ المؤلف رحمه الله من الكلام على المرتبة الأُولى وهي مرتبة الإسلام وما يتعلَّق به؛ شـــرعَ رحمه الله في ذكْر المرتبة الثانية وذكْر بعض ما يتعلَّق بهذه المرتبة، وهذه المرتبة الثانية هي مرتبة الإيمان، وهي أعلى وأجل من المرتبة الأُولى.

وقوله: («الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ»).

الإيمان تعريفه في اللُّغة: هو التصْديقُ الجازم المُسْتلزم للانقياد والقبول.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾ أي وما أنت بمصدِّقٍ لنا.

وأمَّا الإيمان في الشرع فهو ما اشتمل على ثلاثة أمور: فالإيمان في الشرع قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، قول اللّسـان، واعْتقاد الجَنَان وعمل الجوارح والأركان، هذا هو التعريف الشـرعي عند أهل السُّـنَّة والجماعة للإيمان، فالإيمان عند أهل السُّـنَّة والجماعة ما دلَّ على ثلاثة أمور: الإقرار باللّسان والنُّطق به، والاعْتقاد بالجَنَان، والعمل بالجوارح والأركان.

وقد دلَّ على هذا التعريف الأدلَّة الكثيرة من كتاب الله عز وجل ومن سُـنَّة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، وأجمع السَّـلف على ذلك، فالأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان قولٌ هي **الكتاب والسُّـنة والإجماع**، وكذلك الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان اعْتقاد بالجَنان **الكتاب والسُّـنة والإجماع**، وهكذا الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ الإيمان عملٌ أيضًـا بالجوارح والأركان هي **الكتاب والسُّنة والإجماع**، وسيأتي ذكرُها مفصَّلة - إن شاء الله - في ا لدروس الآتية.

خلاصـة القول: أنَّ أهل السُّـنة والجماعة مُجمعون على أنَّ الإيمان الشـرعي: هو ما اشْـتملَ على اعْتقاد القلب، وإقرار اللّسـان، وعمل الجوارح. فهذا هو حقيقة الإيمان عند أهل السُّـنة

والجماعة.

ومرتبة الإيمان أعْلَى من مرتبة الإسلام كما تقدَّم.

قول المؤلف رحمه الله: («وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً») الضمير عائد على الإيمان، فقوله: («وَهُوَ بِضْعٌ») البِضْع يُطلقُ على الثلاثة إلى التسعة، وقِيلَ: إلى العشرة، وقِيلَ: يُطلقُ من الخمسة إلى العشرة، وهكذا، وقوله: («بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً») الرواية المتَّفَق عليها عند الشيخين هي بلفْظ: (بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَة) وأمَّا هذه الرواية فانفردَ بها الإمامُ مسلمٌ رحمه الله تعالى.

وقوله: («شُعْبَةً») الشُّعْبة المقصود بها: الخَصْلَة، فشُعَبُ الإيمان هي خِصَالُه وأجزاؤه.

قوله: («فَأَعْلاهَا») أي أعْلَاها قدرًا وأعْظمها منزلةً.

وقوله: («قَوْلُ لا إله إلا اللهُ») بدأَ بها لوُرُود النُّصوص الشرعية، ولأنَّ هذه الكلمة شرطٌ في صحَّة بقية الأعمال، فلا تصح الأعمال الأخرى المتعلِّقة بالجوارح إلَّا بوجود هذه الكلمة، والنُّطْق بها، وهكذا الإقرار بها.

وقد تقدَّم الكلام على هذه الكلمة من حيث التعريف والشروط والأركان، فلا حاجة إلى إعادة ذلك.

قوله: («وَأَدْنَاهَا») أي أدْنَى شُعب الإيمان، والمقصود بالأدْنَى هنا أي: الأقلّ، أي أقلُّها مرْتبة، وأقلَّها منزلة.

قال: («وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ») الإماطة هي: التَّنْحِية والإبْعاد، يُقالُ: (أمَاطَ كذا عن كذا) أي نحَّاهُ وأبعَدَه.

وقوله: («الأَذَى») الأَذى شامل لكلِّ ما يُؤذي الناسَ في طريقِهم؛ من الأحجار، أو الشوك، أو

الأشـــجار، أو القاذورات، أو النَّجاســـات، فالأذى شـــاملٌ لجميع هذه الأمور المذْكورة، و«الطريق» معروفة.

قوله: («وَالْحَيَاءُ شُـــعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ») الحياء خُلُقٌ متعلِّقٌ بالقلْب، وقوله: («مِنْ الإِيمَانِ») أي من الإيمان الشرعي.

وهذه الجُملة أخذَها المؤلف رحمه الله من الحديث الذي رواه الشـيخان، واللَّفظ للإمام مسـلم؛ عن أبي هريرةَ رضـي الله عنه، أنَّ الرسـول صـلى الله عليه وسـلم قال: «**الإِيْمَانُ بِضْـعٌ وَسِتُّوْنَ شُـعْبَةً**» وفي رواية مسـلم: «**بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُـعْبَةٌ مِنْ شُـعَبِ الإِيمَانِ**» فالمؤلف رحمه الله أخذ هذه الجُملة من هذا الحديث.

وهذا الحديث الذي سـمعْتُموه قد اشتملَ على أركان الإيمان الشـرعي، يعني تعريف الإيمان الشـرعي، والذي لا يقوم إلَّا به، وقد أسْـلفْنَا القول: أنَّ الإيمان الشـرعي هو المشـتمل على ثلاثة أمور: المشـتمل على الاعتقاد بالقلْب، والإقرار باللّسـان، والعمل بالجوارح والأركان، فهذا الحديث دلَّ على هذه الثلاثة الأمور، والمؤلف رحمه الله أرادَ أن يُبيِّنَ ذلك، وأنَّ الإيمان الشـرعي الذي دلَّت عليه النُّصـوص من الكتاب والسُّـنة والذي أجمعَ عليه السَّـلف هو ما اشتمل على هذه الثلاثة الأمور.

فقوله: («قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ») هذا دالٌّ على القول، وقوله: («إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ») دالٌّ على العمل، وقوله: («وَالْحَيَاءُ شُـــعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ») دالٌّ على عمل القلب واعْتقادِه، فاشْـتمل هذا الحديث على الثلاثة الأمور المذْكورة، والتي لا يكون الإيمان الشـــرعي بها مقبولًا إلَّا بتوفُّر

هذه الثلاثة الأمور المذْكورة: الاعْتقاد بالقلب، والإقرار باللّسان، والعمل بالجوارح والأركان.

قال رحمه الله: («وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ») الضمير في قوله «وأركانه» عائد إلى الإيمان أي: أركان الإيمان ستَّة، **والمقصود بالإيمان الإيمان الشرعي**، أي أركان الإيمان الشرعي ستةُ أركان.

وقوله: («سِتَّةٌ») دلَّ على أنَّ أركان الإيمان محْصورة في هذ العدد عند عامَّة أهل السُّنة والجماعة، ولا سابعَ لها. وسيأتي الكلام على أدلّتها الدَّالة عليها.

قال: («وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ») الإيمان بالله عز وجل هو أساسُ سعادة العبد، وأساس فلاحِه في الدنيا والآخرة، والعبد لا يسْعد في الدنيا والآخرة إلَّا بإيمانه بالله تباركَ وتعالى، والإيمان بالله جلَّ وعلا يُعتبرُ شرطًا في بقية الأركان الأخرى، فلا يصح الإيمان بالملائكة والكُتب والرُّسُل واليوم الآخر إلَّا بالإيمان بالله تعالى، ولهذا ذُكِرَ في الأحاديث وفي النُّصوص الشرعية قبل هذه الأركان الأخرى، فالإيمان بالله جلَّ وعلا شرطٌ في صحة بقيّة هذه الأركان الخمسة المذْكورة.

والإيمان بالله تباركَ وتعالى يشمل أربعة أمور:

- **الأمر الأول**: الإيمان بوجودِه.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بتفرُّدِه بالرُّبوبيّة، لا يكفي أن يُقالَ: الإيمان بالرُّبوبية.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بتفرُّدِه بالإلهية.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بتفرُّدِه بكمالِ الأسماء والصفات، فلا يصح الإيمان بالله عز وجل إلَّا بهذه الأربعة الأمور، ولهذا يُقال: أركان الإيمان بالله أربعة، فيُفرَّق بين قولِنا:

أركان الإيمان، وأركان الإيمان بالله، فأركان الإيمان بالله هذه الأربعة المذْكورة: الإيمان بوجودِه، الإيمان بتفرُّدِه بالرُّبوبيّة، الإيمان بتفرُّدِه بالإلهية، الإيمان بتفرُّدِه بكمالِ الأسماء والصفات.

قوله: («وَمَلائِكَتِهِ») هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة.

والإيمان بالملائكة يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بوجودِهم وخَلْقِهم، وأنَّهم مخلوقون من مخلوقات الله تبارك وتعالى.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بأنهم عبادٌ من عبادِ الله، لا يستحقُّون العبادة والإلهية من دون الله تباركَ وتعالى.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنهم لا يعلمون الغيب.
- **الأمر الخامس**: الإيمان بأنهم لا يعصون الله ما أمرَهم ويَفعلُون ما يُأْمَرُون.

هذه بعض الأمر التي يتضمَّنُها الإيمان بالملائكة.

قوله: («وَكُتُبِهِ») هذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان، **الإيمان بالكتب**، والمقصود بالكتب: هي الكتب المُنزَّلَة من عند الله عز وجل على أنبيائه ورُسُلِه عليهم الصلاة والسلام؛ كالتوراة، والإنجيل، والزَّبُور، والقرآن، وصُحُف إبراهيمَ وموسى، فهذه هي المقصودة في قوله: («وَكُتُبِهِ»)، وهذا لا يدلُّ على الحصْر، فالكُتُب منْها ما علمْناها ومنْها ما لم نعلمه، كما سيأتي.

والإيمان بكُتُبِ الله عز وجل يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: أنَّها من عند الله تباركَ وتعالى، ومُنزَّلَة من عندِه جلَّ وعلا.
- **الأمر الثاني**: أنَّها حقٌّ وصِدْقٌ، ليس فيها كَذِبٌ ولا لَبْسٌ ولا تعْمِيَة.
- **الأمر الثالث**: وأنَّها كلام الله عز وجل غير مخْلوقة.
- **الأمر الرابع**: وأنَّها هِداية للأُمَمِ والناس، وفيها سعادتُهم، وهدايتُهم، ورشادُهم، فهذه بعض الأمور التي يتضمَّنها الإيمان بالكتب.

قوله: («وَرُسُلِهِ») الرُّسُل جمْع «رسول» والمقصود بهم الأنبياء عمومًا، يدخل فيهم الأنبياء والرسل عمومًا، وهم الذين أرسَلَهم الله عز وجل للدَّعْوة وتبْليغ الأُمَّة الدِّين الذي أمرَهم الله تعالى به. وسيأتي الكلامُ على تعريف النبي والرسول في الدروس الآتية - إن شاء الله -.

والإيمان بالرسل يَشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّهم مُرسَلُون من عند الله عز وجل، وأنَّهم مبعوثُون من قِبَلِه جلَّ وعلا.
- **الأمر الثاني**: الإيمان أنَّهم صادقُون فيما دعَوا إليه وفيما أخبرُوا به من الأحكام، والشرائع، والأوامر، والنَّوَاهِي، والأخبار، إلى آخره.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بأنَّهم عبادٌ من عبادِ الله عز وجل لا يسْتحقُّون العبادة بلْ هم مأْمورُون بالعبادة، فلا يستحقُّون العبادة، ولا يستحقُّون الإلهية من دون الله عز وجل.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنَّهم بشرٌ يَعْتريهم ما يَعْتري البشر، فيأْكلون، ويشربون، وينامون، ويَمرضون، ويُعافَون، إلى آخره.

- **الأمر الخامس**: الإيمان بأنَّهم لا يعلمون الغيب إلَّا ما أعْلمَهم الله تعالى به.

هذه بعض الأمور التي يتضمَّنُها الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

قوله: («وَالْيَوْمِ الآخِرِ») المقصود باليوم الآخر: هو يوم القيامة يوم البعْث والنُّشُور.

والإيمان باليوم الآخر يشمل أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّ الله تعالى يَبعثُ جميعَ الخلائق، من لدُنْ آدم عليه السلام إلى آخر مخلوق، فيبعث الله جلَّ وعلا جميعَ الإنس وجميعَ الجنّ وجميع الملائكة بلْ وجميع المخلوقات المشْتملة على الأرواح.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بما أخبرَ الله عز وجل به في هذا اليوم؛ كالإيمان بالصراط، والإيمان بالميزان، والإيمان بالحوض، والإيمان باسْتلام الصُّحُف، والإيمان بالحساب والجزاء، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك.
- **الأمر الثالث**: الإيمان بمَجِيء الله تباركَ وتعالى في ذلك اليوم؛ لفصْلِ القضاء.

فهذه بعض الأمور التي هي داخلةٌ في الإيمان باليوم الآخر.

قوله: («وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ») هذه هو الركن السادس والأخير. وسيأتي الكلام على تعريف القدر - إن شاء الله تعالى - في الدروس الآتية.

والإيمان بالقدر يشملُ أمورًا:

- **الأمر الأول**: الإيمان بأنَّ الله عز وجل قد قدَّر كلَّ شيءٍ، وأنَّ كل شيءٍ هو بقَدَر الله تباركَ وتعالى، صغيرًا كان أو كبيرًا.
- **الأمر الثاني**: الإيمان بأنَّ الله عز وجل قد عَلِمَ مقادير الخلائق وكتبَها وشاءَها وخلقَها،

فيتضمَّن الإيمان بمراتب القدر الأربع.

- **الأمر الثالث**: الإيمان أنَّ الناس جميعًا لا يَخرجون عن قدَر الله عز وجل، مؤْمِنُهم وكافرُهم، سعيدُهم وشقيُّهم، فكلُّ الخلائق داخلة تحت هذا الأمر؛ تحت قدَر الله عز وجل.
- **الأمر الرابع**: الإيمان بأنَّ الأمر كلَّه إلى الله، فلا أحدٌ يستطيع أن يغيّر شيئًا من قدَر الله، أو يَردَّه، أو يدفعَه، أو يتعقَّبَه بلْ يجب على المسلِم أن يعتقدَ أنَّ الله عز وجل له الأمور كلُّها؛ فبيدِه الخيرُ والشرُّ، فالعباد بأجْمَعِهم لا يستطيعون تقدميًا ولا تأْخيرًا فيما يتعلَّق بأمر الله وقدَر الله تباركَ وتعالى.

هذه الأركان الستة الإيمان بها على مرتبتين:

- **المرتبة الأُولى**: المرتبة الإجمالية.
- **المرتبة الثانية**: المرتبة التفْصيليّة.

المرتبة الأُولى: المرتبة الإجمالية وهي الإيمان بهذه الأركان الستة على جهةِ العموم والشُّمُول دون النَّظر إلى دقائق المسائل، وآحاد المسائل، ودون النَّظر إلى أدلَّتها الشرعية المتعلِّقة بها، فهذه المرتبة هي المرتبة الإجمالية.

مثال ذلك: الإيمان بوجود الله عز وجل وإلهيّته ورُبوبيَّته على جهة العموم والشُّمُول، وأنَّه سبحانه وتعالى موجود، وأنَّه تباركَ وتعالى مستحقّ للإلهية والرُّبوبيّة وحدَه، فالإيمان على هذه الصورة وعلى هذا الحال مُجزِئ، فلا يُشترطُ في إيمان البعد معرفة دقائق المسائل، معرفة جميع معاني أسماء الله، معرفة جميع معاني صفات الله، معرفة أدلَّة جميع هذه الأمور، كذلك

معرفة آحاد وأفْراد مسائل الإلهية أو الرُّبوبيَّة أو غير ذلك، هذه المرتبة التفْصيلية لا تكون إلَّا في حالٍ من الأحوال، وتكون في أُناسٍ مخْصوصِين.

إذًا هذه الأركان كلُّها على هاتَين المرتبتين: مرتبة إجمالية، ومرتبة تفْصيلية.

فالمرتبة الأُولى هي التي عليها غالب المسلمين، فتجد المسلمين يؤمنون بوجود الله، وإلهيَّته، ورُبوبيَّته، وأسمائه وصفاته، وهكذا يؤمنون بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه، لكنَّهم يجهلون أكثر أدلَّة هذه الأمور أو هذه المسائل، ويجهلون دقائق هذه المسائل وأحكامها وما يتعلَّق بها من أخبارٍ ومن أمور وأحوال، فالغالب على الناس أنهم يجهلون هذه الأمور، وغالبًا أنَّ الإيمان التفْصيلي إنَّما يكون عند أهل العلم، عند العلماء الرَّاسِخِين في العلم، على حسبِ ما تقدَّم، فالإيمان بالله يشمل هاتَين المرتبتين الإجمالية والتفصيلية، وكذلك الإيمان بالملائكة يشمل هاتَين المرتبتين الإجمالية والتفصيلية، وكذلك الإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

إذًا خلاصة القول أنَّنا نقول: الإيمان بهذه الأركان الستة: على هاتَين المرتبتين:

المرتبة الأُولى: الإيمان على جهة العموم والشُّمُول والإجمال.

المرتبة الثانية: الإيمان على جهة التفصيل، وذكْر المسائل ودقائقها.

وسيأتي الكلامُ على مَزيد من هذه الأمور والمسائل التفْصيلية في الدروس الآتية - إن شاء الله -

قال رحمه الله: («وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ») أي على رُكْنية هذه الأمور الستة.

الدَّليلُ على - كما ذكر المؤلف هنا - ذكرَ آيتَين، وإلَّا فالأدلَّة على رُكْنية هذه الأمور الستة: هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية هذه: قوله تعالى: («﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾») ذكرَ خمسة أشياء ثمَّ ذكر قوله: («﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»)، وأيضًا ذُكِرَتْ هذه الخمسة في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾** [النساء:١٣٦] ذُكِرَتْ هذه الخمسة الأركان في هاتَين الآيتين.

وبالنسبة للقدر فقد ذُكِرَ في آيات كثيرة؛ منها الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى.

❖ **وأمَّا أدلَّة السُّنة** فمنها: حديث جبريل عليه السلام، عندما سألَ النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وأيضًا جاءت هذه الأركان في حديث أبي هريرةَ بنحْوِ حديث جبريل، حديث أبي هريرة متَّفقٌ عليه في «الصحيحين»، وحديث جبريل رواه الإمام مسلم وانفردَ بذلك.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على هذه الأركان.

إذًا قوله: («**وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ**») نقول: الأدلَّة هي الكتاب والسُّنة والإجماع.

قوله تعالى: («﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾») الآية.

مناسبة ذكْر هذه الآية: هي دلالتها على رُكْنية هذه الأمور الخمسة، وأنَّها من أركان الإيمان.

وقوله: («وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾») كذلك القدر يدلُّ على رُكْنيتِه: الكتاب والسُّـنة والإجماع، وأحاديث القدر متَواتِرة بلْ الأحاديث الواردة في كلِّ رُكْنٍ من هذه الأركان متَواتِرة فيها جميعًا، فالأحاديث الواردة في الإيمان بالله متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الملائكة متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الكتب متَواتِرة، والأحاديث الواردة في الإيمان بالرسل متَواتِرة، والأحاديث الواردة في متَواتِرة، والأحاديث الواردة في القدر متَواتِرة.

وقد أُلِّفَتْ فيها مؤلَّفَات ومُصنَّفَات موجودة وهي كذلك مطبوعة.

إذًا الأدلَّة على هذه: الكتاب والسُّنة والإجماع، وجهُ الدَّلالة على رُكْنية هذه الأمور المذْكورة في هذه الآية.

بقي معنا علاقة الإيمان بالإسلام، ذكر المؤلف أولًا مرتبة الإسلام ثمَّ ذكر مرتبة الإيمان.

العلاقة بين الإسلام والإيمان التَّلازُم، فهما متلازِمان، فلا يُتصوَّر أن يُوجدَ إسلامٌ بلا إيمان، ولا يُتصـوَّر أن يوجد إيمان بلا إسـلام، فالإسـلام ملازمٌ للإيمان الواجب، والإيمان ملازمٌ للإسلام الواجب، فلا يمكن أن يوجد إسلامٌ بلا إيمان، ولا يمكن أن يوجد إيمانٌ بلا إسلام، لكن إذا اجتمعَ الإسلام والإيمان فيُفسَّر الإسلامُ بالأعمال الظاهرة، ويُفسَّر الإيمان بالأعمال الباطنة، وغالبًا أنَّه إذا فُرِّقَ بين الإسـلام والإيمان من هذه النَّاحية أنَّ المقصـود بالإيمان هو الإيمان الكامل، أو الإيمان المطلق، أمَّا الإيمان الواجب فلابدَّ أن يكون ملازمًا للإسـلام، ولابدَّ أن يكون الإسـلام ملازمًا للإيمان، فالعلاقة بينهما التلازم، فهما متلازمان، لا ينفكّ أحدُهما عن الآخر، فلا يمكن إسـلامٌ بلا إيمان، ولا إيمان بلا إسـلام، ولكن إذا اجتمعا في جُملةٍ ما فيُفسَّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، ويُفسَّر الإيمان بالأعمال الباطنة.

والإيمان المطلق الكامل أعلى مرتبة من الإسلام، وأجل منزلة من الإسلام.

ويدلُّ عليه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات:١٤] المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل المطلق، فلا يُفهم من الآية أنَّه يوجد إسلامٌ بلا إيمان، أو إيمانٌ بلا إسلام؛ **إنَّما المقصود هنا الإيمان الكامل**، نعم الإيمان الكامل المطلق قد يتخلَّف عن الإسلام، لكن الإيمان الواجب لابدَّ أن يكون موجودًا، ولهذا يقول أهلُ السُّنة والجماعة: «المؤمنون على قسمين: مؤمنٌ كاملُ الإيمان، ومؤمنٌ ناقص الإيمان» فالآية المذْكورة اشْتملَتْ على الإيمان المطلق الكامل، وليس الإيمان الواجب.

الدرس الثاني عشر

قال المُصنف رحمه الله:

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ؛ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيث جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-؛ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ،

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».



قال الشّارح وفّقه الله:

قال المؤلف رحمه الله: («الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ؛ رُكْنٌ وَاحِدٌ»).

لمَّا فرغ المؤلف رحمه الله من ذكْر المرتبة الأُولى وهي مرْتبة الإسلام، وذكْر المرتبة الثانية وهي مرتبة الإيمان؛ شرعَ في ذكْر المرتبة الثالثة، **وهي مرتبة الإحسان**.

وهذه المرتبة **وهي مرتبة الإحسان** أجلّ المراتب الثلاث، فالإحسان أجلّ من مرتبة الإيمان ومن مرتبة الإسلام، فهي أعلى المراتب الثلاث وأجلُّها وأعظمُها.

والمحسنُون أعلى درجة من المؤمنين، والمؤمنون أعلى درجة من المسلمين، وقال كثيرٌ من أهل العلم: «الإحسان أخصّ من الإيمان، والإيمان أخصّ من الإسلام».

وعلى كلٍّ؛ مرتبة الإحسان أعلى المراتب الثلاث وأجلها وأعظمها وأرْفعُها قدرًا ومنزِلة.

والمراد بالإحسان هنا: الإحسان في عبادة الله تعالى، وفي التَّمسُّك بدينِه وشرعه، إذْ أنَّ الإحسان الوارد في النُّصوص على ثلاثة أنواع:

- **النوع الأول**: الإحسان في عبادة الله عز وجل، وهو ما عرَّفه به النبي صلى الله عليه وسلم: («أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»).

- **النوع الثاني**: الإحسان في طاعة الرسول، ومُتابَعتِه عليه الصلاة والسلام، ولهذا لمَّا سُئِلَ الفضيلُ بن عِياض رحمه الله تعالى عن قوله: ﴿**أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ ما حُسْن العمل؟ قال: أَخْلَصُه وأَصْوَبُه، فهذا هو النوع الثاني، الإحسان في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي متابَعتِه.
- **النوع الثالث**: الإحسان إلى الخلق عمومًا، وذلك بِبَذْلِ النَّدَى، وكفِّ الأذى، وطلاقة الوجْه، هذا أحسن ما قِيلَ في الإحسان إلى الخلق.

وكلُّ هذه الأنواع قد أمرَ بها الشرع، ودعا إليها، وحثَّ عليها، فالمؤمن مأمورٌ بالإحسان في عبادة الله تعالى، ومأمور بالإحسان في طاعة الرسول واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومأْمورٌ بالإحسان إلى الخلق؛ كالإحسان إلى الأقارب، إلى الوالدَين، إلى الأولاد، إلى الإخوان، إلى الأزواج، إلى الجيران، إلى آخره، ولهذا قال عز وجل: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾، «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيُحْسِن إلى جاره»، فالمؤمن مأمور بالإتْيان بهذه الأنواع الثلاثة: الإحسان في عبادة الله، والإحسان في طاعة الرسول واتباعِه، والإحسان إلى الخلق.

وهذه المرتبة - كما سيذكر المؤلف يعني يذكر بعض أدلّتها - يعني أدلَّتُها كثيرة من الكتاب والسُّنة والإجماع، كما تقدَّم.

❖ **فمن أدلَّة الكتاب** هذه الآيات المذْكورة.

ومنها قوله عز وجل: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ [البقرة:١١٢].

وأيضًا قوله تعالى الآية التي فيها: ﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾ [الكهف:٣٠]، والآيات

كثيرات في ذلك.

❖ **والأحاديث منها:** حديث جبريل هذا عليه السلام.

❖ **وأمَّا الإجماع فالعلماء مجمعون** على أنَّ الإحسان من مراتب الدِّين، ومن أعلى مقامات الشريعة.

قوله: («رُكْنٌ وَاحِدٌ») أي لا ثاني له، كما أخبرَ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وكما عرَّفه بذلك.

قوله: («وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»).

قوله: («وهو») أي الإحسان في عبادة الله، فقوله: («وهو : ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللهَ﴾») **هذا شامل** لجميع أنواع العبادات: العبادة القولية، والعبادة العملية، والعبادة القلْبية، فالإحسان يشمل هذه الأنواع الثلاثة، والمؤمن مأمورٌ بالإحسان في عباداتِه القولية، وعباداتِه العملية، فهو مأمورٌ بذلك، ومُطالَبٌ بذلك.

قوله: («كَأَنَّكَ تَرَاهُ») أي تُحسن في عبادة الله عز وجل حتى تصل إلى مرتبة أنَّك تَرى الله عز وجل، وهذه المرتبة من أجلِّ المقامات، وأعظم المراتب عند الله تباركَ وتعالى، **والمقصود بذلك:** تعظيم الله جلَّ وعلا في العبادة والطَّاعة والمُبالغة في الإحسان فيها، وهكذا الذُّلّ والانكسار بين يدَي الله جلَّ وعلا كأنَّه يَراه، وليس المقصود أنَّه يتخيَّل صورة لله عز وجل في ذهْنِه، ليس المقصود في هذا الحديث أنَّ المصلي وأنَّ العابد يتخيَّل صورة وهيئةً في ذهْنِه لله عز وجل؛ فإنَّ هذا من المحرَّمات بلْ هو من كبائر الذنوب، وهو من التَّكْيِيف الذي نهى عنه

الشــرع، وأجمعَ السَّــلف على تحْريمه، فلا يُفهم من قوله: («كَأَنَّكَ تَرَاهُ») أنَّه يتخيَّل صــورة وهيئة في ذهْنِه لله عز وجل؛ لأنَّ ذلك من الأمور الغَيبية التي لا يعلمُ بحقيقتها إلَّا الله تباركَ وتعالى، فالله عز وجل أخبرَنا بذاتِه وأسـمائه وصـفاته ولم يخبرْنا بكيفيّة الأسـماء والصـفات والذَّات، فلا يُفهم من ذلك أنَّ الشـخص صـورة وهيئة في ذهْنِه، وإنَّما المقصـود أنَّ الشـخص يُعظِّم ربَّه تعالى ومعبوده في حال عبادتِه وطاعتِه لله جلَّ وعلا وكأنَّه يَراه، فيُثمر ذلك كمالَ الخشوع، وكمال الانقياد، وكمال الانكسار، وكمال الذُّل، وكمال الاسْتسلام، وهكذا.

قال: («فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ») هذا الذي يظهر قوله: («فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ») بيانٌ لحقيقة الأمر وللواقع، وهو أنَّ العابد لن يرى الله عز وجل مهْما بلغَ في إحسـانه بالعبادة؛ لأنَّ رُؤْيَة الله تعالى في الدنيا مُمْتَنعة، كما دلَّت على ذلك النُّصــوص من الكتاب والسُّــنة وإجماع سَــلَف الأُمَّة.

فقوله عليه الصلاة والسلام: («فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ») بيانٌ للواقع والحال، وهو أنَّ العبد لن يســتطيع رؤية الله تعالى في الدنيا، وأنَّ رؤية الله في الدنيا مُمْتنعة، لكن مع ذلك فهو يحثُّه على المبالغة في الإحســان في عبادة الله تباركَ وتعالى، وفي كمالِ الذُّل والخُضــوع والخُشــوع والخوف والخشْية له جلَّ وعلا.

وقوله: («فَإِنَّهُ يَرَاكَ») رؤية الله تعالى لعباده ثابتة، وأنَّه ســبحانه وتعالى يَرى جميعَ الخلائق كلها، وأنَّه لا يخفى عن رؤيتِه وعن بصــرِه شــيءٌ من الخلق بلْ هو ســبحانه وتعالى يَرهُم جميعًا، وأنَّ بصــره مُحيطٌ بجميع المَرْئيات، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّــنة والإجماع، فربُّنا جلَّ وعلا لا يخفى عليه شيءٌ من مخلوقاته من حيث تعلُّق ذلك بالرؤية والبصر.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى») يعني الدليل على أنَّ الإحســـان من مراتب الدين، وأنَّه من جُملة العبادات، وقد تقدَّم الكلامُ على أنَّ الدليل على أنَّ الإحســـان من أركان الإيمان، وأنَّه من جُملة مراتب الدين؛ الكتاب والسُّنة والإجماع.

قلْنا: وعادة المؤلف أنَّه يذكر بعض الأدلَّة من الكتاب أو السُّنة؛ لأنَّه قصدَ بذلك الاختصار.

والإحســـان في العبادة يشـــمل أمورًا أربعة، يعني متى يكون العبد مُحسِـــنًا في العبادة، أو متى يُحْكَمُ له بأنَّه أحسنَ في العبادة؟

يُحْكَمُ له بأنَّه أحسنَ في العبادة وأنَّه مُحسِنٌ فيها إذا أتى بأربعة أمور:

- **الأمر الأول**: الإخلاص لله تعالى فيها، الإخلاص لله في الصلاة، في الصيام، في الزكاة، في الحجِّ، في الجهاد، في قراءة القرآن، وحفْظ القرآن، وتعلُّم القرآن، الإخلاص في تعلُّم العلْم، وهكذا، فهذا الأمر الأول: الإخلاص لله تعالى في أيِّ عبادةٍ كانت؛ قولية، أو عملية، أو اعتقادية.
- **الأمر الثاني**: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.
- **الأمر الثالث**: المحافظة على أدائها، والقيام بها، والاهْتمام بشأْنِها، فإنَّ الذي لا يحافظ على العبادة وإن كان مُخلصًـــا أو متابعًا وهو غير محافظٍ عليها، ولا مهْتمّ بشـــأْنِها؛ فيَتهاون فيها أو يتساهل فيها، فإنَّه لا يكون مُحسِنًا في هذه العبادة لا سيّما إن كانت من العبادات الواجبة المفروضة الحتْمية.
- **الأمر الرابع**: أداؤها – أي: أداء العبادة – على الصفة المذْكورة في الشرع.

فإذا اشـــتملت العبادة على هذه الأمور الأربعة فإنَّ صـــاحبها فقد أحســـنَ فيها، فإذا أتَى بهذه

الأمور الأربعة فهو مُحسِنٌ إن شاء الله تعالى، فلا يكون العبدُ مُحسِنًا في عبادةٍ من العبادات إلَّا إذا أتَى بهذه الأمور الأربعة المذْكورة.

قوله: («﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾»).

مناسبة هذه الآية: هي دلالتها على أنَّ الإحسان من جُملة العبادات ومن جُملة مراتب الدين.

وقوله تعالى: («﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾»).

مناسبة ذكْر هذه الآية: دلالتها على رؤية الله عز وجل للعابد، فهذه الآية تفسيرٌ للإحسان الذي ذكره المؤلف في قوله .. وهو مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، فدلَّت هذه الآية على أنَّ الله عز وجل يَرى العبدَ في حال عبادته وفي حال قيامه لأدائها، والقيام بها.

ولا شكَّ أنَّ الله عز وجل يَرى جميع العباد في جميع أحوالهم وصفاتهم.

(«وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾») الآية.

مناسبة ذكْر هذه الآية: دلالتها على أنَّ الله عز وجل مطَّلِعٌ على العبدِ وأعماله، وأنَّه يَرى العبد ويَرى أعماله التي يعملها ويقوم بها، وهذا المعنى من معاني الإحسان إذا اسْتحضرَه العابدُ، اسْتحضَرَ أنَّ الله يَراه، وأنَّ الله تعالى مطَّلِعٌ على عملِه، ومطَّلِعٌ على جميع أفعاله وأقواله، فيحملُه ذلك على الإحسان في العبادة أداءً وصفةً وإخلاصًا ومتابعةً للنبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كلٍّ؛ هذه المرتبة هي مرتبة المُقرَّبين من عبادِ الله عز وجل، وأوليائه الصالحين، فنحنُ

- الله أعلم - بأحوالِنا، فالشخص قد يدخل في العبادة لكنَّه لا يكون مُحسِنًا فيها بلْ قد يكون مُسيئًا فيها، فقد يدخل الشخص في الصلاة ولا يخشع ولا يسْتحضر عظمَة الرَّب، ولربَّما لا يدري بما قرأه الإمام في الصلاة، أو بأقوال الإمام وحركات الإمام ما يشعر إلَّا بالتسْليم، فهذه المرتبة مرتبةٌ عظيمةٌ، ينبغي لنا جميعًا أن نجاهدَ أنفسنا عليها، وأن نجاهد أنفسنا على الإحسان في عبادة الله تباركَ وتعالى.

المؤمن قد يؤدِّي العبادات التي افْترضَها الله عليه، وأمرَهُ الله بها ولكنَّه لا يكون مُحسنًا فيها، سواء كان ذلك متعلِّقٌ بالصلاة، أو متعلِّقٌ بالصيام، أو متعلِّقٌ بالحجِّ، أو متعلِّقٌ بطلَب العلم، أو متعلِّقٌ بالدعوة إلى الله تباركَ وتعالى، فينبغي للعبد أن يسْتحضرَ هذا الأمر وأن يجاهدَ نفسَه؛ ليصل هذه المرتبة وهي مرتبة الإحسان، فهي مرتبة عَزيزة، لا يُوفَّق إليها ولا يُعان عليها إلَّا مَن وفَّقه الله، وأرادَ الله له الخير، والسَّداد، والرِّفْعَة في الدنيا والآخرة، فهذه المرتبة مرتبةٌ عظيمةٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يُزكِّيَ نفسه أنَّه قد وصلها، أو أنَّه أحسنَ في العبادة، لكن مع ذلك يجب علينا جميعًا أن نجاهدَ أنفسنا، فينبغي للعبدِ أن يكون مُحسنًا في العبادة لا مُسيئًا، ينبغي لنا أن نكون مُحْسِنين في العبادة مُحسنينَ في العبادة لا مُسيئين، سواء قلنا مِمَّا يتعلَّق بالعبادات القولية أو العملية أو الاعْتقادية، فالشخص ينظر إلى نفسه في حالِه في الصلاة، فينظر؛ هل هو مُحسنٌ أم لا، فإن كان مُحسنًا فإن شاء الله أنَّه سيُحسِنُ في بقيّة العبادات، وإن كان مُسيئًا فقد لا يُحسِنُ في بقيّة العبادات، فينبغي للشخص أن يُجاهدَ نفسه على تحقيق هذه المرتبة العظيمة، (أن يعبدَ الله عز وجل كأنَّه يَراهُ، فإن لم يَكن يَراهُ فإنَّه يَراه) فهذه مرتبة عظيمة، ما أحْوجَ المسلم إلى أنَّه يجاهد نفسه على تحقيقها، والقيام بها، والعمل بها، قلْنا:

وهذه مرتبة المقرَّبين من عبادِ الله عز وجل.

قال المؤلف رحمه الله: («**وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّــنَّةِ**») أي الدليل على هذه المراتب الثلاث: مرتبة الإســلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحســان، فهو ذكرَ الأدلَّة من القرآن ثمَّ ذكر هذا الحديث على هذه المراتب الثلاث.

قوله: («**حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ**») وهو حديث عمر رضي الله عنه، من رواية ابنِه عبد الله.

وهذا الحديث قد جاء عن جمْعٍ من الصــحابة؛ جاء عن عمرَ رواه مســلم، وتفرَّد به عن البخاري، وجاء عن أبي هريرة، واتَّفق عليها الشــيخان، وهو مقاربٌ للَفْظ حديث عمر، وكذلك جاء هذا الحديث عن ابن عباس عند أحمد، وهو قابلٌ للتحْســين، وكذلك جاء عن أبي مالك الأشــعري عند أحمد، وجاء عن أنس عند البَزَّار وغيره، وفي هذين الحديثَين الأخيرين ضْعفٌ.

على كلٍّ هذا الحديث قد جاء عن هؤلاء الصــحابة: عن عمرَ، وعم أبي هريرة، وعن ابن عباس، وعن أبي مالك الأشــعري، وعن أنس بن مالك، رضــي الله تعالى عنهم جميعًا بألْفاظٍ متقاربة.

هذا الحديث يُعتبرُ أصــلًا من أصــول الدِّين، وقاعدة من قواعد العلْم، إذْ أنَّه اشــتمل على مُهمَّات العبادات، وعلى مُهمَّات هذا الدِّين، اشــتمل على الإســلام وأركانه، واشــتمل على الإيمان وأركانه، واشتملَ على الإحسان ورُكْنِه، فهو حديثٌ عظيمٌ.

قال القُرطبي رحمه الله: «هذا الحديث يَسْتحقُّ أن يُقالَ له: أُمُّ السُّـنة» باعتبار أنَّه اشـتملَ على مُهمَّات العبادات.

وقال النَّوَوي رحمه الله تعالى: «هذا الحديث أصلٌ من أصول الإسلام» وكلام أهل العلم فيه كثير.

وخلاصــة القول: أنَّه حديث عظيم، وحديث جليلُ القدْر، وعظيم النَّفْع، مَن عمل به نجى وسَعُدَ بإذْن الله تباركَ وتعالى.

قال: («حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ») نُسِبَ إلى جبريل باعْتبار أنَّه هو السائل، وإلَّا فهو من حديثِ عمر، رواه عنْه عبدُ الله ولده.

قال: («عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ») وظاهر هذه الجملة أنَّ هذا الجلوس كان في النهار، وكان هذا المجلس كان خارج المسجد مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في بعض ألْفاظ حديث أبي هريرة: أنضّ النبي صلى الله عليه وسلم «كان بارزًا لهم» يعني: كان ظاهرًا وخارجًا عن المسجد. والله أعلم.

قال: («إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ»).

قوله: («إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ») هو مَلَكٌ، هو جبريل عليه السلام، لكنَّه جاء في صورة رجل، والله عز وجل قد مكَّن جبريل وغيره من الملائكة بأن يكونوا في هيئة وصورة الرجال، والأدلَّة كثيرة.

قوله: («شَـدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ») أي بمعنى لا وسـخَ فيها ولا دَنَس بلْ هي في غاية من البياض والنَّصَاعَة.

قوله: («شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ») هل المقصود بسوادِ الشعر شعرُ الرأس، أو شعر اللِّحْية؟

الأظهر أنَّه شعرُ اللِّحْية؛ لأنَّ الغالب أنَّ شعر الرأس يكون مسْتورًا، ولكن قد يظهر منه شيء،

ولا يُمنع أن يُحملَ ذلك على شعر اللِّحْية وشعر الرأس.

وقوله: («شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ») أي أنَّه لا غبار فيه ولا قَذرَ فيه؛ لأنَّ من عادة المسافر أن يعْلَقَ في شعره شيءٌ من الغبار، وشيء من آثار الغبار وآثار السفر، وهكذا، ومعنى ذلك: أنَّه لا غبار على هذا الشعر بلْ هو في غاية من السَّواد، وفي غاية من حُسْن المنظر.

قال: («لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ»).

الأصل أنَّ المسافر يُرَى عليه أثر السفر؛ من التَّعب، والإعْياء، والإرْهَاق، والجوع، والعطش، وهكذا اتّساخ الثياب، وتفرّق الشعر، الغالب على المسافر لا سيّما في تلك الأعصار أنَّه يُرَى عليه هذه الأمور؛ التَّعب، والإعْياء، واتّساخ الثياب، وتفرّق الشعر.

فقوله: («لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ») يعني لا يُرَى عليه شيءٌ من هذه الأمور، لا يُرَى عليه شيءٌ الإعْياء والتَّعب وكذلك الدَّنَس والإرْهاق والجوع، وإنَّما يعني كأنَّه حاضرٌ بين أيديهم.

قوله: («وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ») أي من الصحابة، وهو أيضًا قد يدخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقول عمر: («وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ») يُحتمل أنَّه أراد جميع الحاضرين مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويُحتملُ أنَّه أراد الحاضرين سوى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: («فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ») يعني جبريل عليه السلام («وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ») إلى آخر الحديث، ذكر الأركان الخمسة («قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ»).

سببُ تعجُّب الصحابة رضي الله عنهم أمران اثنان:

- **الأمر الأول**: أنَّه كيف يسألُه ويُصدِّقُه في نفس الوقت، وقد جرَتِ العادةُ على أنَّ السائل يجهل ما سـأَلَ عنه، فهذا يدلُّ على أنَّه كان عالمًا بذلك عندما قال: «صَـدَقْتَ» فهذا الأمر الأول: أنَّهم تعجَّبُوا من سؤاله وتصْديقِه، وتصْديقُه له يدلُّ على أنه عالمٌ بذلك.
- **الأمر الثاني**: أنَّ هذه الأمور التي أخبرَ بها النبي صلى الله عليه وسلم لا تُعرف ولا تُعلم إلَّا عن طريق الوحْي عن طريق الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، فكيفَ عَلِمَهَا هذا السائل، ولا نعلمُه جالسَ النبي، أو مكثَ عنده، أو سأَلَه قبل ذلك، فتعجُّب الصحابة رضي الله عنهم لهذين الأمرين:

الأمر الأول: الجمْع بين السؤال والتصْديق، دلَّ ذلك على أنَّه كان عالمًا به.

الأمر الثاني: أنَّ هذه الأشياء لا تُعلم إلَّا عن طريق الوحي، فكيف عَلِمَ بها، وهذا يدلُّ على أنَّ عِلْمه بها كان على اطِّلاع سابق، وجبريل عليه السلام لا شكَّ أنَّه النازل بالوحي من عندِ الله تباركَ وتعالى.

(«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ»») فأخبره بأركان الإيمان («قَالَ: صَـدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ») وهذا هو وجْهُ الشاهد في المرتبة الأخيرة («قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ») المقصود بالساعة: يوم القيامة.

والسؤال عنها أي: السؤال عن قيامِها ووقوعِها وحصولِها.

(«قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»») يعني النبي صلى الله عليه وسلم ليس بأعْلَم ممَّن سأل («قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»») الأَمَةُ المقصود بها: الرَّقِيقة من

الجواري أي من الإناث، وقوله: («أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا») اختلف أهلُ العلم في تفسير هذه الجملة.

ومن أحسن ما قِيلَ في ذلك: أنَّ الإماء في آخر الزمان تكثر عند العرب فتَلِد الأَمَة مالكتَها وسيدتَها، فهذه المولودة مع تأخُّر الزمان تكون سيّدة ومالكة لهذه الأمّ التي ولَدَتْها.

الدرس الثالث عشر

قال المُصنف رحمه الله:

الأَصْـــلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِـــمٍ، وَهَاشِـــمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْـــمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: («الأَصْـــلُ الثَّالِثُ») أي: من الأصـــولِ الثلاثة التي ذكرَهَا في أوَّل الكتاب (معرفة الله ﷻ، ومعرفة الدِّين، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم).

فالمؤلِّف رحمه الله تعالى لمَّا فَرَغَ من ذكْر الأصل الثاني، وذكْرِ الأصل الأول، الأصل الأول المتعلِّق بمعرفة الله ﷻ، والأصـــل الثاني المتعلِّق بمعرفة الدِّين، والأصـــل الثالث المتعلِّق بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم؛ شرع في ذكْر بعض أحْكامِه، وبيان بعْضِ مسائلِه، وذكرْنا في الدروس المُتَقدِّمَة أنَّ معرفة النبي صـــلى الله عليه وســـلم واجبة على كلِّ مســـلم مكلَّف، ومسْـــلمة مُكلَّفة، والنُّصـــوص الدَّالة على وجوبِ معرفة النبي صـــلى الله عليه وســـلم: هي الكتاب، والسُّـــنَّة والإجماع، فمعرفة نبيّنا صـــلى الله عليه وســـلم بدلالة الكتاب والسُّـــنَّة والإجماع، وذكرْنا أنَّ معرفة النبي صلى الله عليه وسلم على مرْتبتَين:

- **المرتبة الأُولى**: المعرفة الإجمالية العامَّة.
- **المرتبة الثانية**: المعرفة التفْصيلية.

فالمرتبة الأُولى: معرفة النبي صلى الله عليه وسلم على جهةِ الإجمال والعُموم كمعرفةِ نُبُوَّته، ومعْرفة رسالتِه على جهة العموم والشُّمول، وأنَّه رسولٌ من عندِ الله، وأنَّ ما جاء به حقّ، وأنَّه صادقٌ فيما دَعَا إليهِ، وأنَّه بشرٌ، إلى آخره على جهة الإجمال دون التَّعَرُّضِ إلى فُروع المسائل ودقائق المسائل، ودون التَّعَرُّضِ لذكْر أدلَّة هذه المسائل وهذه الأحكام، فهذه المعرفة هي المعرفة الواجبة، المعرفة الإجمالية.

والمرتبة الثانية: المعرفة التفْصيلية التي تشْمل معرفة كلّ ما يتعلَّق بالنبي صلى الله عليه وسلم، مِمَّا هو متعلِّقٌ بنبوَّتِه، ورسالتِه،

ومِمَّا متعلِّقٌ بحياتِه، وسيرتِه، وغزَواتِه، ومِمَّا متعلِّقٌ بأخْلاقِه، ومِمَّا متعلِّقٌ بأزْواجِه، وذُرِّيَّتِه، ونَسَبِه، إلى غير ذلك، هذه المعرفة التفْصيلية معرفتُها تكون على جهةِ الاسْتحباب لا على جهة الوجوب، فلا يجب على كلِّ شخصٍ أن يعرف ذلك، وإنَّما هذه المعرفة تكون مستحبَّة، فمعرفة النبي عليه الصلاة والسلام على هاتَين المرتبتَين المذْكورتَين.

ومن خلال هاتَين المرتبتَين نعرفُ أنَّ معرفةَ النبي صلى الله عليه وسلم تشملُ أمورًا كثيرة:

منها: معرفة نُبُوَّتِه ورسالتِه، وأنَّه صلى الله عليه وسلم نبيٌّ ورسولٌ من عند الله ﷻ، أرسَلَهُ الله جلَّ وعلا للبَلاغِ والنَّذَارة.

ومنها: معرفة ما جاءَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم من الأحكام والشرائع.

ومنها: معرفة حياتِه العلْمية والعَمَلِية.

ومنها: معرفة سيرتِه، ومعرفة غزَواتِه، وكذلك أحْوالِه في الجهاد وقِتال الكفَّار.

ومنها: معرفة ما يتعلَّق بنسبِه، وذُرّيتِه، وأزْواجِه.

ومنها: ما يتعلَّق بمعرفة وقت وُلادتِه، وبعْثتِه، وهجرَته.

ومنها كذلك ما يتعلَّق بمعرفة أصْحابه، ومعرفة مَن سابقَ إلى الإسلام منْهم، ومَن ناصرَه منهم، وكذلك مَن هاجرَ معه، إلى آخره.

فكلُّ هذه الأمور داخلة تحتَ هذا الأصل الثالث: وهو معرفة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم.

والمؤلِّف رحمه الله تعالى قدْ بدأَ بذكْر النسب؛ نسب النبي عليه الصلاة والسلام.

فقوله: («مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ») اتَّفقَ العلماءُ على أنَّ نسبَ نبيّنا صلى الله عليه وسلم ينتهِي إلى إسماعيلَ عليه السلام، لكن اختلفُوا في آخر النسب من حيث العَدد، ومن حيث الأسْماء، واتَّفقُوا على أول النسب، فالعلماء متَّفِقُون على النسب الآتي، وهو: [محمد، بن عبد الله، بن عبد المطَّلِب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصي، بن كلاب، بن مُرَّة، بن كعْب، بن لُؤَي، بن غالب، بن فهْر، بن مالك، بن النضْر، بن كِنَانَة، بن خُزيمة، بن مُدْرِكَة، بن إلْياس، بن مُضر، بن نِزار، بن معْد، بن عدنان] إلى هنا أجمعَ العلماءُ على صِحَّة هذا النَّسب؛ إلى عدنان، وأجمعوا على أنَّ عدنان من نسْلِ إسماعيلَ عليه السلام، وما بعْد عدنان فقد اختلف العلماءُ في ذلكَ، وليس هناكَ دليلٌ صحيحٌ، ودليلٌ مُعتبَرٌ يُوضِّحُ صحَّة النسب إلى إسماعيل عليه السلام، قلْنا بعد أن اتَّفقَ العلماءُ على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ينتهي نسبُه إلى إسماعيلَ بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقد حَكَى الإجماع على صحَّة هذا النسب غيرُ واحدٍ من أهْل العلم؛ كابنِ عبد البَرِّ،

والـذَّهَبي، وابن كثير، والنَّوَوَي، وابن القيم، وغيرُ هؤلاء، كـلُّ هؤلاء حَكوا الإجماع على صحَّة النسب إلى عدنان، وحَكوا الخلاف فيما بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السلام.

قوله: («وَهُوَ مُحَمَّدٌ») هذا هو أشهر أسماء نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وقد سُمِّيَ بذلك؛ لكثْرَةِ خِصَاله المحْمودة التي يُحمدُ عليها، الخِصال الطَّيبة المبارَكة مِمَّا هو متعلِّقٌ بصفاته الخلْقية والخُلُقِية، فسُمِّيَ بـــ«محمد» لأجل ذلك، فمُحمد هو الشخص المحْمود الذي يحْمدُه غيرُه على كثْرة خِصاله المحْمودة، وهذا لا يكون إلَّا في النبي صلى الله عليه وسلم.

أمَّا مَن سُـــمِّيَ بهذا الاســـم فلا يُقالُ فيه ذلك، وإنَّما يكون عَلَمًا مَحْضًـــا جامدًا، لا يدلُّ على شيء، وقد تكون فيه صفات حَميدة، وقد لا توجد فيه الصفات الحَميدة.

قلْنا: هذا الاسْـم هو من أشـهر أسـماء النبي صـلى الله عليه وسـلم، وقد ذُكِرَ في مواضـعَ من القرآن الكريم، وأسْـماء النبي عليه الصـلاة والسـلام كثيرة، وقد جاء في «الصَّـحيحين»: عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الحَاشِرُ، وَأَنَا العَاقِبُ، وَأَنَا المَاحِي»، وجاء عنه أنَّه قال: «وَأَنَا نَبِيُّ التَّوْبَة، وَنَبِيُّ الرَّحْمَة».

فأسْـــماءُ النبي صـــلى الله عليه وســـلم كثيرة، لكن لا تَصـــل إلى الحدِّ الذي ذكرَه بعضُ غُلاة المُتصوِّفة أنَّ أسماءَه تصل إلى تسْعة وتسْعين اسْمًا كأسْماء الله ﷻ، وبعضهم يقول: إلى ألْف اســـم، أو إلى أكثر، أو إلى أقلّ، فهذه من المُبالغة والمُجاوَزَة في الحدِّ، نعم أوْصَـــافُه أكثر من أسمائِه صلى الله عليه وسلم.

فمن أوْصافِه «النَّذير» ولا يُقال أن من أسمائه المُنذر، ومن أوْصَافِه «البَشير» ولا يُقال إنَّ من أسـمائِه البشـير، وبعض أهل العلم يَرى أنَّ «البشـير والنَّذير» من أسـماء النبي صـلى الله عليه

وسلم.

فعَلَى كُلٍّ؛ أسماؤُه كثيرة، وأشْهر هذه الأسماء ما دلَّ عليها حديث جُبير بن مُطعِم رضي الله عنه: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الحَاشِرُ، وَأَنَا العَاقِبُ، وَأَنَا المَاحِي**».

وجاء في حديث آخر: «**أَنَا نَبِيُّ التَّوْبَة، وَنَبِيُّ الرَّحْمَة، وَنَبِيُّ المَلْحَمَة**».

قوله: («بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ») عبد المطلب هو جَدُّ النبي صلى الله عليه وسلم، واسْمه: شَيبَة، وقِيلَ: شَيبة الحمْد، قالوا: سُمِّيَ بذلك لجودِه وكَرَمِه، واجْتماع قُريش عليه.

وسُمِّيَ بــ«عبد المطلب» قال المُؤَرِّخُون: «إنَّما سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ عمَّه المطلب قَدِمَ به وهو حاملٌ له، ويُرَى عليه التَّعب، ويُرَى عليه كذلك المَشَقَّة من أثر السَّفر فقالوا: هذا عبد المطلب، فلُقِّبَ بذلك» هكذا قال المُؤَرِّخُون، والله أعلم بحقيقة الحال، إلَّا أنَّهم - أي عامَّة أهل العلم - يقولون: إن اسم عبد المطلب شَيبة، أو شَيبة الحمْد.

وقوله: («بْنِ هَاشِمٍ») هاشم اسْمُه: عمْرو، قالوا: سُمِّيَ بــ«هاشم» لِهَشْمِه اللَّحم والثَّرِيد على والخُبز، وتقْدِيمِه لقُريش في أيام الجوع والفَاقَة، فلقَّبُوه بذلك - والله أعلم - وإلَّا فاسْمُه «عمْرو».

قال: («وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ»).

اسْمه: هاشم ابن عبد مَناف.

قال: («وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ»).

قريش هي القبيلة المعروفة، وهي نُسِبَتْ إلى هذا الشخص، وقُريش اسْمُه: «النَّضْر بن كِنَانَة»، هذا عند أكثر المُؤَرِّخين، وإلَّا فقِيلَ اسْمُه: فِهْر بن مالك والأكثر على أنَّ قريش هو لَقَبٌ للنَّظر

ابن كِنانَة.

والنَّظر ابن كِنانَة هو الجَدُّ الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال: («وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ») وهذا لا خلاف فيه: أنَّ قريشًا من العرب يعني قَبيلة قريش، فقُريش عَلَمٌ على الشخص المفْقور، قريش الأُوْلَى عَلَمٌ على النَّضْر أو لَقَبٌ للنَّضْر ابن كِنانَة، وقريش الثانية المراد بها **القَبيلة**.

قال: («وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ») قلْنا: وهذا لا خلاف فيه.

قال: («وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ»).

قوله: («وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ») المراد بالعرَب هنا: العرب المُسْتعرِبة، وإلَّا فالإطلاق هذا فيه نَظَرٌ، إلَّا أنَّنا نحملُ كلامَ المؤلِّف على أنَّ المقصود بالعرب: العرب المُسْتعرِبة؛ لأنَّ العرب قسْمان:

- **القسم الأول**: العرب العَارِبة، وهُم أصلُ العرب، ويُسَمّون بـ«القَحْطانيين»، وهؤلاء ينتهي نسبُهم إلى سبأ بن يَشْجب، بن يَعْرُب، بن قحْطان، وينتهي نسبُهم أيضًا إلى نبيِّ الله هود عليه الصلاة والسلام. هكذا ذكرَ المُؤَرِّخُون، فالعرب العَارِبة هم هؤلاء.
- **القسم الثاني**: العرب المُسْتعرِبة، ويُسَمّون بـ«العَدنانيين» وهؤلاء ينتهي نسبُهم إلى إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام، ومنهم نبيّنا صلى الله عليه وسلم.

قال: والعرب المُسْتعرِبة الأصل أنَّهم ليسوا من العرب، ولكن فُتِقَ لسانُهم باللّسان العربي، فصاروا عرَبًا.

إذًا قوله: («وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ») المراد بالعرب هنا: العرب المُسْتعرِبة، الذين يُقال لهم

«العدنانيون»، والعرب العاربة يُقال لهم «القحْطانيون»، فإذًا قوله: («وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ») المقصود بالعرب في كلام المؤلف: العرب المُسْتعرِبة.

وإسماعيلُ عليه السلام تعلَّم لُغَة العرب من قَبيلة جُرْهُم، وهي قبيلة يمنية، وهذا لا خلاف فيه.

الدرس الرابع عشر

قال المُصنف رحمه الله:

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا وَرَسُولًا.

نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾.

وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

[سورة المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.



قال الشّارح وفّقه الله:

قوله المؤلف: («وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً») أي أنَّه صلى الله عليه وسلم عُمِّرَ ثلاثٌ وسِتُّون عامًا، وهذا لا خلاف فيه عند عامَّة العلماء؛ أنَّه صلى الله عليه وسلم عُمِّرَ ثلاثٌ وسِتُّون عامًا، وقد دلَّ على ذلك ما رواه البخاري ومسلم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

«**تُوُفِّيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً**» وجاء ذلك عن أنس عند مسلم، وجاء عن غير عائشة وأنس رضي الله تعالى عنهُما جميعًا.

فالنبي صلى الله عليه وسلم «تُوفِّيَ عن ثلاثٍ وستّين عامً» قلْنا: وهذا لا خلاف فيه عند عامَّة العلماء.

وبالنسبة لمَولِدِه صلى الله عليه وسلم، العام الذي وُلِدَ فيه، **وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل**، وهذا قول أكْثر العلماء، وأكْثر المُؤَرِّخِين وأهل السِّيرة، وبعضهم قال بخلاف ذلك، **والرَّاجِحُ**: أنَّه وُلِدَ في عام الفيل.

وبالنسبة للشهر الذي وُلِدَ فيه، فقد وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم في [شهر ربيع الأول] وهذا أيضًا هو قول الأكْثَرين، قول الجمهور من العلماء، وأهل السِّيَر، والمُؤَرِّخين، وحُكِيَ إجماعًا، كما أنَّ المسألة الأُولَى حُكِيَ فيها الإجماع، ولكن الإجماع غير واقع؛ لوجود الخلاف في ذلك، أو غير متَحقِّق.

فمولدُه صلى الله عليه وسلم في [شهر ربيع الأول] عند أكثر العلماء، وقِيلَ: إنَّه وُلِدَ في رجب، وقِيلَ: في رمضان، والصواب ما ذهبَ إليه الجمهور.

ثالثًا: اليوم الذي وُلِدَ فيه، وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم في [يوم الاثنين] وهذا لا خلاف فيه عند عامَّة العلماء.

وقد روى مسلمٌ في صحيحِه، عن أبي قتادةَ: أنَّه عليه الصلاة والسلام سُئِلَ عن صوم يوم الاثنين؟ قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَبُعِثْتُ فِيهِ**» فمولدُه عليه الصلاة والسلام كان يوم الاثنين، وهذا قلْنا: لا خلاف فيه، فالعلماء مُجمعون على أن مولده كان في يوم الاثنين.

رابعًا: مكان ولادته عليه الصلاة والسلام، وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم في مكةَ اتفاقًا عند عامَّة العلماء.

قال رحمه الله: («وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً») تقدَّم الكلامُ على هذا.

قال: («مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ») أي من هذه الثلاث والسِّتين السَّنة.

ومعنى هذا: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بُعِثَ على رأسِ أربعينَ عامًا، وقد دلَّ على ذلك: ما رواه الشيخان عن أنس، وعن ابن عباس، وجاء عن غيرهما؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُنزِلَ عليه وهو ابنُ أربعينَ عامًا، وهذا هو قول أكثر العلماء: أنَّه صلى الله عليه وسلم بُعِثَ وله من العُمر «أربعون عامًا»، فهذا هو القول الأكثر، وحُكِيَ إجماعًا، لكن إجماعًا غير متَحقِّقٍ.

قال: («وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا وَرَسُولًا») أي من الثلاث والسِّتين السَّنة أربعون قبل النُّبوّة، قبل بعْثِه، ثمَّ بعد ذلك ثلاث وعشرون عامًا («نبيًا وَرَسُولًا»)، فبِقِيَ في مكَةَ - كما سيأتي - ثلاثة عشر عامًا، وهذا قول جمهور أهل العلم، ومن أهل العلم مَن يقول: أنَّه بقِيَ عشر سنوات، والصواب هو الأول.

وأمَّا بقاؤُه في المدينة فعشْر سَنوات اتّفاقًا عند عامَّة العلماء، فالمجموع «ثلاث وعشرون عامًا».

وقوله: («نبيًا وَرَسُولًا») أي أنَّه صلى الله عليه وسلم جمعَ بين النُّبوّة والرسالة، فهو نبيٌّ ورسول، وهذا أمرٌ مُجمَعٌ عليه، ولا خلاف فيه عند عامَّة العلماء أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم جمعَ بين النُّبوّة والرسالة.

قوله: («نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأ﴾») أي صار نبيًّا بسورة (اقْرَأ)، والمقصود بذلك الخمس الآيات الأُولى منها: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق:١-٥].

ونُبِّئَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو في «غار حِراء»، كما جاء ذلك في «الصحيحين»: عن عائشةَ رضي الله عنها؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحَنَّثُ في غار حِراء، ويخلوا اللَّيالِي المُتَتَابِعَة يَعبد الله، فجاءَه جبريل عليه السلام، إلى هذا الغار، فَقَالَ لَه: يا محمد، اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قال: اقْرَأْ، - ثلاث مرات - (ثم قال له: ﴿﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾﴾ [سورة العلق:١-٥])

فجاءه الوحْيُ أولًا وهو في هذا الغار، في غار حِراء، فنُبِّئَ بهذه الخمس الآيات المذْكورة من سورة (اقْرَأْ) أو من سورة العلَق.

قال: («وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾») أي صار رسولًا بسورة «المُدَّثِر»، والمراد بذلك الخمس الآيات الأُوْلَى في أوّل السورة: ﴿﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾﴾ [سورة المدثر:١-٥].

فأُرْسِلَ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الخمس الآيات.

وكيفية إرْسَالِه هو ما قد وضَّحَهُ حديثُ جابر بن عبد الله في «الصحيحين»، وهو أنَّ النبي

صلى الله عليه وسلم كان في غار حِراء بعد أن انقطعَ الوحيُ في المرَّة الأُولى، فلمَّا خرجَ من الغار رأى جبريل عليه السلام وهو جالسٌ على كُرسي بين السماء والأرض، فأخَذَتْهُ رجْفَةٌ شديدة، ورِعْدَةٌ شديدة، فذهب إلى خديجةَ رضي الله عنها، فقال: «**دَثِّرُوني دَثِّرُوني**»، فأنزلَ الله ﷻ هذه الخمس الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾، فكان الإِرْسال بعد الوحي الأول، وبعد أن صارَ نبيًّا عليه الصلاة والسلام، كما قال ذلكَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم، فهو نُبِّئَ أولًا بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وانقطعَ الوحيُ فتْرةً زَمنيّة ثمَّ بعد ذلك رأَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم جبريل جالسًا على كُرسي بين السماء والأرض، فخافَ خوفًا شديدًا؛ وأخَذتْهُ رجْفَةٌ شديدة، فذهب إلى خديجةَ وقال هذا: «**دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي**» فأنزلَ الله هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢...﴾ الآيات. إذًا كان الإرسَال بعد أن أُوْحِيَ إليه بالنُّبوَّة.

وأوّل ما أُوحِيَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو اليوم الذي أُوحِيَ إليه فيه، وبُعِثَ فيه في [يوم الاثنين] اتّفاقًا؛ وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُئِلَ عن سؤال يوم الاثنين فقال: «فِيهِ وُلِدتُ وَفِيهِ بُعِثْتُ» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، قلْنا: وهذا عليه عامَّة العلماء، وحُكِيَ الإجماع على ذلك: أنَّه بُعِثَ في يوم الاثنين.

وأمَّا الشـــهرُ الذي بُعِثَ فيه فقد اختلفَ أهلُ العلمِ في ذلك، وقد حَكَى غير واحدٍ من أهل العلم: أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بُعِثَ في شهر رمضانَ، ونقلَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم أنَّ هذا القول هو قول الأكثر، قول جمهور العلماء، وهو الأظهر - والله أعلم والصواب -.

وقِيلَ: إنَّه بُعِثَ في شـــهر ربيعٍ الأول، لكن ظَواهِر الأدلَّة لمن تأمَّلَها وتدَبَّرَها وتفكَّر في مدْلولاتِها ومعَانِيها يجدُ أنَّ القول بأنَّه بُعِثَ في رمضـــانَ هو القول الصـــواب، وهو القول

الصحيح.

قال: («وَبَلَدُهُ مَكَّةُ») يعني مَولِدًا ونشْأَةً، فوُلِدَ في مكةَ، ونشأَ في مكةَ، وهذا لا خلاف فيه عند عامَّة العلماء، وكذلك بُعِثَ في مكةَ - كما تقدَّم - اتفاقًا.

وفي بعض النُّسخ: «وهاجرَ إلى المدينة».

قال: («بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ»).

النَّذارة: هي الإبلاغ معَ تخْويفٍ وتحْذير.

وهذا مأْخوذٌ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾ [سورة الأحزاب:٤٥].

قال: («بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ») الشرك هو أعظم المعاصي والمُوبِقَات، أعْظم الذنوب على الإطلاق، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة.

وقوله: («وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ») إلى توحيد العبادة، وإلى توحيد الرُّبوبيَّة، وإلى توحيد الأسماء والصفات، والتوحيد هو أعظمُ الواجبات، وأعظم العبادات على الإطلاق، كما أنَّ الشرك أعظم الذنوب والمُوبِقَات والمُنكرَات، وهذا هو حقيقة معنى (لا إله إلَّا الله) النفْي والإثبات، إثْبات الوَحْدَانية لله، ونفْي الإلهيَّة عن غير الله تباركَ وتعالى.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [سورة المدثر:١-٧]»).

مناسبَة ذكْر هذه الآية: هي دلالتُها على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعثَه الله ﷻ للنَّذَارة والدعْوة إلى التوحيد، النَّذَارة عن الشرك، والتحْذير من الشرك، والدعوة إلى إفْراد الله

تباركَ وتعالى في العبادة والطَّاعة، وإفرادِه في الرُّبوبيَّة، وإفْرادِه في كمالِ الأسماء والصفات، هذه هي مناسبة ذكْر هذه الآيات في هذا الموضع.

وهذه الآيات هي الآيات التي أُرْسِلَ بها النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: («وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ») قلْن: لأنَّ الشرك أعظم الذنوب، والتوحيد أعظم الواجبات والعبادات.

قال: («﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ») وأيضًا التعْظيم يشْملُ العبادةَ كلَّها، عَظِّمْه بالتوحيد وعَظِّمْه بالعبادة كلّها، **والمعنى**: أي خُصَّ ربَّك بالتعظيم والتوحيد والعبادة، فلا تعبد إلَّا الله، ولا تُعظِّم إلَّا الله التعظيم الكامل، ولا تَتَقَرَّب إلَّا إلى الله تباركَ وتعالى، فأمرَه الله ﷻ أن يُفرِدَه بجميعِ أنواع التعظيم، التعظيم في التوحيد، والتعظيم في العبادة، والتعظيم في كلِّ ما يسْتحقُّه الربُّ ﷻ من كمالِ الأسماء والصفات.

قال: («﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ»).

فسَّر المؤلف رحمه الله الطَّهارة في الآية بأنَّ المقصود بها «طَهارة الأعمال من الشرك، والتَّنديد، و عبادة غير الله تباركَ وتعالى»، وهذا التفسير في الحقيقة هو خِلاف ظَاهر النَّص، وقد قال به بعضُ المفسِّرين، وهو أحدُ الأقوال في تفسير هذه الآية، والقول الآخر في معنى هذه الآية وهي قوله تعالى: («﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾») على ظاهرِها أي: طَهِّرْ ثيابَك التي تلْبسُها وتسْتَتِر بها طَهِّرْهَا من النَّجاسات والقَاذورات الحِسِّية، وهذا هو الأظهر، وهو الذي رجَّحَهُ غيرُ واحدٍ من أهل التفسير؛ أنَّ المقصود بذلك: الثياب المعروفة التي يلْبسها الشخص ويَسْتَتِر بها، فهو مأمورٌ بطَهارَتِها من النَّجاسات الحِسِّية، بطَهارَتِها إمَّا بالماء، أو بغير ذلك من

المُطَهِّرَات، فظاهر الآية يدلُّ على أنَّ المقصود بذلك طهارة الثياب المعروفة من النَّجاسات الحِسِّية المعروفة.

قال: («﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ»).

فسَّر المؤلف رحمه الله «الرُّجْزَ» بالأصنام، وهذا التفسير قد جاء عن بعضِ السَّلف أو عن كثيرٍ من السَّلف أنَّ المقصود بذلك: الأصنام، وكذلك الأوثان، والذي يظهر – والله أعلم – أنَّ «الرُّجْزَ» يشملُ الأصنام، والأوثان، وكلّ قَذَرٍ وشَر حِسِّي أو معنوي، فقوله: («﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾») يشمل هجْرَ الأصنام، وهَجْرَ الأوثان، وهَجْرَ كذلك بقيّة القَاذورَات، وبقيّة الأمور المُنكَرَة التي حرَّمها الشرع، وحذَّر منها.

قال رحمه الله: («وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا»).

التَّرْكُ: هو المُجَانَبَة والْبُعْد.

والمقصود بذلك ليس المُجانَبَة الحِسِّية فقط، إنَّما المقصود بذلك: أن تُهجرَ هجْرًا كُليًّا، فلا تُعَظَّم، ولا تُعبَد، ولا تُؤَلَّه، ولا تُقصَد من دون الله ﷻ، بلْ يجب أن تُهجَرَ في جميع ذلك، ويجب أن يُبتعدَ عنْها، ويُحذَّرَ منْها، ويُحذَّرَ من عُبَّادِها، والمتَعبِّدِين لها، والمُعَظِّمِين لها، وهكذا تَرْكُها يشملُ إتْلافها، ويشمل إزالتَها وإذْهابَها، فكلُّ ذلك يشملُه الهَجْر والتَّرْك.

وقوله: («تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا») هذا تقدَّم معنا: أنَّ الإيمان لا يحصل إلَّا بالمُوالاة لله تعالى، والمُعاداة للكفار والمشركين، والبَراءة من الطَّاغوت من جميعِ الطَّواغيت التي عُبِدَتْ من دونِ الله ﷻ، فلا يكْفي في إيمان المؤمن وإسْلام المسلم اجْتناب عبادة هذه الأصنام، والبُعْد عن ذلك، لا يكفي دون البُعْد عن أهل هذه الأصنام الذي يعْبدُونها ويُعظِّمُونها، وكذلك دون

البَراءة من هذه الأصــنام، والبَراءة من أهلها وعُبَّادِها، فلابدَّ أنَّ المســلمَ يَبتعد عن عبادتها، ويَتبرَّأ منها ومن أهلِها.

قال: («**وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا**») هذا تقدَّم الكلامُ عليه، والنُّصــوص الدالة على ذلك كثيرة من الكتاب والسُّنة والإجماع، وقد تقدَّم ذكْرُ شيءٍ من ذلك في الأصل الأول والثاني.

الدرس الخامس عشر

قال المُصنف رحمه الله:

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْـرَ سِـنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَبَعْدَ العَشْـرِ عرج به السَّـمَاءِ وَفُرِضَـتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى المدينة.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِن بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ.

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّـاعَةُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِـهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْـتَضْـعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِـعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْـتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَـبِيلًا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَـى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْـلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّـنَّةِ: قَوْلُهُ صـلى الله عليه وسـلم: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها».



قال الشّارح وفّقه الله:

قول المؤلف: («أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ»).

لمَّا ذكر المؤلف رحمه الله تعالى المقصود الأعظم الذي من أجلِه بُعِثَ النبي صلى الله عيله وسلم وأرسلَه الله تعالى إلى العباد، شرعَ في ذكْر وبيان ما قامَ به النبي عليه الصلاة والسلام بعد النُّبوَّة، أو بعد إنبائِه وإرْسالِه إلى الناس.

فقوله: («أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ») ومعنى هذا: أنَّه لمَّا نُبِّئَ صلى الله عليه وسلم دعا إلى عبادةِ الله وحدَه، وحذَّر من كلِّ ما يُناقِضُ الشرك، ويُناقض التوحيد، واستمرَّ على ذلك هذه المُدَّة المعروفة.

وظاهر كلام المؤلف رحمه الله: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ابتدأ دعوة الناس إلى التوحيد، وهكذا تحْذيرهم من الشرك ابْتدأ ذلك من أوَّل ما نُبِّئَ، هذا هو ظاهر كلامه.

وظواهر النُّصوص تدلُّ على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما شرعَ في الدعوة إلى الله جهَارًا، وهكذا يعني دعوةً ظاهرة إلَّا بعد أن أرسلَه الله ﷻ بقوله: (يا أيُّهَ المُدثّر)، وقد دلَّت النُّصوص على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا نبأَه الله تعالى بـ «اقْرَأْ» انقطع الوحي فتْرة زمَنيّة، فلم يأتِه إلَّا في المرة الثانية عندما رأى جبريل عليه السلام وهو جالس على العرش، فهذا يدلُّ على أنَّ الوحي انقطع، وليس هناك دليلٌ على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم شرع في الدعوة إلى توحيد الله، وإلى الله ﷻ من أول أمْره، أو من أوَّل ما نُبِّئَ بـ «اقْرَأْ»، وقد ذكر بعض أهل العلم أو بعض السَّلف على أنَّ المُدَّة التي كانت بين الإنباء والإرْسَال ثلاث سنوات، يعني بين نزول قوله:

«اقْرَأْ» وبين نزول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ [سورة المدثر:١] والله أعلم، ليس هناك دليلٌ صحيحٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم يحدِّدُ هذه المُدَّة، لكن المتَأمِّل في هذه النُّصوص يجد أنَّ الوحي انقطعَ بين فتْرة الإنباء وفتْرة الإرْسَال، لكن حقيقة هذه المُدَّة مقْدَارُها ليس هناك دليلٌ صحيح يدلُّ على ذلك، وظواهر الأدلَّة أيضًا تدلُّ على أنَّه صلى الله عليه وسلم بدأَ بالدعوة إلى الله إلى توحيدِه، وإلى إفْرادِه بالعبادةِ، وإلى التحْذير من الشرك، وعبادة غير الله ﷻ؛ كان ذلك بعد أن أمَرَه الله تعالى بالدَّعْوة، والإنذار والإبْلاغ، بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [سورة المدثر:١-٢] ، وظاهر كلام المؤلف هذا فيه شيء من النَّظر؛ لأنَّه قلْنا: أنَّه صلى الله عليه وسلم بدأَ يدعو إلى التوحيد من أول ما نُبِّئَ، والصواب في ذلك ما ذكرْناه.

قال: («وَبَعْدَ العَشْرِ عرج به السَّمَاءِ») يعني بعد العشر السنوات بعد أن مَضَتْ عشر سنوات عُرِجَ به صلى الله عليه وسلم إلى السماء، أو إلى حيثُ شاءَ الله من العُلا.

بالنسبة للإسْراء والمعْراج فقد أُسْرِيَ بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكةَ إلى بيتِ المقْدس، ثمَّ عُرِجَ به من بيتِ المقْدس إلى حيثُ شاء الله من العُلا، وهذا هو قول أكثر العلماء: أنَّ الإسراء والمعْراج كانَا بعد البعْثة، ولم يكونا قبل البعثة، وذهبَ بعضُ أهل العلم أو بعض أهل السِّيَر إلى أنَّ الإسراء والمِعْراج كانا قبل البعثة، وهذا غلط بلْ هو قولٌ شاذ.

فالصواب الذي دلَّت عليه النُّصوص: أنَّ الإسراء والمعراج كانا بعد بعْثة النبي صلى الله عليه وسلم.

والمؤلف رحمه الله يَرى أنَّ الإسراء والمعراج كانا قبل الهجرة بثلاث سنوات؛ باعْتبار أنَّه عليه الصلاة والسلام مكثَ في مكةَ ثلاث عشرة عامًا، وعلى قول المؤلف أنَّه بقيَ عشر سنين

ثمَّ عُرِجَ به إلى الســماء، فظاهر كلامِه: يدلُّ على أنَّه أُسْــرِيَ به ثمَّ عُرِجَ به قبل الهجرة بثلاث سنوات.

وهذه المسألة ليس فيها دليلٌ صحيحٌ صريحٌ يُعتمدُ عليه - أي في تحديد المُدَّة التي حصل فيها الإســراء والمعْراج - هل كان قبل الهجرة هو قبل الهجرة بالإجماع، لكن هل كان قبل الهجرة بثلاث ســنوات؟ هذا قلْنا: فيه خلاف بين أهل العلم، فمِن أهل العلم مَن يقول بهذا القول، ومِنهم مَن يقول: إنَّ الإســراء والمعراج حصــل قبل الهجرة بسَــنَة، وقِيلَ: بخمسِ سنوات، وقِيلَ: بسِتَّة أشْهر، وليس هناك دليلٌ صحيحٌ يُعتمدُ عليه في تحديد المُدَّة التي حصل فيها الإسراء والمعراج، فالله أعلم.

وخلاصــة القول: أنَّا نعتقد ونفْهم أنَّه عليه الصــلاة والســلام أُسْــرِيَ به من مكةَ إلى بيتِ المقْدس ثمَّ عُرِجَ به من بيتِ المقْدس إلى الســماء قبل الهجرة وبعد البعْثة، أمَّا بعد البعْثة فهو قول جماهير العلماء وقول أكْثرهم، وأمَّا قبل الهجرة فقد حُكِيَ إجماعًا.

وعلى هذا أنَّ الإسراء والمعراج كانا في مكةَ، يعني وما زال في مكةَ.

قوله: («**وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ**») أي ليلَة أُسْرِيَ به وعُرِجَ به إلى السماء.

والمقصود بالصلاة التي فُرِضَتْ هي هذا الصلوات المعْروفة، وحديث الإسراء والمعراج حديثٌ صحيحٌ متَواتِرٌ ثابتٌ في الصِّحَاح والمَسانيدِ والسُّنَنِ، فمن أراد أن يقرأَه فهو أمْرٌ طيب، وهو حديثٌ عظيم.

قال: («**وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ**»).

معلوم أنَّ فرْضَ الصــلوات على هذا المقدر «خمس» أنَّه كان تدْريجيًا، فَفِي أول الأمر

فرضَها الله ﷻ خمسين صلاة، فلمَّا نزلَ إلى موسى عليه السلام وراجعَه في ذلك فما زالت المُراجعةُ مسْتمرَّة حتى وصلتْ إلى هذا العَدد.

قوله: («وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ») أي الصلاة المفْروضة هذه، ولا يفْهم منْه أنَّه صلى الله عليه وسلم لم يكن يُصلي في مكةَ بعد النُّبوَّة لا؛ إنَّما مقصودُه أنَّه صلى هذه الصلوات المفْروضة في مكةَ ثلاث سِنين، وهذا على القول بتحْديد المُدَّة التي حصل فيها الإسراء والمعراج، وقلْنا: ليس هناك دليلٌ صحيحٌ يُعتمَدُ عليه في هذه المسألة، فالله أعلم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قبل المعراج، فيقوم ويرَكع ويَسجع، إلى آخره لكن التحْديد بهذا العدد وبهذه الصفة المذْكورة في شَريعتِنا إنَّما كان ذلك بعد المعراج.

قوله: («وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى المدينة»).

أي وبعْد هذه المُدَّة، بعد ثلاث عشْرة عامًا.

قوله: («أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى المدينة») معنى هذا: أنَّ هجْرة النبي صلى الله عليه وسلم كانتْ بوحْيٍ من الله تعالى، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إنَّما هاجرَ إلى المدينة بأمْرِ الله، ولهذا كان يقول لأَبي بكر: «إنَّه لم يُؤْذَنْ لي» فلمَّا أَذِنَ الله له، قال له أبو بكرٍ: قد أُذِنَ لك؟ قال: «نَعَم، قَدْ أُذِنَ لي».

فهجْرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكةَ إلى المدينة كانت بأمْر الله وبِوَحْيٍ من عندِ الله ﷻ.

والكلام على الهجْرة من عِدّة وجوه:

* **الوجه الأول:** تعريفها.

أَمَّا تعريفها في اللُّغة: فهي التَّرْك والمُجَانَبَة والمُبَاعَدَة، فمن هجرَ شيئًا فقد ترَكَه واجْتنبَه وابْتعدَ عنْه، فالهجْر في لُغة العرب يأتي بهذه المعاني؛ بمعنى التَّرك والمُباعَدَة والمُجَانَبَة للشيء.

وأمَّا في الشــرع: فهي ترْك بلد الكفْر والشــرك، وبلد البَدَع والمعاصــي، ومُجانَبَة أهلها والبُعْد عنهم.

❋ **الوجه الثاني**: أنواع الهجْرة.

أنواع الهجرة الواردة في نُصوصِ الشريعة ثلاثة أنواع:

- **النوع الأول**: هجْر بلد الكفْر والشرك والمعاصي والبِدع «هجْر البلْدان».
- **النوع الثاني**: هجْر أعمال السوء من الكفْر والشرك وسائر المعاصي والذنوب، ولهذا لمَّا سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الهجَرة أفضل؟ قال: «أَن تَهْجُرَ مَا نَهَى عَنكَ رَبُّكَ».
- **النوع الثالث**: هجْر أهل الكفر والشرك والفسوق والعِصْيان.

وكلُّ هذه الأنواع الثلاثة قد دلَّت عليها النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة وإجماع السَّلف، **فالأول**: هجْر البلْدان، **والثاني**: هجْر الكفر والفســوق والعِصْــيان، **والثالث**: هجْر أهل الكفر والفسوق والشرك والعِصْيان، ثلاثة أنواع.

❋ **الوجْه الثالث**: حُكْم الهجرة: (يعني التي هي الانتقال من بلدِ الكفر والشــرك إلى بلدِ الإسلام).

الهجرة لها حُكْمان:

- **الأول**: أنها واجبة من بلدِ الكفر والشــرك إلى بلدِ الإيمان والإســلام، وهذا في حقِّ مَن

لم يسْتطعْ إظهار دين الإسلام، وإظْهار شعائر الإسلام، وهكذا لم يستطعْ أن يعبدَ ربَّه حقَّ عبادتِه في بلاد الكفر وفي بلاد الشرك، فهذه الهجرة واجبة على حَسَبِ ما سمعتُم.

- **الثاني**: أنَّها مسْتحبة يعني لا تكون واجبة، وهذا في حقِّ مَن اسْتطاع أن يُقيمَ دينَه، وأن يُظهرَ شعائر دينِه الظاهرة، ويسْتطيع أن يعبدَ ربَّه حق عبادته، فهذا الهجرة في حقِّه مسْتحبة، وليست واجبة، إنَّما الواجبة هي في حقِّ مَن لم يستطعْ أن يُظهرَ شعائر الإسلام، وأن يُظهر شعائر الدِّين، وأن يعبدَ اللهَ ﷻ حقَّ عبادتِه.

وبالنسبة للهجرة الواجبة لا تجبُ إلَّا بشرْطين اثنين:

الشرط الأول: العجْز عن إظهار شعائر الإسلام، وإظهار شعائر الدِّين.

هذا الشرط الأول: العجْز عن إظهار شعائر الإسلام؛ لا يسْتطيع أن يصلي، لا يسْتطيع أن يصوم، لا يسْتطيع أن يَحُجَّ، لا يسْتطيع أن يقرأَ القرآن، لا يسْتطيع أن يرفعَ الأذان، لا يسْتطيع أن يظهرَ بمَظْهَر الإسلام.

الشرط الثاني: القدْرة على ذلك.

فإذا توفَّر هذان الشرطان وجبَ على هذا المسلم أن يتركَ بلدَ الكفر وبلدَ الشرك، وينتقل إلى بلدِ الإسلام والإيمان.

أمَّا إذا كان عاجزًا فلا تجب في حقِّه الهجْرة، ولهذا عَذَرَ اللهُ ﷻ الضُّعَفاء من الرجال والنساء والوُلْدَان الذين كانوا في مكةَ، عَذَرَهُم اللهُ ﷻ عن الهجرة، وعَذَرَهُم عن بقائِهم في مكةَ عندما كانتْ بلَد كفْر، فلا تجب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام إلَّا بهذين الشرطين، الأول: القُدْرَة على ذلك، الثاني: العجْز عن إظْهار شعائر الإسلام وشعائر الدين، فهذان الشرطان

لابدَّ منْهما.

ونحنُ في هذه الأعْصــار قد تغيَّرت الأمور كثيرًا، فالهجرة الآن في الغالب أنَّها غير مأْذون بها من بلاد الكفر إلى بلاد الإســلام، وإذا جاء المســلم الفَار بدينِه، والفَار بعقيدَتِه إلى بلاد الإســلام فإنَّه في هذه الأنظمة لا يُقبَل، في هذه الأنظمة والقوانين الكفْرية الوضْــعِية فإنَّه غير مقبول. والله المستعان.

وعلى كلٍّ إن اسْتطاع المسلمُ أن يُهاجرَ فيجب عليه ذلك بالشرطين المُتقدِّمَين.

❊ **الوجه الخامس**: أنواع البُلْدَان التي تجب الهجْرة منها.

البُلْدَان التي تجب الهجْرة منها ثلاثة:

- **الأول**: بُلْـدَان الكفر والشــرك؛ كبلادِ اليهود والنصـــارى، وبلاد الشّــيوعيّين، والاشْتراكِيّين، والمَارِكْسِيّين، وأصحاب الطبيعة، إلى آخره.
- **الثاني**: بُلْدَان البدعِ والضـــلالات التي ظهرتْ فيها البدعُ، واسْــتحَكَمَتْ فيها البدعُ، وكانت الصَّــولَة والجَوْلَة لأهلِ البدع؛ وعجَزَ الشــخص عن إظْهار السُّــنة، وعن إظْهار شعائر الإسلام الصحيحة الثابتة في كتاب الله ﷻ وفي سُنَّة رسولِه صلى الله عليه وسلم، فإذا قَدَرَ الشخص على هجْرِ هذا البلَد فيجب عليه بالشروط المُتقدِّمة.
- **الثالث**: البُلْدَان التي يكثر فيها الفســوق والعِصْــيان، وتظهرُ فيها الفواحش من غير نكِيرٍ، ولا مَنْعٍ، ولا اعْتراضٍ، فهـذه البُلْدَان كـذلـك تجـبُ الهجرة منهـا بـالشــروط المُتقدِّمة.

وعلى هذا ليســت الهجرة خاصَّــة من بلاد الكفر إلى بلاد الإســلام بلْ هي شــاملة لبلادِ أهل

البدع والضـلالات، وبلاد الفسـوق والفجور والعِصْـيان الذين لا يَتحاشَـون عن فعْل المُنكرات، وارْتكابِ الفواحش.

هذه أنواع البُلْدَان التي يُهاجرُ منْها.

أمَّا بالنسـبة لهجْر المعاصـي والذنوب فهذا لا يحتاج إلى تفْصـيل، هذا النوع من الهجرة هو واجبٌ على الإطلاق، لا يُقالُ: إنَّه لا يجب إلَّا إذا كان كذا، لا، فهجْرُ المعاصـي والذنوب واجبة على كلِّ مسلم ومسلمة مكلَّفَين.

وهنا مـ سألة يذكرها أهلُ العلم عند ذكْر مسـألة الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسـلام، يذْكرون مسـألة السَّـفر، والإقامة، أو السـفر من بلاد المسـلمين إلى بلاد الكفار والمشـركين والإقامة فيها.

والأصل قلْنا: هو هجْرُ بلاد الكفْر، وبلاد الشرك، وبلاد الفسوق والعِصْيان، هذا هو الأصل، وأنَّه لا يجوز للمسـلمِ الإقامة في بلاد الكفر والشـرك **ومعَ ذلك فالسَّـفر من بلاد الإيمان والإسلام إلى بلادِ الكفر والشرك والعِصْيان له عِدَّة صور**:

- **الصـورة الأُولى**: السـفر والإقامة في بلاد الكفر من أجلِ الدعوة إلى الله، فهذا السـفر وهذه الإقامة جائزان، ومشْروعان بلْ ومُسْتحبَّان لمن قدَرَ على ذلك.
- **الصورة الثانية**: السفر إلى بلاد الكفار والإقامة فيها لأجلِ القيام بغَرضِ ما أمَرَ به وليُّ أمْر المسـلمين، فإذا أمرَ وليُّ أمْرِ المسـلمين أحدًا من الناس للذِّهابِ إلى بلاد الكفر، والإقامة هناكَ لتحْقيق بعض مصالح المسلمين فهذه الصورة جائزة، وهذا الأمر راجعٌ إلى وليِّ الأمْر، وهذا كما هو حاصل الآن مِمَّا يتعلَّق بالسُّفَراء وغيرهم.

- **الصورة الثالثة**: السفر إلى بلاد الكفار والإقامة فيها من أجلِ تحْصيل بعض العلوم الدنيوية؛ كعُلومِ الطِّب مثلًا، والعُلوم الحديثة الموجودة الآن، أو غير ذلك؛ فهذه جائزة بشروط:

الشرط الأول: أن يكون المسلمون محتاجِين لهذا النوع من العلم.

الشرط الثاني: أن يكون تحْصيل هذا العلم مُتَعَذِّر في بلاد المسلمين.

الشرط الثالث: أن يكون هذا العلم مأْذونًا به في الشريعة - يعني: يكون مُباحًا - كما ذكرْنا؛ كتعَلُّمِ بعض أمور الطب، وبعض الأمور مِمَّا يتعلَّق بالطَّبيعة والجُغرافيا، والمسلمون بحاجةٍ إلى ذلك، أو بعض الصناعات الحرْبية، إلى آخره.

أمَّا السفر إلى هناك لتَعلُّم القوانين والأنظمة، وتعلُّم السياسة الكفْرية الدّيمقراطِية فهذا لا يجوز.

- **الصورة الرابعة**: السفر إلى بلاد الكفار والشرك لأجل التجارة، هذه الصورة جائزة بشروط:

الشرط الأول: أن يكون هذا الشيء الذي يُرادُ جَلْبُه إلى بلادِ المسلمين أو الاتِّجار فيه مُباحًا، ومأْذونًا به بالشريعة.

الشرط الثاني: أن يَتعذَّر حصولُ ذلك في بلاد المسلمين.

الشرط الثالث: أن يحتاج المسلمون إلى جلْبِ هذه السِّلَع، وجَلْبِ هذه البضائع، فإذا توفَّرت هذه الشروط جازَتْ هذه الصورة.

- **الصورة الخامسة**: وهي السفر إلى بلاد الكفار والمشركين من أجل السِّياحة والنُّزْهَة

والتَّمتُّع في المناظر ومَجالس الفِسْق والفُجُور؛ هذه الصورة مُحرَّمة، ولا خلاف بين أهل العلم في تحْريم السفر إلى بلاد الكفر والإقامة من أجل السِّياحة والتَّنَزُّه؛ وذلك لِمَا يَترتَّب على ذلك من المَخاطر العظيمة.

فبعضُ المسلمين يذهبُ إلى بلاد الكفر سِياحة ونُزْهَة، فما يرجع إلَّا وقد تأثَّر بأخلاق الكفار، وبصفاتهم، وطريقتهم، ومنْهجِهم، فتَرى هذا يقول: الكفار طيِّبُون! النصارى مُحترَمُون! هم أحسن من المسلمين! إلى آخره، فبعضُهم يرجع بهذه الصورة، وبعضُهم يرتد عن الإسلام!!

فهذه الصورة محرَّمة عند عامَّة العلماء.

- **الصورة السادسة**: السفر إلى بلاد الكفار لِغَرضِ العمل وجمْع المال، وهو ما يُسمَّى الآن بـ«الاغْتِرَاب» هذه الصورة لا تجوز، وهي محرَّمة، فلا يجوز لمسلمٍ أن يُهاجرَ من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفْر لأجل هذا الأمر؛ لأجل تحْصيل المال والعمل باعْتبار أنَّه يقول: لم يُوجدْ له عملٌ في بلادِ المسلمين، وأنَّه لم تَتَحقَّق مصالحُه إلَّا ..، فهذه الصورة محرَّمة، وإن تعذَّر العمل؛ لأنَّ غالب الناس في غُرْبتِه إنَّما يُطالِبُ بالكَماليّات، والتَّوسع في أمور الدنيا، فالأصل في هذه الصورة أنَّها محرَّمة، وأنَّها لا تجوز، الاغْتِرَاب لِغَرَضِ العلم وجمْع المال، وأكثر الذين اغْتربُوا لغرضِ العمل وجمْع المال يتأثَّرُون بأخلاق الكفار، وبعقائدهم، وأدْيانهم - عياذًا بالله ﷻ -.
- **الصورة السابعة**: السفر إلى بلاد الكفار والإقامة فيها؛ رَغْبَةً في البقاء بينهم، ومَحبَّة لهم، فهذه الصورة كُفْرٌ أكبرُ مُخرِجٌ من المِلَّة.

هذا خلاصة الكلام على ما يتعلَّق بهذه المسألة، وقد ذكرْناها بشيءٍ من التَّوسع في شرح

«نواقض الإسلام».

قال رحمه الله: («وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِن بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ»).

هذا نوعٌ من أنواع الهجرة، والمؤلف هو يتكلَّم على هذا فقط، وإلَّا قدْ ذكرْنا أنَّ أنواع الهجرة ثلاثة أنواع.

قال: («وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ»).

قلْنا: والهجرة إمَّا أن تكون واجبة، وإمَّا أن تكون مُسْتحبَّة، واجبة في حقِّ مَن عجزَ عن إظْهار دينِه، وإظْهار شعائر الإسلام، ولم يسْتطعْ أن يعبدَ الله حقَّ عبادتِه، فالهجرةُ في حقِّ هذا واجبة لكن بالشرْطين المذْكورين.

وتكون مُسْتحبَّة في حقِّ مَن اسْتطاعَ أن يُظهرَ دينَه، أن يُظهرَ الصلاة، أن يُظهرَ الصيام، أن يُظهرَ الحجّ، أن يُظهرَ الأذان، أن يُظهرَ بقيَّة شعائر الإسلام في الجُملة، فالهجْرةُ في حقِّ هذا مُسْتحبَّة.

قال: («وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ»).

بلد الشرك: هو الذي ظهرَ فيه الشرك، وظهرَ فيه الكفْر، وكان الغالبُ على هذا البلد الكفْر والشرك.

وبلد الإسلام: هو الذي يَغلب عليه ظُهور شعائر الإسلام، وظُهور شعائر الدِّين ولا يَمنع أن يُوجدَ بعضُ الخِصال الكُفْرية التي قد يقع فيها بعضُ الحكام، هذا الأمر لا يُخرِج هذا البلد من كوْنه بلدًا مسلمًا إلى بلدٍ من بُلْدَان الكفر والشرك، فالأصل في بلاد الإسلام هي البلاد التي يظهرُ فيها شعائر الإسلام وشعائر الدِّين، فتكون فيها ظاهرة في الجُملة، أو في غالب الأحوال، فهذا هو بلدُ الإسلام.

قال: («وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»).

يعني الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ولا يُشْكِلُ على هذا ما جاء في «الصحيحين»: عن ابن عباس، وعن عائشة؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِن جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» فالمقصود بقولِ النبي صلى الله عليه وسلم «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**» أي: لا هجْرةَ من مكةَ إلى المدينة؛ لأنَّ مكةَ قد صارت دار إسلام، فالهجرة منها إلى المدينة باعْتبار القُرْبَى إلى الله ﷻ، وتَرْك بلاد الكفر فلَا، انقَطَعَت الهجرة بدخول مكة في الإسلام.

والهجرة باقية على حُكْمِها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، كما دلَّت على ذلك النُّصوص: **منْها**: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْعَدُوُّ**»، فالهجرة باقية ودائمة إلى أن تقوم الساعة، والأدلَّة على ذلك كثيرة من الكتاب والسُّنة والإجماع.

قلْنا: وفي هذه الأعْصار الأنظِمَة الكفْرية، والقوانين الوَضْعية تُحاربُ هذا الأمر، بلْ لرُبَّما تُسهِّلُ الهجرة من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر - عياذًا بالله تعالى -.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾»).

وجْه منا سبَة إيراد هذه الآية: هي الدَّلالة على وجوبِ الهجرة من بلاد الكفْر إلى بلاد الإسلام، وأنَّه يجبُ على كلِّ مسلمٍ ذلك، إلَّا مَن عجَز عن الهجرة فهو معْذورٌ عند الله تباركَ وتعالى.

وقوله: («وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾»).

مُناسبَة ذكْر هذه الآية هنا: دلالتُها على وجوبِ الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

قوله: («قَالَ الْبُغَوِيُّ»).

البَغَوي: هو الحُسين بن مسْعود الفَرَّاء، أبو محمد، وهو صاحب كتابك «معالِم التنزيل في التفسير في مَحاسِن التأويل»، وهو صاحب كتاب: «شرح السُّنة» الكتاب العظيم المشْهور،

(«**قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ**») لم يصح شيءٌ في سَببِ نزول هذه الآية، وإنَّما ذكرَ العلماءُ: أنَّ هذه الآية نزلَتْ في حق المُسْتضْعَفِين من المؤمنين الذين لم يسْتطيعوا أن يهاجروا من مكةَ إلى المدينة، لكن ما صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما ثبتَ في ذلك شيء، ولكن بعضُ أهل التفسير قد ذكرَ ذلك، أنَّها نزَلَتْ في المُسْتضْعَفِين من الوُلْدَان والرِّجَال والنساء.

قال: («**وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ**») يعني الدَّليلُ من السُّنة.

(«**وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ**»)

الحديث.

هذا الحديث رواه: أحمد، وأبو داوود، وغيرُهما، عن مُعاوية، وهو حديثٌ ضعيف، في سَنَدِه رجلٌ مجْهول، ولكن حَسَنٌ بشَواهِدِه، فله شاهدٌ عن عبد الله بن عمْرو بن العاص رضي الله عنهما، وهكذا له شَواهِدٌ أُخرى، فالحديث حَسَنٌ بمجْموع هذه الشَّواهِد.

إذًا الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام دلَّ عليها الكتاب والسُّنة والإجماع.

الدرس السادس عشر

قال المُصنف رحمه الله:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صلى الله عليه وسلم: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].



قال الشَّارح وفَّقه الله:

قول المؤلف: («فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ»).

كان وُصول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين، وفي شهر ربيع الأول.

قوله: («أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ») هنا «أُمِرَ» والصَّواب: «أَمَرَ»، ومُحتمَل أنَّه إذا كان الفعْل مغيَّر الصيغة أنَّ المقصود به النبي صلى الله عليه وسلم أُمِرَ هو، فيصلح هذا وهذا، لكن الأظهر هو الأول: «أَمَرَ».

قال: («أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ»).

من المعلوم: أنَّ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكةَ كان مُعْظَمُها في الدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك، فهذه مُعْظَم ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم في مكةَ، مع الدعوة إلى بعض الشعائر الظاهرة؛ كالصلاة، والآداب، والأخلاق، والنَّهي عن كثير من الأمور المحرَّمة إلَّا أنَّ مُعْظَم ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إليه في مكةَ هو الدعوة إلى التوحيد، ومُحاربَة الشرك، والتحْذير منه.

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد أُمِرَ أو أَمَرَ المؤمنين في مكةَ بالتعبُّدِ لله تعالى بسائر أنواع العبادات والطَّاعات الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ كثيرًا منها إنَّما فُرِضَتْ وشُرِعَتْ في المدينة.

قوله: («مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ»).

الصحيح: أنَّ الزكاة في أصْلِها فُرِضَتْ في مكةَ، وقد نزلت آياتٌ كثيرة فيها الأمْر بالزكاة في مكةَ قبل الهجْرة، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة المؤمنون:٤] فهذه الآية نزَلَتْ

في مكةَ.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [سورة الأنعام:١٤١] نزَلَتْ في مكةَ، وهكذا آياتٌ أخرى نزَلَتْ في مكةَ، وفيها فرْضِيَّة الزكاة.

فالزكاة في أصلِها فُرِضَتْ في مكةَ، لكن معَ بيان مقاديرها وأنصبتِها إنَّما فُرِضَ ذلك في المدينة، ويُحملُ كلامُ المؤلف على هذا النوع من الزكاة، الزكاة التي بُيِّنَتْ أنصبتُها، وبُيِّنَتْ مقاديرُها، فالزكاة معَ بيان الأنصبة والمَقادير إنَّما كان ذلك في المدينة، وإلَّا فأصْل الزكاة قد فُرِضَتْ وشُرِعَتْ في مكةَ من دون ذكْر الأنصبة والمَقادير.

قال: («وَالصَّوْمِ») المقصود بالصوم هنا: الصوم المفروض، الصوم الواجب، وهو صوم شهر رمضان.

وقد فُرِضَ الصومُ في [السَّنة الثانية من الهجرة].

قال: («وَالْحَجِّ») المقصود بالحجِّ: الحجّ الواجب، أو يعني شعيرة الحجّ من أصْلِها.

وقد فُرِضَ الحجُّ في [السَّنة التاسعة] على الصحيح من أقوال أهل العلم، هناكَ خلافٌ كبير في الوقت الذي فُرِضَ فيه الحجّ، فالأظهر والأقرب: أنَّه فُرِضَ في السَّنة التاسعة للهجرة النَّبوية.

قال: («وَالأَذَانِ») أي: الأذان للصلاة، وهو الأَذان المعروف.

وقد كان فرْضُ الأَذان في [السَّنة الأُوْلَى من الهجرة].

قال: («وَالْجِهَادِ») المقصود بالجهاد هنا: الجِهاد بالسَّيف والسَّنان (قتال الكفار والمشركين)

لأنَّ الجهاد منْهُ ما هو جِهاد بالسَّيف والسَّنان، ومنْه ما هو جِهاد بالحُجَّة والبَيان، **فالمقصود في كلام المؤلف هنا**: هو الجِهاد بالسَّيف والسَّنان، وقتال الكفار والمشركين.

وقد فُرِضَ الجهادُ في السَّنة الثانية من الهجرة - على الصحيح من أقوال أهل العلم -.

قال: («وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ»).

المعروف: هو ما عُرِفَ حُسْنُه شرعًا وعقلًا.

فالمعروف شــاملٌ لكلِّ خيرٍ وبِرٍّ وإحْســان، فيدخل في ذلك التوحيد، ويدخل في ذلك القيام بالواجبات، ويدخل في ذلك الأمر بالإحسان إلى الخلْق، وهكذا.

قوله: («وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ»).

المُنكَر: هو ما عُرِفَ قُبْحُه شرعًا وعقلًا.

فالمُنكَر شــاملٌ لكلِّ رَذيلة وقَبيحة وســوء، فهو شــاملٌ للشــرك، وشــاملٌ للظلْم والكَذِب، والبَغي، والاعْتداء، والسَّرقة، والوقوع في الفواحش والمحرَّمات، إلى آخره.

والأمر بالمعروف مراتبُه ثلاث كما جاء في حديث أبي ســعيد: «**مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْــتَطِعْ فَبِلِسَــانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْــتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**»، والأصــل في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر أنَّه واجب، وقد يكون مسْتحبًا في بعض الحالات، وفي بعض الصور، وقد يجبُ على بعضِ الناس ولا يجب على البعض الآخر، وللأمر بـالمعروف والنَّهي عن المنكر شــروطٌ يذْكرُها أهلُ العلم، وليسَ محلُّها هنا.

قوله: («وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ»).

أي: عباداتُه وطاعاتُه؛ كصــلاة الاسْــتســقاء، وصــلاة العِيدَين، وصــلاة الكُســوف، وصــيام

عاشوراء، وهكذا بقية العبادات والطَّاعات التي شُرِعَتْ في المدينة.

قال: («أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ»).

يعني في المدينة، وقد مكثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في المدينة عشر سِنين؛ عند عامَّة العلماء.

قوله: («وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ»).

ذكَرْنا: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء تشملُهم الأحكام البشرية، فهم يأكلون ويَشربون، ويَموتون كما يموتُ غيرهم، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم بشر، فيلْحقُه ما يلْحقُ البشر في كثيرٍ من الأمور، ومنْها: الموت، والموت شاملٌ أيضًا للجنِّ وللملائكة، ولغَيرِهم.

وقد تُوفِّيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في يوم الاثْنين إجماعًا، وفي شهر ربيع الأول عند أكثر العلماء، وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنَّه مات في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وعلى هذا فيكون وقتُ موته كان موافقًا لوقتِ مَولِدِه، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، في يوم الاثنين، في شهر ربيع الأول، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وعلى هذا فالذين يحتفلون بمَولد النبي صلى الله عليه وسلم يُقال لهم: هل أنتُم تحْتفلون بمولِده أم بموته؟! فهو مات في هذا اليوم الذي وُلِدَ فيه.

قال: («وَدِينُهُ بَاقٍ»).

أي: الدِّين الذي جاء به: الإسلام الخاص، وهو باقٍ غلى قيام الساعة؛ لأنَّ الله ﷻ تعهَّد وتكفَّل بحفظِه، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فالذِّكْر يشمل القرآن، وتدخل فيه السُّنة النَّبوية، فدِينُ النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله به

مَحْفوظٌ إلى قيام الساعة، وحفظُه هو من قِبَلِ الله ﷻ.

قوله: («لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ»).

معنى هذا: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ البلاغ المُبين، فدعَا هذه الأُمَّة إلى كلِّ ما ينفعها، وحذَّرها من كلِّ ما يَضرُّها في الدنيا ولآخرة، فما تَرَكَ شيئًا تحتاج هذه الأُمَّة إلى معرفتِه وبيانِه إلى بيَّنَه صلى الله عليه وسلم، فهذه الأُمَّة تأْخُذُ دينَها عن النبي صلى الله عليه وسلم كاملًا مُبيَّنًا واضحًا، فهو عليه الصلاة والسلام قد بلَّغ البلاغ المُبين، وأوْضحَ الحُجَّة للناس، وبيَّن الشرائع والأحْكام لهذه الأُمَّة، فلا تحتاج هذه الأُمَّة إلى غيره عليه الصلاة والسلام، لِبَيان أحكام الشريعة وأحْكام الإسلام.

❖ وقد دلَّت النُّصوص الكثيرة على ذلك: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ البلاغ المُبين، منها: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة:٣]، وإِكْمَال الدِّين لا يكون إلَّا بالبلاغ الكامل التَّام.

❖ وهكذا جاء في السُّنة عن جمْعٍ من الصحابة، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا زَائِغٌ**».

وأيضًا روى الإمامُ أحمد، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: «ما تَرَكَ لنا رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم طائرًا في السماء يُقلِّبُ جَناحَيه؛ إلَّا ذكرَ لنا منْه علمًا».

وَوَجْهُ هذا الكلام: هو أنَّ النبي صـلى الله عليه وسـلم بلَّغ البلاغ المبين، وبيَّن لهذه الأُمَّة ما تحتاج إليه من أمور الخير، وأمور العبادات والطَّاعات، وحذَّرها من كلِّ ما يَضرُّها ويسوؤها في الدنيا والآخرة.

وكذلك روى الإمامُ مسلم في صحيحه: أنَّ رجلًا من الكفار سألَ سلمانَ الفارسي رضي الله عنه: هلْ علَّمكُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخِراءَة؟ قال: «علَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كلَّ شيءٍ حتى الخِراءَة، فنَهَانَا أن نسْتقبل القبلة بِبَولٍ أو غائط، ونَهانَا أن نسْتنجي باليَمين، ونَهانَا أن نسْتنجي بأقلِّ من ثلاثة أحجار، ونَهانَا أن نسْتنجي برَجِيعٍ أو عظْم».

فالصحابة رضي الله عنهم فهِمُوا من هذا: أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام بلَّغ البلاغ المُبين، فلا يَتْرُك شيئًا تحتاج هذه الأُمَّة إلى معْرفتِه، وإلى بيانِ حقيقتِه، فالنبي عليه الصلاة والسلام قد بلَّغ البلاغ المُبين، فدعا هذه الأُمَّة إلى كلِّ خير، وحذَّرَها من كلِّ شر.

قوله: («وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ»).

بدأَ بالتوحيد: لأنَّه أعْظم ما أمرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وما أمرَ به الربُّ سبحانه وتعالى، فهو أعْظم مأْمور، وأجلّ عبادة وشَريعة.

والتوحيد المقصود به هنا: أنواعه الثلاثة: توحيد الرُّبوبيَّة، والإلهيَّة، والأسماء والصفات.

قوله: («وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ») أي من الأقوال والأعمال الاعْتقادات، ما يحبُّه الله من الأقوال، وما يحبُّه الله من الأعمال، وما يحبُّه الله من الاعْتقادات المتعلِّقَة بالقلْب.

قال: («وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ»).

وبدأ به: لأنَّه أعظم ذنبٍ على الإطلاق.

قال: («وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ») أيضًا كذلك من الأقوال والأعمال والاعْتقادات.

قوله: («بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»).

المقصود من هذه الجُملة: بيان أنَّ بعْثَة النبي صلى الله عليه وسلم عامَّة إلى جميع الخلْق، وأنَّ رسالتَه كافَّة إلى جميع الجنِّ والإنس، فهو صلى الله عليه وسلم مُرسَلٌ إلى الإنسِ والجنِّ، ومُرسَلٌ إلى العرَب والعَجَم كافَّة، ومُرسَلٌ إلى اليهود، والنصارى، والمَجُوس، والمشركين، والعرَب، وجميع البشَرية، فهو عليه الصلاة والسلام مبعوثٌ إلى هؤلاء كُلِّهم؛ بدلالة النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سورة سبأ:٢٨]، فقوله: ﴿كَآفَّةٗ﴾ يدخلُ في ذلك جميعُ الخلْق، جميع البشرية.

وأيضًا قوله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

ومن أدلَّة السُّنة: ما جاء في «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**» أي: من الأنبياء وذكرَ منها: «**أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّة**».

وهكذا روى الإمام مسلم: عن أبي موسى الأشْعري رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِي إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

والأدلَّة من السُّنة التي فيها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى الإسلام، ودعا النصارى إلى الإسلام كثيرة جدًا، بلْ هي متواترة، وهكذا رسائلُه صلى الله عليه وسلم إلى مُلُوكِ الفُرس، وإلى مُلُوكِ الرُّوم، وإلى مُلُوكِ العرم آنَذَاك، هي مشْهورة ومُسْتَفِيضَة.

❖ **وأجمع المسلمون قاطبَة** على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثٌ إلى الخلْق كافَّة، ولا خلاف بينهم في ذلك.

ومعنى هذا: أنَّه لا يُقبلُ دينٌ إلَّا دين الإسلام الذي جاء به محمَّد صلى الله عليه وسلم، فيجب على اليهود والنصارى والمَجُوس وسائر الكفَّار والمشركين؛ أن يسْتجيبوا للنبي عليه الصلاة والسلام ولِدعْوتِه، وأن يدخلوا في دِينِ الإسلام.

قوله: («**وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**») هذا أيضًا بَيان عموم رسالتِه وبعْثتِه إلى الجميع.

والأدلَّة التي فيها أنَّه صلى الله عليه وسلم بُعِثَ إلى الجنِّ كثيرة من الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب**: فقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [سورة الجن:١].

❖ **ومنها قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [سورة الأحقاف:٢٩].

❖ ﴾ [سورة الأحقاف:٢٩].

والأدلَّة من السُّنة كثيرة التي تدلُّ بمضْمونِها على أنَّه عليه الصلاة والسلام مبعوثٌ إليهم أيضًا.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى») يعني الدَّليل على عُموم بعثتِه ورسالتِه، قلْنا: والدَّليلُ على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع، والمؤلف اقتصرَ على هذه الآية.

(«﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾»).

مناسبَة ذكْر هذه الآية هنا: هي دلالتُها على عموم بعْثة النبي صلى الله عليه وسلم، ورسالتِه إلى جميع الخلْق.

قوله: («وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾») يعني: أكْمَلَ اللهُ دينَ الإسلام على وِفْقِ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فنَبيُّنا عليه الصلاة والسلام كمَّلَ الله به هذا الدِّين وهذه الشريعة.

وعلى هذا إذا كان الله ﷻ قد أكْمَل هذا الدِّين بواسِطَة النبي صلى الله عليه وسلم حيثُ جعلَه رسولًا نبيًا، فلا يحتاج المسلمون إلى مَن يُكمِّل لهم دينَهم، ولا مَن يُتمِّم لهم شريعتَهم، فليسوا بحاجة إلى القوانين الوضْعية المخالفة للشرع، وإلى الأنظمَة الكفْرية المخالفة للشرع، ليسوا بحاجة إلى ذلك؛ لأنَّ الله ﷻ قد أكْمَلَ هذا الدِّين والنبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ البلاغ المُبين، فلا يحتاج المسلمون إلى هذه الأنظمة، وإلى هذه القوانين، وكذلك لا يحتاج إلى الأقْيِسَة الشَّاذة المخالفة لأصول الشريعة، ولا يحتاجون إلى تكْمِيلِ هذا الدِّين، وتَتْمِيمِه عن طريق الرُّؤى المَنامِية، أو عن طريق الآراء والأهْواء المخالفة للشرع، والمخالفة

للدِّين، والمخالفة للإسلام، فليسوا بحاجة إلى هذه الآراء، ولا إلى هذه الأقْيِسَة الشَّاذة المخالفة، ولا إلى ما يُحْدِثُه البشر من أمورٍ وأشياء يزْعمون أنَّها تصلح بها البشرية، وتَتَحقَّق بها مصالحُهم، فنقول لهم: دينُنا قد أكمله الله تباركَ وتعالى، فلا نحتاج إلى مثْل هذه الأمور المذْكورة، **والواجب على الناس**: هو الرجوع إلى دينِ الإسلام؛ إلى الكتاب وإلى السُّنة النَّبوية، فإنَّ مَن رجعَ إلى الكتاب والسُّنة فسيَجد بُغْيَتَه مُبَيَّنَةً وواضِحَةً - بإذْن الله ﷻ -.

وفي هذه الجُملة: التحْذير من الإحْداث في دينِ الله ﷻ، والتَّعَبُّد لله تباركَ وتعالى عن طريق البِدع المُحْدَثة، والبِدع الضّالة التي أحدثَها أهلُ البِدع والضَّلالات، فالمُبتدِعة في حقيقةِ أمرِهم أنَّهم قدْ زادُوا في الشريعة، وزادُوا في هذا الدِّين ما ليسَ منْه، فجميع البدع والضَّلالات مرْدودة على أصحابها، وذلك لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد حذَّر منها، وبيَّن أنَّه جاءَنا بالدين التَّام الشامل الذي لا يحتاج أحدٌ من الناس إلى تكْميلِه عن طريق الآراء والأهْواء، فجميع البدع المُحْدَثة سواء كانت هذه البدع مِمَّا هو متعلِّقٌ بالعبادات، أو مِمَّا هو متعلِّقٌ بالأقوال، أو مِمَّا هو متعلِّقٌ بالاعْتقادات، أو غير ذلك، فكلُّ هذه البدع مرْدودة على أصحابها، فليسَتْ من دينِنا، وليسَتْ من شريعة الإسلام، وليسَتْ من سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»، فكلُّ مَنْ أحدثَ في دين الله، وتعبَّد لله ﷻ بغيرِ ما شرعَ الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جَنَى جِناية عظيمة على هذا الدين، وجَنَى جِناية عظيمة على القرآن والسُّنة.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»).

مناسبَة ذكْر هذه الآية: دلالتُها على أنَّ الله ﷻ قد أكْمَلَ هذا الدين، وأتَمَّ هذه النِّعمة.

وقد جاء في «الصحيحين»: أنَّ رجلًا من اليهود جاء إلى عمرَ رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابِكم أو في كتاب الله، لو علينا معاشر اليهود نزَلَت لاتَّخذْنا يومَها عِيدًا! فقال عمرُ رضي الله عنه: «أيُّ آية؟» فذكر له هذه الآية، قال: «إنَّها نزلَت في يوم عِيدَين: في يوم عَرفة، وفي يوم الجُمُعة». وجاء بنحْوِه عن ابن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

قال: («**وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صلى الله عليه وسلم: قَوْلُهُ تَعَالَى**») أي الدَّليل من النَّقْل، وإلَّا فالدَّليل على موته النَّقْل، والحِسّ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد ماتَ.

الدرس السابع عشر

قال المُصنف رحمه الله:

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. **وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.**



قال الشَّارح وفَّقه الله:

قول المؤلف: («وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ»).

الإيمان بالبعث داخلٌ ضِمن الإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر يشملُ الإيمان بالبعث، وما يتْبع ذلك من أمور ووقَائع، فهو داخلٌ تحت الإيمان باليوم الآخر.

والبعث في اللُّغة: هو التحْريك والإثارة والإخْراج.

وأمَّا في الشرع: فهو إخْراج الله ﷻ النَّاسَ من قُبُورهم للحساب والجزاء.

والبعث ثابتٌ بدلالة الكتاب والسُّنة والإجماع.

- **أمَّا أدلَّة الكتاب** فكثيرة جدًا؛ منْها الآية المذْكورة التي ذكرَهَا المؤلف رحمه الله تعالى.
- **وأمَّا أدلَّة السُّنة فكذلك**، ومنها حديث جبريل الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة، وفيه: «والإيمان بالبعْث الآخر».
- **وأمَّا الإجماع** فقد أجمعَ المسلمون قاطبَة على أنَّ البعث حقّ، وعلى أنَّه واقع وسيَقع، وأنَّ جميع الخلائق سَتُبْعَثُ يوم القيامة.

والمقصود بالبعث عند أهل السُّنة والجماعة: بعْثُ الأجساد والأرواح جميعًا؛ لأنَّ النُّصوص الواردة في ذلك عامَّة، دالَّة على أنَّ البعث حاصلٌ أو واقعٌ للأرواح والأجساد جميعًا.

وقد ذهبَ طوائِف من أهل الكلام على أنَّ البعث إنَّما هو للأجساد دون الأرواح، وهذا كلامٌ مرْدودٌ، وكلام فاسد، تَردُّه النُّصوص الواردة في كتاب الله ﷻ، وفي سُنَّة الرسول صلى الله عليه

وسلم.

وهكذا جاء عن بعض أهل الكلام، وجاء عن الفَلاسِفَة، وبعض النصارى؛ أنَّهم يقولون بِبَعْثِ الأرواح دون الأجساد، وهو قولٌ باطلٌ وفاسدٌ تردُّه الأدلَّة، فالبعْثُ يوم القيامة هو للأرواح والأجساد جميعًا، الأرواح والأجساد التي كانت موجودة في الدنيا، فيبعثُها الله ﷻ بعينِها وذاتِها.

والكلام على البعث له وُجوهٌ كثيرة، سيأتي الكلام عليها - إن شاء الله - في الدروس الآتية.

قول المؤلف: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى»).

المقصود بقوله: («وَالدَّلِيلُ») أي الدليل على أنَّ البعث حق، وعلى أنَّه واقعٌ بأمْرِ الله تباركَ وتعالى.

وقوله ﷻ: («﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾») وهكذا قوله تعالى: («﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾»).

مناسبَة هاتَين الآيتين في هذا الموضع: هي دلالتُهما على أنَّ البعث حق، وعلى أن الناس جميعًا يُبعثُون يوم القيامة.

قوله: («وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ»).

هذا فيه شيءٌ من التَّجَوُّزِ، وإلَّا فبَعْد البعث هو الحشر، بعْد بعْث الناس، وبعْد إخْراجِهم من قبورهم هو حشْرُهم إلى أرضِ المحشر، ثمَّ بعد ذلك الوقوف الطويل، ثمَّ بعد ذلك الشفاعة العُظْمى، ثمَّ بعد ذلك الحساب، والمؤلف رحمه الله تَجاوَزَ هذه الأمور المذْكورة، وذكرَ أنَّ الحساب بعد البعث، فلعلَّه ما أراد الترتيب، وإنَّما أراد أنَّ الحساب سيقع بعد البعث، وأنَّ من

مقاصد البعث والحكمة المترتِّبَة عليه هو الحساب والجزاء.

والحساب لُغَة: هو العَدُّ والإِحْصاء (والحَاسِب هو العاد، والمَحْسُوب هو المعدود).

وأمَّا في الشرع: فهو إطْلاع الله ﷻ عبادَه على أعْمالِهم، وإعْلامهم بها.

والحساب ثابتٌ بدَلالة الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب فكثير؛** منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الانشقاق:٧-٨]، وهكذا: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٢٠٢﴾ [سورة البقرة:٢٠٢]، و﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝٢٦﴾ [سورة الغاشية:٢٥-٢٦].

❖ **وأمَّا الأدلَّة من السُّنة** فكثيرة أيضًا؛ منها ما جاء في «الصحيحين»: عن عائشةَ رضي الله عنها، لمَّا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَن نُوْقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» فقال: أليس الله ﷻ يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الانشقاق:٧-٨]؟ **فقال:** «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ».

وجاء حديثٌ آخر، وحسَّنه الشيخ الألْباني، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**».

❖ **وأمَّا الإجماع فقد أجمعَ العلماء قاطبَة** على وقوعِ الحساب يوم القيامة، وأنَّ الحساب حق، كما دلَّت على ذلك النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة.

والحساب شاملٌ لجميع الخلائق، إلَّا من اسْتثناهُم الله ﷻ، شاملٌ للمؤمنين والكافرين؛ لعُمومِ الأدلَّة الواردة في ذلك، إلَّا - كما قلْنا -: من اسْتثناه الله ﷻ، ومن هؤلاء الذين يُسْتَثْنَونَ من

الحساب: «السَّبعُون الألْف الذين يدخلون الجنَّة بغير حِساب ولا عذاب»، والأصل في الحساب أنَّه عامٌ في جميع الخلائق، للجنِّ والإنس جميعًا، المؤمنون والكافرون.

قوله: («وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ») يعني: أعمال الخير وأعمال الشر، فمَن عملَ صالحًا فسَيُجازَى بأحسنِ الجزاء، ومَن عملَ سيئًا فسَيُجازَى بأسْوأ الجزاء، (**والجزاء من جنس العمل**) إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ.

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾»).

مناسبَة ذكْر هذه الآية: دلالتُها على أنَّ الله ﷻ يُجازِي كلَّ نفسٍ بحَسَبِ عملها، وبحسبِ كسْبها وسعْيها الذي كان في الدنيا.

قوله: («وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ»).

من كذَّب بالبعث وكفرَ به فهو كافرٌ؛ بدلالة الكتاب والسُّنة والإجماع.

- **أمَّا أدلَّة الكتاب** فالآية التي ذكرَها المؤلف، وهكذا غيرها من الآيات.
- **وأمَّا أدلَّة السُّنة** فكثيرة أيضًا تدلُّ على أنَّ من أنكر البعث وكذَّب به فهو كافرٌ، خارِجٌ من مِلَّة الإسلام.
- **وأجمع المسلمون** على أنَّ مَن أنكر البعث فإنَّه كافرٌ بالله العظيم.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾») الآية.

مناسبَة ذكْر هذه الآية هنا: هي دلالتُها على كُفْرِ مَن كذَّب بالبعث الآخر يوم القيامة.

قوله: («وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ») يدخل في ذلك أيضًا الأنبياء؛ لأنَّ الأنبياء في حقيقة الأمْر

الإرْسال قد وقعَ عليهم، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾ [سورة الحج:٥٢] الآية.

وشاهدُنا من هذه الآية: أنَّ الإرسال قد وقع على النبي كما وقعَ على الرسول، فالأنبياء مُبشِّرُون ومُنذِرُون، وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قوله: («مُبَشِّرِينَ») أي مُبشِّرِين من أطاعَهم وأجاب دعْوتَهم، مُبشِّرِين له بالثواب الكبير، والنَّعِيم المُقيم.

قوله: («وَمُنْذِرِينَ») أي مُنذِرِينَ مَن عصاهم، وخالفَ أمرَهم، وردَّ دعْوتهم، مُنذِرِينَ لهم العذاب الأليم، والعِقاب الشَّديد.

والأدلَّة على ذلك كثيرة؛ منها الآية المذْكورة التي ذكرَها المؤلف.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [سورة البقرة:٢١٣].

قال: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى») أي الدَّليل على أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام أرسلَهم الله تعالى مُبشِّرِين ومُنذِرِين.

قال: («﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾»).

وعلى هذا فمَن سمِعَ دعْوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأطاعَهم، وقَبِلَ دعوتَهم، وأجابهم

إلى دعْوتهم فهو مُبشَّرٌ بالخير، والفضْل، والفوز، والسعادة الأبَدِية، ومَن سمع بدعوة الرسل فعَصَاهم، وخالفَ أمرهم، وعاندَهم، وآذاهُم، وحاربَهم، وردَّ دعوتَهم؛ فهو من الهالِكِين الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وربُّناه سبحانه وتعالى قد أخبرَ في كتابِه: أنَّه لن يُعذِّبَ أحدًا إلَّا بعد إقامة الحُجَّة عليه، وبعد إرْسال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال ﷻ: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [سورة الإسراء:١٥]، فالله ﷻ لن يُعذِّبَ أحدًا إلَّا بعد إقامة الحُجَّة عليه، وبعد وصول الإنذار أو وصل الحُجَّة والبَيان إليه، وهذا من رحمةِ الله تباركَ وتعالى، وعَدْلِه وفضْله ﷻ.

قال: («وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»).

المقصود بقوله: («وَأَوَّلُهُمْ») أي: أول الرسل عليهم الصلاة والسلام، أول الرسل عليهم الصلاة والسلام نوحٌ عليه السلام، كما دلَّت على ذلك الآية التي ذكرَها المؤلف رحمه الله، ودلَّ على ذلك أيضًا: حديثُ أبي هريرة، وحديثُ أنس، وكلاهما في «الصحيحين» في حديث الشفاعة الكُبرَى والعُظْمَى، وفيه: أنَّ الناس يأتون إلى نوحٍ عليه السلام، فيصِفُونَه بأوصافٍ، **ومنها**: أنهم يقولون له: إنَّك أول رسولٍ إلى أهلِ الأرض، فنوحٌ عليه السلام أول رسول، وهذا لا يُعارِضُ نبوَّة آدم عليه السلام، فآدمُ أوّل الأنبياء، ونوح أول الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال: («وَآخِرُهُمْ») أي: آخر الرسل («مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»).

نبيّنا صلى الله عليه وسلم هو خاتمُ النَّبيّين، بدلالة الكتاب والسُّنة والإجماع، فلا نبيَّ بعْده عليه الصلاة والسلام.

❖ **أمَّا أدلَّة الكتاب فكثيرة**؛ منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

❖ **ومنها ما جاء في «الصحيحين»**: عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله عنه؛ أنَّه قال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي، وَأَنَا الحَاشِرُ، وَأَنَا العَاقِبُ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ**».

وهكذا جاء في «الصحيحين»: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سَيُبْعَثُ قَرِيبٌ مِن ثَلَاثِيْنَ كَذَّابًا أَوْ دَجَّالًا، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**». **والأدلَّة من السُّنة على ذلك كثيرة ومُسْتفيضَة**، وكلها تدلُّ على أنَّه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والرسل.

❖ **وأجمع العلماء قاطبة على ذلك**، كما أجمع العلماء قاطبة على أنَّ مَن ادَّعا النُّبوَّة أو الرسالة بعد نُبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كَاذِبٌ كافر، مُرْتدّ عن دِين الإسلام.

قال: («**وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾**»).

مناسبَة ذِكْر هذه الآية: الدَّلالة على ما ذكرَه المؤلف أنَّ نوحًا عليه السلام هو أوّل الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

وَوجْهُ الدّلالة: أنَّ الله ﷻ بدأَ به قبلَ غيره.

قال: («**وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**»).

دعْوة الأنبياء كلّهم دعْوة واحدة، وهي الدعوة إلى المِلَّة الحَنيفيّة، الدعوة إلى توحيد الله ﷻ،

وإفْرادِه بالعبادةِ والإلهية، وترْك ما سواه من المعبودات التي تُعْبدُ من دونِ الله تباركَ وتعالى، فجميعُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اتَّفَقَتْ دعوتُهم إلى هذا الأمر العظيم (إلى توحيد الله ﷻ، وإفْرادِه في رُبوبيَّته وإلهيتِه وأسْمائه وصفاته) وأنَّ هذا هو دين جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

والدَّليل الآية المذْكورة التي ذكرَها المؤلف، وإن شئْتَ قلْ: الدَّليل الكتاب والسُّنة والإجماع.

❖ **أدلَّة الكتاب كثيرة**؛ منها هذه الآية المذْكورة.

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

وهكذا قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [سورة هود:٨٤]، و﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [سورة هود:٦١]، و ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [سورة الأعراف:٦٥].

فهذه الأدلَّة من الكتاب كلُّها تدلُّ على أنَّ دعوة الأنبياء واحدة **وهي الدعوة إلى توحيد الله** ﷻ**، وإفْرادِه بالإلهية، وإفْرادِه بجميعِ أنواع العبادات، وهكذا التحذير من التَّنديد والشرك بالله تباركَ وتعالى.**

❖ **وأدلَّة السُّنة كثيرة** التي تدلُّ على أنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دعوا إلى عبادةِ الله وحدَه، وإلى ترْك عبادة الطَّواغيت والأنداد والأوثان.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾»).

مناسبَة ذكْر هذه الآية: دلالتُها على أنَّ الأنبياء جميعًا دعوا إلى توحيدِ الله تعالى، وإفْرادِه بالعبادة والإلهيّة.

قال: («وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ»).

وهذا هو حقيقة معنى قول: (لا إله إلَّا الله)، فعبادةُ الله ﷻ وحدَه إثباتٌ، والكفْر بالطَّاغوت نفْيٌ، فلا يصح إيمان المسلم، ولا يصح إيمان المؤمن إلَّا بإفْرادِ الله ﷻ بالعبادة، والإلهية، وهكذا كُفْرُه بجميع الطَّواغيت التي عُبِدَتْ من دونِ الله تباركَ وتعالى، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، والعُرْوَة الوُثْقَى: هي كلمة (لا إله إلَّا الله)، فلا يكْفي في اعْتقاد العبد وإيمانه أنَّه يُقرّ بإلهيَّة الله ﷻ، واسْتحقاقِه لذلك؛ بلْ لابدَّ عليه ويجبُ عليه أن يكفر بجميعِ الطَّواغيت، وجميع المعبودات التي عُبِدَتْ من دون الله ﷻ، سواءٌ كان ذلك من الأحجار، والأصنام، والأشجار، أو كان من الملائكة، أو كان من الجن، أو كان من الأنبياء والرسل، أو كان من الصالحين، أو غير ذلك، فلا يصح إيمان عبدٍ من العبادِ إلَّا بإقْرارِه بتَفَرُّدِ الله ﷻ بالإلهيَّة، وهكذا كُفْرُه بالطَّواغيت التي عُبِدَتْ من دونِ الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [سورة الزمر:١٧] وهذا معْناه: أنَّهم أخلصُوا لله ﷻ في عباداتِهم كلِّها؛ العبادات القولية، والعملية، والاعْتقادية، فلا يكْفي الإقْرار بإلهية الله ﷻ بل لابدَّ من الكفْر بالطَّاغوت، فيجب على كلِّ مسلم أن يكفر بكلِّ طاغوت عُبِدَ من دون الله تباركَ وتعالى، وأن يَتبرأَ من ذلك.

الدرس الثامن عشر

قال المُصنف رحمه الله:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

قال الشارح وفقه الله:

قال المؤلف رحمه الله: («قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ»).

ابن القيم رحمه الله هو أحدُ الأئِمَّة المعروفين، والعلماء المشْهورين الذين عُرِفُوا بالدِّفاع عن الإسلام والسُّنة والعقيدة الصحيحة، وهو أشْهرُ من نارٍ على عَلَم.

قوله: («الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»).

هذا تعريف عند ابن القيم رحمه الله، وهذا التعريف ذكره في كتابه «إعلام الموقعين»، وقد

ارْتَضَى هذا التعريف المصنِّف هنا، وارْتضاه كذلك جمْعٌ من أهل العلم، وهذا التعريف يُشْكِلُ عليه من عُبِدَ وهو غيرُ راضٍ، فمَن عُبِدَ وهو غيرُ راضٍ لا يُقال إنه طاغوت، فهذا التعريف يُشْكِلُ عليه هذا الأمر.

وعلى كلٍّ الطاغوت في اللُّغة: مأْخوذٌ من الطغيان، وهو الزيادة في الأمر والتجاوز في الحدِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحاقة:١١] أي: تجاوز حدَّه وزادَ على مقدار.

وهكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [سورة العلق:٦] أي: يتجاوز الحدّ، ويَزيد فيه.

وأمَّا في الشرع فيقال في تعْريفه: الطاغوت هو كلُّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، وكلُّ مَن أُطِيعَ وَاتُّبِعَ على الكفْر أَوْ الشرك أو دَعَا إلى ذلك. فهذا التعريف شاملٌ لجميع الطواغيت وهو - إن شاء الله - سَالِمٌ من الملاحظة.

وقولنا «كلُّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ» يعني قولنا: «وهو راضٍ» هذا قيدٌ لإِخْراج مَن عُبد من دون وهو غيرُ راضٍ؛ من الأنبياء، والرُّسُل، والملائكة، وسائر الصالحين، فهؤلاء الذين عُبِدُوا من دونِ الله لا يُقال إنَّهم طواغيت باعْتبارِ أنَّهم عُبِدُوا من دون الله عز وجل؛ لأنَّهم غير رَاضِين بذلك، فعيسى عليه السلام يَعبدُه النصارى، ولا يُقال إنَّه طاغوت، وهكذا عُزيرٌ يَعبُدُه بعضُ اليهود، ولا يُقال إنه طاغوت، وبعضُ المشركين والصابئة يعبدُون الملائكة فلا يُقال في حقهم إنهم طواغيت - أي في حق الملائكة -، وهكذا بعض الصالحين، وبعض الأئِمَّة يعبدُهُم بعضُ الناس، ولا يُقال في هؤلاء الصالحين إنَّهم طواغيت، فالطاغوت هو كلُّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، فهذا القيد لإخراج من عُبِدَ من دون الله وهو غير راضٍ.

قول ابن القيم رحمه الله: («مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ»)؛ هذا شامل لجميع المعبودات من الأصنام، والأوثان، والأنداد، وسائر المعبودات التي عُبِدَتْ من دونِ الله وأصحابُها رَاضُونَ بذلك.

وقوله: («أَوْ مَتْبُوعٍ») هذا شامل لجميع الدُّعَاة وأئِمَّة الضلال الذين يَدعُون إلى عبادة غير الله، ويَدعُون إلى الانحراف، ويَدعُون الى مخالفة مَنْهج طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله: («أَوْ مُطَاعٍ») شامل لجميع الوُلاة والحُكَّام المحاربين للحق، والمُعارِضين للشرع.

قول المؤلف: («وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ») نعم هم كثيرون، ولا يُستَطاعُ إحصاؤُهم، وهذا باعتبار أفرادهم وأعْيانهم وأشخاصهم وذَواتهم، فهم كثيرون، فيُقال: فرعون طاغوت، وقارون طاغوت، والنَّمرود طاغوت، وأبو لَهَب طاغوت، واللَّات طاغوت، والعُزَّى طاغوت، وذُو الخَلَصَة طاغوت، وقبر البَدَوِي طاغوت، وهكذا، فباعْتبار الأفراد والذوات والأعْيان يُقالُ: أنَّ الطواغيت كثيرة، لا تُحْصَى كثْرةً.

قال: («وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ»).

بدأَ به لأنه أصلُ كلِّ شرٍ، وأساس كلِّ بَلاء، وفتنةٍ وضلالٍ وكفْرٍ وانحراف، فلا شكَّ أنَّه أعظمُ الطَّواغيت، وأهلُ العلم - كما تقدم - معنا في التعريف، لهم تعاريف كثيرة في الطاغوت؛ فمِنهم من ذكر أنَّ الطاغوت هو إبليس، كما ذكر المؤلف، وبعضهم ذكر أنَّ الطاغوت هو الساحر، وبعضهم يقول إنَّه الكاهن، وبعضهم يقول: إنَّه المُنجِّم، وهكذا، لكن

هذه التعاريف هي تعاريف بِبَعضِ معانيه وبعض جزئيّاته، فالمؤلف رحمه الله يقول: من رؤوس الطواغيت إبليس، وعلى هذا مَن قال: إنَّ الطاغوت هو الشيطان فكلامُه صواب، وصحيح، ولكنه تفسيرٌ للطَّاغوت ببعض معانيه وبعض أجزائِه.

قال: («وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ»).

قوله: («وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ») هذا شاملٌ لجميعِ المعبودات من الأصنام والأوثان والأنداد، وكلُّ مَا عُبِدَ من دون الله عز وجل وهو راضٍ بتلْك العبادة.

وقوله: («وَمَنْ عُبِدَ») شاملٌ لجميع أنواع العبادات؛ القولية، والعملية، والاعتقادية، فيشمل الذبح، ويشمل النذر، والدعاء، والخوف، والخشية، والتوكل، والركوع والسجود، والاعتكاف، والطَّواف، وغير ذلك، فهذه الجُملة شاملة لجميعِ أنواع العبادات، فكلُّ مَن عُبِدَ بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادات وهو راضٍ بذلك فهو طاغوت.

قال: («وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ») إلى تعظيمها، وتَقْدِيسها، والتَّقرُّب إليها بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادات؛ القولية، أو العملية، أو الاعتقادية، وهذا حاصلٌ عند أئِمَّة الضلال من غُلاةِ المُتصَوِّفَة، وغُلاة البَاطنية وغلاة الإسماعيلية، وغُلاة التَّشيّع، فهذا الأمر حاصلٌ عندهم، فإنَّ كثيرًا من أئِمَّة التَّصوُّف وأئِمَّة الرَّفْضِ يَدعُون إلى عبادة أنفسهم، إمَّا دعوةً صَريحة، أو دعوةً غير صَريحة، ولِهذا نَرى أنَّ بعض أئِمَّة المُتصَوِّفَة لربَّما يُسْجَدُ له وهو حَيٌّ، فيَرضَى بذلك، ولربَّما يُخْشَعُ له وهو حَيٌّ وهو راضٍ بذلك، فهؤلاء لا شكَّ أنهم من الطَّواغيت ؛ لأنَّهم دَعَوا إلى عبادة أنفسهم، إمَّا هذه الدعوة كانت بالقول أو بالفعل، فمَن دَعَا الناس إلى عبادةِ نفسه فهو طاغوت.

ومِن صُوَرِ الدعوة إلى العبادة: ما يَقوم به بعض أئِمَّة الضلال مِن الأمر لأتْباعه أنَّه إذا ماتَ أن يُقبَرَ في مكانٍ كذا، ويُعْملُ له ضَـريح، ويُعْملُ له مَزَار، فهذا في الحقيقة يدعو إلى عبادةِ نفسه، فمَن أَوْصَى غيرَه بِأن يُقبَرَ في مكان كذا، ويُعْملُ له ضَريح، أو مَزَار، أو مشْهد؛ فقدْ دَعَا إلى عبادةِ نفسه، وحثَّ الناس على الشـرك بالله عز وجل، وعلى التَّندِيد وعبادة غير الله تباركَ وتعالى، وهذا حاصـلٌ بكثْرة: أنَّ هؤلاء يأمُرون أتباعَهم بفعْل ذلك، فهؤلاء لا شـكَّ أنَّهم من الطواغيت.

قال: («وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ»).

هذا هو الرابع من رؤوس الطواغيت؛ ادِّعاءُ عِلْم الغيب من الكفْر بالله عز وجل؛ وذلك لأنَّ عِلْم الغيب من خصائص الله عز وجل، ومِمَّا اسْتَأثَرَ اللهُ بِهِ، واخْتصَّ به تباركَ وتعالى، فلا يعلم الغيبَ إلَّا الله تباركَ وتعالى، كما دلَّت على ذلك النُّصـوص الكثيرة من الكتاب والسُّـنة، وأجمعَ السَّلف على ذلك، فمن ادَّعى عِلْمَ الغيب فهو طاغوت، من ادَّعى أنَّه يعْلم الغيب فهو طاغوت من الطواغيت.

ويَدخل تحت هذه الجملة أصنافٌ من الناس، فيدخل فيها السَّحرة، ويدخل فيها الكُهَّان، والعَرَّافُون، والمُنجِّمُون، والرَّمَّـالُون، فهؤلاء وإن اختلفـتْ أعمـالُهم وأحوالهم إلَّا أنَّهم مُتفِقُون على أمْرٍ من الأمور وهو ادِّعاءُ علم الغيب، فالكُهَّان والعَرَّافُون والسَّـــحرة والرَّمَّالُون كلُّ هؤلاء يدَّعُون علْم الغيب، فهم من جُملة الطواغيت التي ســبَّبَت انحرافًا كثيرًا لكثيرٍ من الخلْق والبشرية.

قال: («وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ») هذا هو الطاغوت الخامس، («وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ»).

الأصل أنَّ الحُكْم لا يكون إلَّا لله عز وجل، فالحُكْمُ هو لله تباركَ وتعالى، وليس لأحدٍ من الخلْق في أن يحكمَ برَأْيِه، أو بِهَواه، أو بقِياسِـــه، أو بغير ذلك، فالواجب هو أن يكون الحكم موافقًا للشريعة، وموافقًا للإسلام، وموافقًا للحق.

والنُّصـوص الدَّالة على أنَّ الحُكْمَ لا يكون إلَّا لله، وأنَّه يجبُ على العبد أن يحكمَ بما أنزلَ الله كثيرة؛ الكتاب والسُّنة وإجماع الأُمَّة:

❖ **منها قوله عز وجل:** ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [سورة يوسف:٤٠]، و﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [سورة المائدة:٤٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤]، و ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ [سورة المائدة:٤٥]، و﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ [سورة المائدة:٤٧]﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ [سورة الأنعام:١١٤]، فالآيات الدَّالة على وجوبِ الحُكْم بما أنزلَ الله، وعلى تحْريم الحُكْم بغيرِ ما أنزل الله كثيرة جدًا، وهكذا الأحاديث الدَّالة على ذلك كثيرةٌ جدًا.

فالحُكْم بغير ما أنزلَ الله من عَظائِم الذُّنوب، وكَبائِرها، ومُوبِقَاتِها، ومَن فعل ذلك فهو طاغوتٌ من الطواغيت، من حكمَ بالقوانين الوَضْعِية، وبالأنظمة الكُفْرِية، وبالأسْلافِ العُرْفِية، فهو من جُملة الطواغيت، القوانين المخالفة، والأسلاف المخالفة، والأنظمة المخالفة لشريعة الإسلام.

ولا يقتصر الحُكْم بغير ما أنزلَ الله على الأنظمة والقوانين، أو على الحُكَّام فحَسْب بلْ هو شاملٌ حتى للأفراد، فلا يَجوزُ لفَرْدٍ من الأفراد أن يحكمَ بغير ما أنزلَ الله، لا يجوز لفَرْدٍ من الأفراد، ولا لشَخْصٍ من الأشخاص وإن لم يكن أميرًا أو حاكمًا، لا يَجوزُ له أن يحكمَ بغير ما أنزل الله، وكثيرٌ من النَّاس لربَّما يَجرِي في أحْكامِه على العادَات والأسْلاف والأعْراف المَوجودة بين النَّاس وإن خالفتِ الشرع، وإن خالفتِ الكتاب والسُّنة، فكَمَا أنَّه يُوصَفُ الحاكم الذي يحْكم بين النَّاس بأنَّه قد حَكَمَ بغير ما أنزل الله، فكذلك يُقالُ في هؤلاء الأفراد وهؤلاء الأشخاص إنَّهم قد حَكَمُوا بغير ما أنزل الله، فلا يَجوزُ لحاكمٍ، ولا لِفَرْدٍ، ولا لشيخٍ، ولا لأميرٍ، ولا لمسؤولٍ، ولا لغيرِ ذلك أن يحكموا بغيرِ ما أنزل الله بَلِ الواجب أن يحكمَ

الجميع بما أنزلَ الله، وبما يُوافِقُ شريعةَ الإسلام، فالحُكْم بغير ما أنزل الله من كبائر الذنوب وعَظائِمِها، وقد يكون كُفْرًا أكبر مُخرِجًا من المِلَّة، وقد لا يكون كُفْرًا أكبر مُخرِجًا من المِلَّة وإنما يكون كُفْرًا أصغر في صور كثيرة مُتعدِّدَة، سيأتي ذكْرُها وبَيانُها - إن شاء الله - في الدروس الآتية.

فالحاكم بغير ما أنزل الله قد يكون كافرًا كُفْرًا أكبر، وقد يكون كافرًا كُفْرًا أصغر، على حَسَبِ حاله، وعلى حَسَبِ ما حكمَ به في مسألةٍ من المسائل، أو في أمرٍ من الأمور، وتفاصيل ذلك سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

قوله: («وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾»).

أي الدليل على وجوب الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، قلْنا: والدليل على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع.

- **أمَّا أدلَّة الكتاب** فهذه الآية.
- **ومن أدلَّة السُّنة**: ما رواه مسلم، عن طارق بن شهاب؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**».
- **والسلف مجمعون** على وجوب الكفر بالطاغوت، وعلى وجوب البَراءة من جميع الطواغيت.

فمناسبة ذكْر هذه الآية هي دلالتها على وجوب الكفر بالطاغوت، وعلى وجوب الإيمان بالله تعالى وحده.

وعلى هذا من كَفَرَ بالطاغوت، وآمن بالله فقد حقَّقَ كلمة الإخلاص وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لأنَّها مشْــتملة على النفْي والإثبات، فالإيمانُ بالله إثباتٌ للإلهية كلّها لله وحده، وكذلك نفْيٌ لجميع المعبودات والطواغيت التي عُبدت من دونِ الله عز وجل.

وقوله تعالى: («﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾»).

العُرْوَةُ الوُثْقَى، اختلف المفسِّــرُون فيها، فمنهم من قال: هي الإســلام، ومنهم من قال: هي القرآن، ومنهم من قال: هي لا إله إلا الله، وكلُّ هذه المعاني صــحيحةٌ كما رجَّحَ ذلك غيرُ واحدٍ من أهل التفسير، فكلُّ هذه المعاني صحيحة وتشْملُها هذه الآية.

قوله: («وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ») يعني الآية دلَّتْ على معنىً وهو: وجوب إفْراد عبادة الله وحده، ووجوب الإيمان بالله وحده، ووجوب الكفْر بالطاغوت، وهذا هو حقيقة المعنى الذي دلت عليه (لا إله إلا الله)، وذلك أَخْذًا من النفْي في قوله: (لا إله) والإثبات في قوله: (إلا الله)، فـــ(لا إله إلا الله) تدلُّ على المعنيَين جميعًا، تدلُّ على المعنى الأول وهو نفْي جميع المعبودات، ونفْي جميع الطواغيت التي عُبِدَتْ من دون الله، ودلَّتْ على المعنى الثاني وهو وجوب إفْراد الله عز وجل بالعبادة وحده.

قوله في الحديث: («وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ») المقصود بـ«الأمر» الدين أي رأس الدين.

والمقصــود بهذه الجملة («رَأْسُ الأَمْرِ») أي أعظمُه وأشــرفُه وأرفعُه وأعْلاه، هو دينُ الإسلام.

قوله: («وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ») شبَّه الصلاة بعمود الفسْطاط، والفسْطاط هو بيت الشَّعر، يعني كالخَيمة، هو العمود الذي يكون وسط لارتفاع الفسْطاط، فشبَّه الصلاة بعمود الفسْطاط، قال

أهل العلم: «هذا يدلُّ على أهمِّيَة الصلاة، وعلى عِظَمِ شأْنِها، وعُلُوّ مكانَتِها، ورِفْعَة درجتها ومنزلتها عند الله عز وجل، وكذلك رِفْعَة درجتها في دين الإسلام».

ولمَّا مثَّل النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصلاة بعمود الفسْطاط؛ دلَّ ذلك على أنَّ العمودَ إذا ذهب سقطَ الفسْطاط، فإذا ذهبت الصلاة ذهبَ الإسلام، فاحْتَجَّ كثيرٌ من أهل العلم بهذا الحديث على كُفْرِ تارك الصلاة؛ لأنَّ العمود إذا ذهبَ سقطَ الفسْطاط، فإذا ذهبتِ الصلاة ذهبَ الإسلام وانْهَدَّ الدِّين.

ومكانة الصلاة وعِظَم شأْنِها لا يَخفى عليكم، فهي عظيمة الشأن، وجَليلَة القدر، كما دلَّتْ على ذلك النُّصوص الكثيرة والمتواترة من الكتاب والسُّنة، وأجمعَ السَّلف على ذلك.

قوله: («وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»).

الذُّرْوَة (بضم الذال وفتحها وكسرها) الذُّرْوة والذَّرْوة والذِّرْوة، يجوز هذا وهذا.

والذُّروة: هي أعْلَى الشيء وأَرْفَعُه، وأعلاه، والسَّنَام: هو أعْلَى ظهْر البَعير، وجمْعُه «أَسْنِمَة».

قال: («وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»).

نعم، ذروة سَنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله من أجلِّ الأعمال، وأفضل العبادات، وأعْلَى الدَّرجات التي يَنالُ العبدُ بها الثوابَ الكبير، والأجر العظيم عند الله عز وجل.

والمقصود بالجهاد - كما ذكر في الحديث - الجهاد في سبيل الله، ومُقاتَلَة أعداءِ الله من الكفار والمشركين ومَن كان معهم.

والدَّليل على منزلة الجهاد هذه المَنزلة وهذه المرتبة الكتاب والسُّـنة والإجماع، ولهذا نصَّ كثيرٌ من أهل العلم على أنَّ الجهاد في سـبيل الله أفضـل الأعمال بعد الفرائض، قلْنا: والمقصـود بذلك **الجهاد في سـبيل الله**، فيَخرج في ذلك القتال من أجلِ العَصَـبيّة، والقتال من أجلِ الدَّعَوات الجَاهليّة، ويَخرج في ذلك قِتال الفتنة، ويَخرج في ذلك القتال من أجلِ الدنيا، إنَّما المقصـود بالجهاد هُنا؛ الجهاد في سـبيل الله تباركَ وتعالى، وإن كان كلُّ واحدْ يتغنَّى أنَّه يُجاهدُ في سـبيل الله، ويُقاتل في سـبيل الله، وحقيقة الأمْر مرْدُودٌ إلى أحكام الشـريعة وإلى نُصـوص الشـريعة الدَّالة على ذلك، فليس كلُّ قِتال يُقالُ إنَّه في سـبيل الله، إنَّما القتال الذي يكون في سبيل الله هو قتال الكفار، وقتال المشركين، وقتال المنافقين، وهكذا مَن كان معهم، كما دلَّتْ على ذلك النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة.

وقد جاء في «الصـحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنَّ رجلًا سأَلَ النبيَّ صـلى الله عليه وسـلم، الرَّجُل يُقاتِل شَـجاعة، والرَّجُل يُقاتِل حميةً، والرَّجُل يُقاتِل رِياءً، أيُّ ذلك في سـبيل الله؟ فقالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَـبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فهذا هو الضابط في الجهاد الحَق، والجهاد المشروع، مَن قاتَلَ لِرفْعَة الإسلام و رَاية الإسلام، وارتفاع كلمة التوحيد، وإعْلاء كلمة التوحيد؛ فهو في سـبيل الله، فمن لم يكن كذلك فليس جهادُه جهادًا في سبيل الله تعالى.

ومناسـبة ذكْر هذا الحديث في هذا الموضـع: هو دلالتُه على أنَّ لكلِّ شـيءٍ رأس، ورأْسُ هذا الأمر هو الإسلام ودين الإسلام، فلا سَعادَة للعباد، ولا فَلاحَ لهُم، ولا عِزَّ لهُم، ولا نصْرَ لهُم، ولا مجْدَ لهم، ولا خيرَ لهُم في الدنيا والآخرة إلَّا بتحقيقِ شـريعة الإسـلام، والعمل

بأحكام شريعة الإسلام، والتمسُّك بأحكام ومبادِئ دين الإسلام، فهذه هي المناسبة التي من أجلِها ذُكِرَ هذا الحديث في هذا الموضع.

